البصائر والذخائر

لأبي حيان التوحيدي

علي بن محمد بن العباس (- ٤١٤هـ)

تحقيق

الدكتورة وداد القاضي

الجزء التاسع

دار صادر
بيروت

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ أعِن

اللهمّ[1] أسألُكَ خَفايا لُطْفِك ، وفَواتحَ تَوْفيقك ، ومألوفَ بِرّك ، وعَوائدَ إحسانِك ، وجاهَ المقدَّمِينَ[2] من مَلائكتك ، ومنزلةَ المُصْطَفينَ من رُسُلِك ، ومكانةَ[3] الأولياءِ من خَلْقك ، وعاقبةَ المتَّقينَ من عبادك ؛ أسألكَ القناعةَ برزقك ، والرِّضا بِحُكْمك ، والنَّزاهةَ عن مَحْظورك ، والوَرَعَ في شُبُهاتك ، والقيامَ بحُجَجك ، والاعتبارَ بمَا أَبْدَيْتَ ، والتسليمَ لما أخفيتَ ، والإقبالَ على ما أَمَرْتَ ، والوقوفَ عما زَجَرْتَ ، حتى أتَّخِذَ الحقَّ جُنَّةً[4] عند ما خَفَّ وثقل ، والصدقَ سُنَّةً فيمَا عَسُرَ وسهل ، وحتى أرى أنّ شِعارَ الزّاهدِ أعزُّ شعار ، ومنظرَ الباطل أَشره منظر ، فأتبختر في ملكوتك بالدعاء إليك ، وأبلغ الغايةَ القصوى بين خَلْقِكَ بالثناء عليك ، متيقناً أنّ الاقتصاد أوطأُ سبيلاً وأعزُّ حريماً .

---

١ نقل ابن أبي الحديد هذا الدعاء في شرح النهج ١١ : ٢٦٩ – ٢٧٠ .
٢ شرح النهج : المقدسين .
٣ ل وشرح النهج : ومكاثرة .
٤ شرح النهج : حجة .

هذا الجزء التاسع[1] من البصائر ، وكان عذري فيه – أعني الكتاب – أنه يتمُّ بما يَسرّ الناظر ، وأرى العجزَ قد قَهَر ، والاستعفاءَ قد حَسُنَ ، والعذرَ قد وَجَب ، لأنَّ البقيةَ من مذاكرةِ الأدبِ إذا اختصَّها هذا الجزءُ بقيتْ بقيةٌ في الصُّوفية ، وقد كان الوعدُ سَلَفَ إفرادها عن سائرِ الفنون ، وبقيتْ بقيةٌ أخرى من فلسفة الفلاسفة . وقال لي بعضُ إخواني : قدِّمْ من هذين الفنَّيْن ما إذا تَخلَّصَ من الجملةِ كان لأثَرِهِ وَقْعٌ . فاقتصرتُ على ذلك . ولعمري إنَّ الوصفَ على ما يأتي عليه . ولكن ليس الرّأيُ على ما أرشد إليه . لأني فقيرٌ إلى ما يستغني هو ونظراؤه عنه . وضماني لا يزول برأي غيري . وحاجتي لا تَسقطُ بكفايةٍ مِنْ سواي ، وأنا جارٍ على المصلحةِ المَنْوِيَّةِ في هذا الكتابِ لنفسي ولمن يجري مَجْراي . ويعتذرُ إلى من خالفني في هذا الرأي . ولم يختَرْ هذا التطويل . لأنَّ الرغبةَ الصادقةَ في العلمِ تخفف عليَّ كلَّ [ثقيل] ، وتذلّلُ كلَّ صعب . وتُزيلُ كلَّ زُهْد ، وتُرْسلُ على الجساءِ ناعماً ، و[تجعل] منظر الشوهاء رائعاً ، وبعيدَ المطلوب دانياً . ووَعْرَ المحتاجِ إليه سهلاً . وأبيَّ المتمنَّى سَمْحاً . وعَصِيَّ المُرادِ طَيِّعاً . واعلمْ أن المحظوظَ مَنْ أُنْعِمَ بالعلم عليه . وَوُفِّقَ للإخلاصِ فيه . وحُشيَ سِرُّه طمأنينةً . وبوشِرَ قلبُهُ بالسُّكون ، ورُفع همُّهُ عن الإشناق[2] إلى ما لا يليق به واستشراف ما لا يصل إليه . ولن يُحْسِنَ هذا المحظوظُ عِشْرَةَ هذه النِّعمة ، ولا يستمتع بنضرتها . ولا يحمد غِبَّها ، دون أن يكون رائضاً للسانه على الشكر ، وعامراً لصدره بالإخلاص ، وهاجراً للهوينا في ما اجتَلَب الزيادة ، مجانباً للتفريط في ما وُكِلَ به المقتُ والتصق به العار أو وَصَمَتْهُ القالة ؛ ولن ينتفع بهذه المقدّمات كلِّها دونَ أن يعلمَ أنّ الدُّنيا دارُ عمل ، والآخرةَ دارُ جزاء ، وأنَّ مَنْ فاتَتْهُ في العاجل صُنِعَ له ، وأنَّ ما نال منها وبال ، وأن القَرارَ في دارِ الآخرةِ التي مَنْ سَلَكَ سبيلها نَجا ، ومن راغ عن

[1] في الأصل : الأول ؛ وهو أول بحسب الناسخ الذي لم ينسخ سوى جزءين ، هذا أحدهما .
[2] ل : الإشفاق ؛ والإشناق : رفع الرأس والطموح إلى الشيء .

سُنَّتها ضَلَّ وغَوى .

فاعرف – حفظك الله – هذه الوصايا ، وأدِّبْ سِرَّكَ بهذه المَواعظ ، واستيقن أنَّ زائدها وإنِ اتصلَ ناقص ، وظِلَّها وإنِ امتدَّ قالص ، ومُقيمَها وإنْ تَلوَّم شاخص ، وكنْ مقبوضَ الكفِّ ، مغضوضَ الطَّرْفِ ، إلّا عما أباحَ الله ورخَّصَ فيه وأَذِنَ لك أن تتناوله ؛ واحذرِ الانهماكَ فإنه شَوْطٌ عَسير ، وغايةٌ ذاتُ ندامة ، وضربٌ [ليسَ] من حِزْب الفضلاء ، واعمرْ عمرَك بالصالح من العمل ، والصادقِ من القول ، والصحيحِ من الاعتقاد ، ولا تبحثْ عما زَوَى اللهُ سرَّه عنك ، ونزِّهَ حكمتَهُ عن تحصيلك ، واستأثرَ بغَيْبه عن احتجاجك بقلبك ، ولا تَعْترضْ على خالِقِكَ لالتباسٍ يَرِدُ عليك ، أو لشُبْهَةٍ تُغالِبُ فِطْنَتَك ، فإنَّ النظامَ جارٍ على التَّمام ، والخيرَ واصلٌ إلى الخاصِّ والعامّ ، فاحمدِ اللهَ الذي أفردَكَ بالصَّلاحِ في دَهْرِ الفَساد ، وزيَّنك بالكَرَم في زمانِ اللؤم ، وحبَّبَ إليكَ الإحسانَ بين أَهلِ الإساءة .

وسَلِ اللهَ مزيداً لك ، ورِفْقاً بك ، وأَخْذاً بيدك ، وعافيةً في جِسْمك ، وحراسةً للنعمةِ عندك ، وصَرْفاً للصُّروفِ عن ساحتك ، فإنه جَوادٌ واجدٌ ، ملكٌ ماجد .

اللهمّ إنّي أشكو إليكَ سوانحَ نفسي ، وفَلَتاتِ ضَجَري ، وقوارصَ لساني ، وسيئاتِ عملي ، وخَوادعَ أَمَلي ، فكنْ لي نَصيراً وبي رحيماً ، فلا قوةَ لي إلا بك ، ولا توفيقَ إلا منك ، ولا منالَ إلّا على يدك ، قلِّبني بين ما تحبُّ وتَرْضَى ، وقرِّبني من حِياضِكَ الممدودة ، ورياضِكَ الممطورة ، واسقني بكاسِ الرِّضا سَلْوَةً عن الدنيا ، وامحُ أَثَرَها من صَدْري ، واجعلْ نازلَ قضاياك قريناً لصبري ، وأَحْيِني في طاعتكَ ناضرَ الوجه ، صريحَ اللُّبِّ ، مرجوًّا مأمونَ الغوائل ، ثم اقبُضْني إلى مقامِ الصادقين ، واحشُرْني في

حزبك . أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغَالِبُونَ[1] ؛ وصَلِّ على أمين خَلْقكَ ، وحاملِ وَحْيك ، الواسطةِ بينك وبين عِبَادك ، ما لمَعَ بارقٌ ، وَذرَّ شارق ، إنك على ذلك أَقدرُ القادرين وأَجودُ الجائدين .

١ في سورة المائدة : ٥٦ : فإن حزب الله هم الغالبون ؛ وفي سورة المجادلة : ٢٢ ألا إن حزب الله هم المفلحون .

١ – قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : خمسٌ من أتَى الله بهنَّ أو بواحدةٍ منهنّ أوجَب له الجنّة : مَنْ سَقَى هامةً صاديةً ، أو أطعم كبداً هافية ، أو كسا جلدةً عارية ، أو حمل قَدَماً حافية ، أو أعتق رَقَبةً عانية .

قوله سقى وأسقى ، وقد فَصَلَ قومٌ بينهما[1] ، فقال : سَقَى أي جعل له ما يَسْقِي به نفسه ، وأسقى أي حصل له ماء سقيا ؛ والسِّقْيُ – بكسر السين – فنصيبه الباقي من المُسْقِي ، فأما السَّقْيُ فمصدرٌ على بابه المعتاد . والهامةُ الصادية : الإنسان العطشان ، وفي سقي الماء آثار مأثورة ؛ والصدى مقصور ، يقال : صَدِيَ يَصْدَى صدىً وهو صادٍ . والكتّابُ يقولون : أنا صادٍ إلى لقائك ، على الاستعارة ، وهو كلام العَرَب ، [وأمّا الصَّدَى] فهو الذي يُجيبُكَ إذا ناديتَ بين جَبَلين ، وذلك[2] تَراجُعُ الصوتِ على الحقيقة ليسَ أنّ حيواناً يَرُدُّ عليك ، وتقول في الأول أنا صادٍ وصَدْيان وهي صاديةٌ وصَدْيا ؛ ويقال : فلان صَدَى مالٍ إذا كان سائساً له لا همَّ له [سواه] . وقوله : «كبداً هافية» مِنَ الجوع ، فإنّ الكبد تهفو أي تخفّ ، يقال : فلان قَلْبُهُ هافٍ وأمره غافٍ وسِرُّهُ وافٍ ، هكذا سمعت الحرّاني بمكةَ ، وكان فصيحاً . وأما « الرقبة العانية » فهي المماليك ، لأنّهم أسرى قبضة . وإنمّا قلتُ هذا لأنّ بعضَ مَنْ يضيق عَطَنُهُ عن الاتساعِ في الاستعارةِ قال : فإن أَعْتَقَ عانياً لا يجوز ، وهذا [يُعْوزه] تَمييزُ صحيحِ الكلامِ من سَقيمه .

---

١ قد جمع بينهما لبيد في قوله (ديوانه : ٩٣) :

سقى قومي بني مجد وأسقى   نُميراً والقبائل من هلال

٢ ل : وكذلك .

٢ - خرج عمرُ بن الخطّاب رضي الله عنه ذاتَ يومٍ وعليه حُلَّةٌ ، فنظر الناسُ إليه مستريبين ، فلما رآهم كذلك أنشد : [البسيط]

لا شَيءَ فيمَا ترى إلّا بَشاشتُهُ يَبْقَى الإلهُ ويَفْنَى المالُ والوَلَدُ

واللهِ ما الدنيا في الآخرةِ إلّا كَنَفْجَةِ أَرْنب . هكذا سمعتُ ابن الجعابيّ يروي . قال : وقال بعضُ جُفاةِ النُّسَّاك : ما لبس عُمَرُ حُلّةً قَطُّ . وهذا أيضاً جَهْلٌ آخر ، قد لبسَ رسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم الحُلّةَ ، وركبَ الجوادَ ، وشربَ الحلوَ والباردَ ، وباشرَ النساءَ ، ولم يَلْهَ عن اللهِ عزّ وجلّ في خِلالِ ذلك ، لقوةِ عَزيمته في الإيمان ، ولشدَّة مُنّتِهِ في التَّقْوى . وكذلك الصالحونَ من هذه [الأمّةِ] على دَرَجاتهم ، لا يصغر شيء من هذا ؛ ومتى كانَ التناوُلُ لله والتركُ لله لم يكن للباطلِ بين ما للهِ وما باللهِ موقع . ولا للحقّ فيه منزع .

٣ - قيل لحاتم الأَصَمّ : لو قرأتَ لنا شيئاً من القرآن فقال : نعم ، فاندفع يقرأ : آلـم. ذَلِكَ الكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدىً للشقيينَ الَّذِينَ [لا] يُؤْمِنُونَ بالغَيْبِ ولا يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وممَّا رزقناهُمْ يكنزون . قالوا : ليس هكذا ، قال : صدقتم ، ولكن كذا أنتم .

٤ - قال يحيى بن وَثّاب في بغداد : مدينةُ السَّلامِ وَقُبَّةُ الإسلامِ . مَعْدِنُ الخلافةِ وَمَعْقِلُ الإنافة ، جَعَلَها اللهُ لخليفتِهِ مَثْوى . ولشيعته مَهْوى .

٥ - قال ثعلب : يقال فلانٌ كالبَدْر ليلةَ تَمامه ، وكالدُّرَّةِ شُقَّ عنها

---

٢ البيت الذي تمثّل به عمر ورد في طبقات ابن سعد ٣ : ٢٦٦ و ٢٦٧ (ط. صادر) والاستيعاب : ١١٥٧ وتاريخ الطبري ١ : ٢٧٦٥ والكامل لابن الأثير ٣ : ٦٢ ، وفي بعض رواياته : «تبقى بشاشته» ؛ وقوله : والله ما الدنيا ... الخ حديث أيضاً ؛ ونفجة الأرنب وثبتها ، يريد قصر مدة الدنيا .

الصدف ، وفلانٌ أَمْضَى من السَّيف ، وأَدْفَأُ من النار ، ولسانُ فلانٍ كالمِبْرَد ، وَوَجْهُ فلانٍ كالمِسَنّ ، وجبينه كاللُّجَيْن .

٦ – قال الناشئ الكبير : [البسيط]

العَيْشُ فانٍ فمن عَدَّ الغِنَى كَدَراً ... فَعَفَّ ثم اكتَفَى بالعَفْوِ منه صَفا

اشددْ يَدَيْكَ بمن تَهْوَى فما أحدٌ ... يَمْضي فَيُدْرِكُ حقًّا[1] بَعْدَهُ خَلَفا

واَستعتِبِ الحُرَّ إنْ أنكرتَ شِيمتَهُ ... والحُرُّ يَستأْنِفُ العُتْبَى إذا أَنِفا

ولم تَجِدْ مَنْ له في قَصْدِهِ سَبَقٌ ... إلّا وَجَدْتَ لهُ عن حَظِّه جَنَفا

مَنْ ذا الذي نالَ حظاً دونَ صاحبِهِ ... يوماً وأَنْصَفَهُ في الوُدِّ أو نُصِفا[2]

لا خيرَ في رَجُلٍ يُعْطيكَ مُهْجتَهُ ... حتّى إذا أَعْجَبَتْهُ حالُهُ انحَرَفا

٧ – وله : [الطويل]

فإنْ تكنِ الأيامُ خانَتْ فربَّمَا ... أَرَتْنا زِمامَ الحُرِّ في قَبْضَةِ العَبْدِ

٨ – وله : [الطويل]

مَلكنا وكنَّا للمماليكِ مِيْسَمَا ... ودنَّا وكنّا للديانةِ مَوْسِمَا

٩ – قال جحا لأمه : اخبزي ، قالت : ليس لنا دَقيق ، قال : فاخبزي فَطير .

---

٦ أورد الصفدي في الوافي (١٧ : ٥٢٤) منها ثلاثة أبيات ، أوردها ناجي في مجموع شعره ، القسم الرابع / المورد : ٣٦ (رقم : ٧٣) ؛ ورواية الأول في ل : العيش فان كأنْ فيه الغنى كدر .

٧ لم يرد فيما جمعه ناجي من شعره (المورد ، المجلد : ١١ العدد : ٣) .

٨ لم يرد في مجموع شعره .

....

١ الوافي : حي .

٢ الوافي : وانتصفا .

١٠ – لِلَّيْثِي في قتل محمد بن زَيْد وآله : [الخفيف المجزوء]

آلَ زيدٍ رماكمُ الدهـ ـرُ واجتثَّ أصْلَكُمْ
بدَّدَ القتلُ بالصَّوا رمِ والسُّمْر شَمْلَكُمْ
لا أَرى الذَّنْبَ للذي أَحدثَ الآنَ قَتْلَكُمْ
بـل أراهُ لـمَعْشرٍ أَسَّسُوا ذاكَ قَبْلَكُمْ

١١ – لما صار امرؤ القيس بمدينةٍ تدعى أَنْقِرَةَ مرضَ وأحسَّ بالموت فقال : [الرجز]

ربَّ خطبةٍ مُسْحَنفِرهْ وطعنةٍ مُثْعَنْجِرَهْ
وجـفـنـةٍ مُدَعْثَرهْ متروكـةٍ بـأنـقـرَهْ

ورأى قبراً لامرأةٍ من بعض بناتِ ملوكِ الروم فقال : [الطويل]

أجارَتَنا إنّ الخطوبَ تَنُوبُ وإني مقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ
أجارَتَنا إنّا غَريبانِ ها هنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسيبُ

وكان وسيماً جسيماً ، وكان مع ذلك مُفَرَّكاً ؛ قال لامرأة : ما تكرهُ

---

١٠ محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بالداعي ، صاحب طبرستان ، كان إسماعيل بن أحمد المتغلب على خراسان بعث إليه قائداً من قواده وأمره بحربه ، فوافقه على باب جرجان ، فقتل في الوقعة ، ووجد جريحاً وبه رمق ، فحمل إلى جرجان ومات بها ، وذلك سنة ٢٨٩ ؛ انظر مقاتل الطالبيين : ٦٩٣ – ٦٩٤ (وانظر حواشيه أيضاً) ؛ وكان محمد بن زيد فاضلاً أديباً شاعراً حسن السيرة .

١١ الشعر والشعراء : ٦٣ والأغاني ٩ : ٩٧ ، وانظر بعضه في معجم ما استعجم : ٢٠٤ و ٩٤٣ ، ونسب قوله : « وإني مقيم ما أقام عسيب » لصخر أخي الخنساء ؛ ومعجم البلدان ١ : ٣٩١ و ٣ : ٦٧٨ (ط. وستنفلد) والروض المعطار : ٣١ و ٤٢١ ؛ وقارن بربيع الأبرار ٢ : ٢٨٤ .

النساءُ مني ؟ قالت له : لأنّ ريحك إذا عرقتَ ريحُ كلبٍ ، قال : صَدَقْتِ[1] .

١٢ – قال ثعلب : الشَّبَادِعُ العقارب ، وقال : الأَزْيَبُ : الدَّعِيُّ ، وهو في بيت الأعشى : الذكيّ ، والأزيبُ من الرياح .

١٣ – قال شَبيب بن شَيْبَة : اشتريتُ جاريةً فأصبتُ منها ما يُصيبُ الشيخُ من الشابّة ، ثم خرجتُ لحاجتي ورجعتُ وقد عَصَبَتْ رأسها ، فقلت : ما لكِ ؟ قالت : لا جزاك الله خيراً ، ما زدتَ على أن هَيَّجْتَهُ وتركتَهُ يتقطَّعُ في أوصالي .

١٤ – قال الأصمعي ، قال أبو عبيدة : رأيتُ بطريقِ مكةَ أَعرابيةً تبيعُ الخوصَ لم أَر أَجملَ منها قَطُّ ، فوقفتُ أنظرُ إليها متعجِّباً من جمالها ، إذ أقبلَ شيخٌ فقيرٌ فأَخذ بأذنها فسار بها ، فقلت : مَن هذا ؟ قالت : زوجي ، قلت : كيف يرضَى مِثْلُكِ بمثله ؟ قالت : إنَّ له قصة ، ثم أنشدت : [الطويل]

أيا عَجَبا للخَوْدِ يَجْري وِشاحُها ... تُزَفُّ إلى شيخٍ من القومِ تنبالِ
دَعاني إليه أنّه ذو قَرابةٍ ... فويلُ الغَواني من بني العمِّ والخالِ

---

١٢ انظر اللسان (شبدع) ، وبيت الأعشى المشار إليه هو قوله :

فأعطوه مني النصفَ أو أضعفوا له ... وما كنتُ قُلاًّ قبل ذلك أَزْيَبَا

وقال الشراح في معناه : الأزيب الغريب الذي لا نلصر له . أو هو ابن المساعاة (ابن الزنا) ؛ والأزيب من الرياح الجنوب أو النكباء .

١٣ ورد في نثر الدرّ ٤ : ٨٨ .

١٤ الخبر في ربيع الأبرار : ٣٨٧ ب (٤ : ٢٨٢) ، وقارن بما ورد فيه ١ : ٨٤٤ .

....

١ مما يوضح الخبر : قال أنت صدقتني ، إن أهلي أرضعوني بلبن كلبة .

١٥ – قرأتُ في مجموعٍ لابن المعتزّ من أخبار شارية المغنّية : [المتقارب]

جَعلتُ طَريقي على بابكمْ وما كانَ بابُكمُ لي طَريقا
صَرَمْتُ الأَقاربَ من أَجلكم وصافيتُ من لم يكنْ لي صَديقا

١٦ – سمعَ عمرُ بن الخطّابِ راكباً بفَلاة يتغنّى فقال : إن الغناءَ زادُ الراكب .

١٧ – قال أبو العيناء لرجل : واللهِ ما فيكَ من العقلِ شيءٌ إلّا بمقدارِ ما تجبُ به الحجّة عليك ، والنار لك .

١٨ – كاتب : إنَّ الشكرَ من اللهِ بأَحسنِ المواضع . فازددْ منه تَزْدَدْ به ، وحافظْ عليه تُحْفَظْ به .

١٩ – قال الناشئ الكبير . قال الحكماء : متى كانتِ الهمّةُ فوقَ النِّعمةِ كان الفقرُ أحسنَ من السؤال .

٢٠ – شاعر : [البسيط]

العبدُ عبدُكَ فاحكمْ فيه واحتكمِ واعدلْ وجُرْ غَيْرَ مأخوذٍ بلا ولمِ
لا ردَّ عندي لما تأتي به أبَداً ولو حكمتَ لأَعدائي بسَفْكِ دَمي
اصددْ إذا شئتَ أن يعتادني سَقَمٌ وصِلْ إذا شئتَ أن أَبرا من السَّقَمِ
ونورِ وجهك لولا ما أُؤَمِّلُهُ من نورِ طيفِكَ لي في النَّوْمِ لم أَنمِ

---

١٥ كانت شارية مولدة من مولدات البصرة آلت إلى إبراهيم بن المهدي فعلمها الغناء واعتنى بها اعتناء عظيماً ، ثم أصبحت في ملك المعتصم ، وعاشت إلى أيام الواثق . وكانت محسنة مجيدة في الغناء ؛ انظر الأغاني ١٥ : ٣٢٠ وأعلام النساء ٢ : ٢٨٠ – ٢٨١ والوافي ١٦ : ٧٤ .
١٦ المنصف لابن وكيع : ٢٨٤ « الغناء نعم زاد الراكب » .
١٧ نثر الدرّ ٣ : ٧٨ (٣ : ٢١٨ ط.) وربيع الأبرار ٣ : ١٣٩ والتذكرة الحمدونية (بورسة : ٢٨) الورقة : ١٨٧ .

٢١ – قال أحمد بن أبي طاهر ، حدّثني حبيب – يعني أبا تمّام – قال ، حدّثني كرامة[١] قال : قدم علينا رجل من ولد معدان بن عبيد المغني[٢] بغداد ، وكان شاعراً قد ناله من البرامكة مالٌ كثير ، فقلتُ له : كيف تركتَ آل بَرْمَك ؟ قال : تركتُهم وقد أَنِسَتْ بهم النعمةُ حتى كأنَّها منهم أو بعضهم . قال كرامة[١] : فحدثتُ[٣] بهذا الحديث ثَعْلَبَةَ بن الضَّحَّاك العامري[٤] فقال : قد سمعتُ من بعضِ أعرابكم نحواً من هذا ، قلت : وما هو؟ قال : قدم علينا فلان[٥] في عنفوان خلافة هشام ، فرأى آل[٦] خالد بن عبد الله القَسْري فقال : إني أرى النِّعمةَ قد لصقت[٧] بهؤلاء القومِ حتى كأنّها منهم[٨] ، قلت : فإنّ صاحبَ هذا الكلامِ ابنُ عمٍّ صاحب ذلك الحديث في ما أرى .

٢٢ – قال أحمد ، حدّثني حبيب قال ، حدّثني أبو محسن الأزدي ، قال ، حدّثني عمرو بن سراقة قال : قَدِمَ علينا شيخٌ من أَزْد البصرة وكان حَدَثاً[٩] قال : سأل رجلٌ عبيدَ الله بن أبي بكرة فأغناه ، فجاء الرجلُ بعَشيرته شاكرينَ له ، فالتفتَ عبيدُ الله إلى بعض وَلَده فقال : ما أَخوفني أن يكون الحمدُ في

---

٢١ ورد الخبر في أخبار أبي تَمّام : ٣٥٢ – ٣٥٣ .
٢٢ هو من روايات أبي تَمّام حبيب بن أوس ، ولكنه لم يرد في أخباره التي جمعها الصولي .

...

١ ل : حزامة .
٢ ل : عبد الله بن عمر .
٣ ل : تحدث .
٤ الصولي : العاملي .
٥ الصولي : غسان بن عبد الله بن خيبري .
٦ ل : حال .
٧ ل : أصفت .
٨ الصولي : كأنها من ثيابهم .
٩ ل : أحدنا (دون إعجام للنون) .

الرِّياء ! ! فقال له : قد أمَّنَكَ اللهُ من هذا أيها الشيخ ، قال : صدقتَ وَيْلَكَ ، أما ترى قليلَ ما أعطيناه وكثيرَ ما أخذناه ؟

٢٣ – قال أذاراي : الدهرُ زمانٌ ساكن ، والزمانُ دهرٌ يُفْسِدُ ما يُحَرِّكُهُ .

٢٤ – قال أفلاطون : مَنْ زعم أنَّ الحركةَ يَلْزمها الخفَّةُ والثِّقَل من جهة الإبطاءِ والسرعة وهي متناهيةٌ ذاتُ أشكالٍ كثيرةٍ ، وليس متناهٍ ذو أشكالٍ كثيرةٍ إلا وأَشكالُهُ منفصلة ، ولم تنفصلْ إلّا عن شيءٍ لزمَ بعضَها دونَ بعضٍ .

٢٥ – قال أفلاطون : الإيضاح على نحوين : أحدهما من تِلْقائنا والآخرُ من تلقاءِ الطبيعة ، فالذي من تِلْقاءِ الطبيعة كُلِّيّ ، والذي من تلقائنا جُزْئيّ .

٢٦ – وقال : لولا أنّ العقلَ شَكْلُهُ شكلٌ فَلَكيّ لكان منقطعاً ، وهو مع أنّه يُوصَفُ بالحركةِ على نَحْوٍ ما ساكن .

٢٧ – قال عليّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله وجهه : إلى كم أُغْضِي الجفونَ على القَذَى ، وأَسحبُ ذَيْلي على الأَذى ، وأقولُ لعلَّ وعسى .

٢٨ – سمعت بدويًّا ببطنِ نَخْلٍ يقول في كلامٍ له : رُبَّ مُطْرِقٍ على شجى[١] ، وَمُغْنِقٍ[٢] على وجىً .

---

٢٥ قد يكون من المفيد هنا أن نذكر أن لفظة « الإيضاح » هي التي يستعملها الكندي في مقابل « أفوذقطيقا » من كتب أرسطاطاليس ، وهو ما يعرف عادة باسم « أنالوطيقى الثانية » (رسائل الكندي ١ : ٣٦٧) .

٢٧ ربيع الأبرار : ٢٤٦ ب (٣ : ٨٨) .

....

١ ل : شيء .

٢ ل : ومعفى .

٢٩ – قال أعرابيّ في وصف سيِّده : هو نَبعةُ أَرومته ، وأَبلقُ كَتِيبته ، ومِدْرَهُ عَشيرته ، ونابُهُمُ الذي عنه يَفْتَرُّون ، وبابُهم الذي إليه يضطرون .

٣٠ – قال أعرابيٌّ في وصفِ رجل : إذا ناضل كَشَفَ القناع ، وإذا فاضَلَ تَرَكَ الخِداع ، وإذا حاربَ حَسَرَ اللِّثام ، وإذا سالمَ أَصلحَ النِّظام .

٣١ – سمعتُ بدويًّا بفَيْدٍ يقول في وصفِ آخر : إنْ مَدَّ باعَهُ إلى الكرم قَصُرَ ، وإن أطلقَ لسانَهُ في الجَدَلِ حَصِرَ .

٣٢ – وقال دريد بن الصِّمَّة لهوازن يومَ حُنَين : أين أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : لا حَزْمٌ ضَرِسٌ ، ولا سَهْلٌ دَهِسٌ .

٣٣ – قال أعرابي : لا يُشَقُّ غُباره ، ولا يُنَالُ طَوارُهُ ، ولا يُرْتَقُ فَتْقُهُ ، ولا يُبْلَغُ عُمْقُهُ .

٣٤ – قال بعض النُّسّاك : أمارةُ الاغترارِ بالله ، الإصرارُ على سخطِ الله .

٣٥ – قال أعرابي : سخيفٌ لا يَرْعَى ، حقُّه لا يُرْعَى .

٣٦ – سمعت أبا فرعون التّميمي يقول : ما أَسهلَ الشربَ على الماتح ، وأَهونَ المصيبةَ على النائح .

---

٣٢ معجم ما استعجم : ٢١٢ (أوطاس) ومعجم البلدان ١ : ٤٠٥ (ط. وستنفلد) والروض المعطار : ٦٢ واللسان (دهس) ، وأصله في خبر غزوة حنين في السيرة ٢ : ٤٣٨ ؛ وفي المصادر : لا حَزْنٌ ؛ والحزن : الموضع المرتفع من الأرض ، والحزم أغلظ من الحزن وأرفع ، وقيل بل الميم بدل من النون ؛ والضرس : الذي فيه حجارة محددة ؛ والدهس : اللين الكثير التراب . ودريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن شاعر جاهلي معمر سيد بني جشم وفارسهم وقائدهم ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتل على دين الجاهلية وهو أعمى يوم حنين ؛ انظر الأغاني ١٠ : ٣ والمحبر : ٢٩٨ و ٢٩٩ وخزانة البغدادي ٤ : ٤٤٢ والشعر والشعراء : ٦٣٥ والمعمرين : ٢٠ .

٣٧ – أفلاطون : المتعلم يحتاج إلى « لِمَ » ، كما أنّ الفيلسوف يحتاج إلى « ما » .

٣٨ – وقال أيضاً : تبيانُ المسألةِ حُسْنُ الوضع .

٣٩ – وقال صاحبُ المنطق : الإيضاحُ لا يكونُ من المُمْكناتِ ولكن من المُضْطَرّات .

٤٠ – قال أرسطاطاليس في كتابه الذي[1] بعد الطبيعة : فوقَ جوهرِ السَّماءِ جَوْهَرٌ لا عظمَ له ولا قَدْرَ من الأقدار ، يستحيلُ بنوعٍ من الاستحالات ، لا نهايةَ لقوَّتِه ، ومن أجل ذلك يفعل فِعْلَهُ بلا زمان ، وهو فَعّالٌ بذاته ، فلذلك هو دائمُ الفِعْل ، وليسَ فِعْلُهُ بحَرَكة ، ولا فيهِ شيءٌ بالقُوَّة ، لكنَّ الأشياءَ فيه بالفِعْل ، وقُوَّتُهُ منبثّةٌ في العالم دائماً .

٤١ – كتبَ بعضُ الأدباءِ إلى ابن سَعْدان[2] في وزارته رُقْعَةً دَلَّ بها على أنه كان على الخَيْرِ لا الشَّرّ ، لكني وجدتها مَليحةَ التلطُّف : عَبْدُ مولانا – أطالَ اللهُ

---

٣٩ انظر الفقرة رقم : ٢٥ .

٤٠ كتاب ما بعد الطبيعة فيه ثلاث عشرة مقالة ؛ ويعرف أيضاً بكتاب الحروف ؛ انظر تاريخ الحكماء : ٤١ – ٤٢ وابن أبي أصيبعة ١ : ٥٨ .

٤١ قوله : «كان على الخير لا الشر» كلام مشكل ؛ وفحوى الرسالة يدل على أن كاتبها كان عيناً للدولة ، ولذا فإن صواب العبارة «كان على الخبر» أي كان يتجسس . وابن سعدان اسمه أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بالعارض ، كان وزيراً لصمصام الدولة البويهي بين ٣٧٢ و ٣٧٥ ، وقد اتصل به أبو حيان في وزارته ، ويعتبر كتاب « الإمتاع والمؤانسة » من أفضل الكتب المبينة لأحواله إبان وزارته .

....

١ الذي : زيادة من ل .

٢ إ ل : قال بعض الأدباء : كتب إلى ابن سعدان ؛ وهذا النصّ قد اضطرب في الطبعة الدمشقية ووقع في موضعين متباعدين .

بقاءَهُ – وإنْ كان مَنْبوذاً بالعَراء ، مَقْصُوداً بالجَبْهِ ، لا يُلْحَظُ بعناية . ولا يُضافُ[1] إلى كفاية ، فإنّه لِنُصْحِ جَيْبِه ، ونقاءِ ضَميره ، وتَعَصُّبِهِ لهذه الدَّوْلةِ المَيْمُونة ، وعشْقه لهذه الأيّام المأمونة ، يَسْتَقْري الجليَّ متعرِّفاً ، ويستنبطُ الخفيَّ مستشفًّا ، ثم يُنْهيهما على رَسْم الخِدْمَة ، ليكونا مادةً لِرَفْعِ وليٍّ وتَقْديمه ، وقَمْعِ عدوٍّ وتَقْويمه ، وكان كذا وكذا ؛ وأنهيتُ ذلك على مذهب الخَدَم ليكون رأيُهُ مِنْ ورائه ، فإنْ رأى – لا زالت كفُّ السعادة له مُصافِحة ، ولسانُ الدولةِ ناصحة ، ما تَعاقَبَ الجديدان وتَصافَحَ اللَّدِيدان – أن يعرفَ انتصابي للخدمة ، ونفيي القَذَى عن المملكة ، فَعَلَ إن شاء الله .

فلما قرأ [أبو] عبد الله قال : ما أحسنَ ما احتالَ في شَكْوَى حالِهِ بين أضعافِ مدحه ؛ جئني برِقاعِهِ وحاجته ؛ فقَضَى كلَّ حاجةٍ كانت له .

٤٢ – قال كاتب : القلم الرديءُ كالولد العاقّ .

٤٣ – وقالوا : القلم أَحَدُ اللِّسانَيْن[2] ، والعمّ أحدُ الأَبوين ، والتَّثَبُّتُ أحدُ العَفْوَين ، والمَطْلُ أحد المَنْعَيْن ، وقلّةُ العِيالِ أَحَدُ اليسارَيْن[3] ، والقناعةُ أحدُ الرِّزْقَيْن ، والوعدُ أَحَدُ الصَّرْفَين[4] ، والإصلاحُ أَحَدُ الكَسْبَيْن ، والراويةُ أحدُ

---

٤٢ أدب الكتاب للصولي : ٧٤ .

٤٣ كلّ هذا النصّ ورد في أدب الكتاب للصولي : ٧٤ ، وقارن بمجموعة من المثنيات في لقاح الخواطر : ٤٧ ب ، ومجموعة أخرى في أمثال الماوردي : ١٠٤/أ ، ومجموعة ثالثة في أمالي القالي ٢ : ٥٦ .

....

١ وقع هنا خرم في ل ضاعت بسببه أوراق .

٢ رسائل التوحيدي : ٣٨ وأمثال الماوردي : ١٠٤/أ ولقاح الخواطر : ٤٧ ب .

٣ رسائل التوحيدي : ٣٨ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٢٠ و ٥١٧ والتذكرة الحمدونية ١ : رقم ٢٢٠ وعيون الأنباء ١ : ٢٩ (أبقراط) .

٤ الصولي : والوعيد أحد الضربين .

الهاجيَيْن[1] ، والهجرُ أحَدُ الفِراقَيْن ، واليأسُ أحدُ النُّجْحَيْن ، والمزاحُ أحدُ السِّبابين .

٤٤ – سألت السيرافيَّ عن قول من قال : المزاحُ سُمِّيَ مزاحاً لأنه أزيحَ عن الحقّ ، فقال : هذا محكيٌّ عن ابن دريد ، وهو باطل ، والميم من سِنْخِ الكلمة في « مزحت أمزح » ومن « أُزيحَ » تكونُ زائدةً .

٤٥ – وقال أبو سعيد : كان أبو بكر[2] ضعيفاً في التصريفِ والنحوِ خاصّةً ، وفي كتاب « الجمهرة » خَلَلٌ كثير ، قلنا له : فلو فصلتَ بالبيانِ عن هذا الخَلَلِ وفتحتَ لنا باباً من العلم ، فقال : نحن إلى سَتْرِ زلّات العلماء أحوجُ منّا إلى كَشْفها ، وانتهى الكلام ، فلما نهضنا من مجلسه قال بعضُ أصحابنا : قد كان ينبغي لنا أنْ نقول له : حراسةُ العلمِ أَوْلى من حراسة العالم ، وفي السكوتِ عن أبي بكرٍ إجلالٌ ولكنْ خيانةٌ للعلم[3] .

٤٦ – فاخرَ صاحبُ سيفٍ صاحبَ قلمٍ ، فقال صاحبُ السيف : القلمُ خادم السَّيْفِ إنْ بَلَغَ مُراده ، وإلّا فإلى السيفِ مَعَاده .

٤٧ – شاعر : [الكامل]

---

٤٦ أدب الكتاب للصولي : ٧٥ .

٤٧ أورد ياقوت منها في معجم الأدباء ١٨ : ٣٠٣ ثمانية أبيات ، ونسبها لأبي العيناء (ط. دار المأمون) ، ومنها بيتان في محاضرات الراغب ١ : ٩٨ .

---

١ محاضرات الراغب ١ : ٤٠٢ .

٢ يعني ابن دريد (انظر الفقرة السابقة) .

٣ ليس هذا وحسب ، بل إن اتهام ابن دريد بوجود خلل في كتابه الجمهرة يظلُّ اتهاماً قائماً دون إثبات ، وما أسهل هذا على الطعانين الذين يسارعون إلى وصم العلماء بالعيوب . ففي تبيان مواضع الخلل إزاحة للتهمة عن من يسوقها ، إلى جانب الفوائد التي يجنيها المتعلمون .

تَعِسَ الزمانُ لقد أتى بِعُجابِ ومَحَا سُطورَ الفضلِ والآدابِ
وأَتى بكتَّابٍ لَوِ انطلقَتْ يدي فيهمْ رَدَدْتُهُمُ إلى الكُتَّابِ
نَعَمٌ من الأَنعامِ إلا أَنَّهُمْ من بينهم خُلِقُوا بلا أَذنابِ

٤٨ – قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : أَعظمُ النساءِ بَرَكَةً أحسنُهُنَّ وجهاً وأَرخصهنَّ مهراً .

٤٩ – وقال عليه السلام : أفضل ما أفاد المسلمُ بعدَ الإسلام امرأةٌ مؤمنةٌ ، إذا رآها سرَّتْهُ ، وإذا أقسم عليها بَرَّتْهُ .

٥٠ – يقال : التَّزْويل هو أنْ يمتدَّ الأير ولا يشتدّ ، والإكسال أن يجامعَ الرجلُ ولا يُنْزِل .

٥١ – قال الكسائي : أَفدتُ المالَ أَعطيته غيري ، وأفدتُهُ استفدتُهُ ؛ قال الناس : يقال : فادَ المالُ نَفْسُهُ [لفلانٍ] يَفِيدُ إذا ثَبَتَ له مالٌ ، والاسم الفائدة ؛ وفادَ الرجلُ إذا مات .

٥٢ – وقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم : إِنّمَا النساءُ لُعَبٌ ، فليستحسنِ الرجلُ لعبته .

٥٣ – وقال عليه السلام : خيرُ نِساءٍ ركبنَ الإبلَ هُنَّ صوالحُ قريشٍ ،

---

٤٨ الجامع الصغير ١ : ٤٧ وكشف الخفا ١ : ١٦٤ « أيسرهن مؤونة » ، وهو حديث صحيح عن عائشة ، أورده أحمد في مسنده والحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان ؛ وفي الجامع الصغير ٢ : ١١ : خير نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً ؛ وفي نزهة الأبصار والأسماع : ١٨ : أكرم النساء أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً .

٥٢ أورده في نزهة الأبصار والأسماع : ١٨ .

٥٣ الحديث في الجامع الصغير ٢ : ١١ ، وهو صحيح عن أبي هريرة ، أورده أحمد في مسنده والدارقطني ؛ وانظر البيان والتبيين ٢ : ٢٧ – ٢٨ .

أحناهُنّ على ولدٍ ، وأرعاهُنّ على زَوْجٍ في ذاتِ يَدٍ .

٥٤ — مات أعرابيٌّ عن أعرابيةٍ يقال لها طَيْبَة ، وخلَّف عليها بُنَيًّا ، وتزوجت المرأةُ سِرًّا والغلامُ لا يعلمُ ، وكانت تختضبُ وتكتحلُ ويَرَى الغلامُ ما لا يُعْجبه ، وكان الرجلُ يأتيها ليلاً وينصرفُ مع الصبح ، فقال الغلام : [الرجز]

يا طَيْبَ ما هذا بفعلِ حانِيَهْ
أَكلَّ يوم حُلَّةٌ مدانِيَهْ
وكحلُ عينينِ وكفٌّ قانِيَهْ
إمّا على بَعْلٍ وإمّا زانِيَهْ
واللهِ ما أَرضى بهذا ثانِيَهْ

الحانية : المتعطِّفة ، والمصدر الحنوّ ، فأَما قولهم : حَنَّتِ النعجةُ فيريدون اشتهتِ الذَّكَر .

٥٥ — قال أعرابي : في وَصْفِ الجاريةِ يقال : ناصعةُ اللونِ ، جيدةُ الشَّطْب ، نقيَّةُ الثَّغْر ، حَسَنَةُ العينِ والأَنف ، ظريفةُ اللِّسان ، واردةُ الشَّعْر ؛ يقال في اللغة : التَّليعة : الطويلة العنق ، ويقال : فيها تَلَعٌ .

٥٦ — قيل لأعرابيّ : أتحسن وَصْفَ النِّساء ؟ فقال : إذا عَذُبَ طرفاها ، وسَهُلَ خَدّاها ، ونَهَدَ ثَدْياها ، ولَطُفَ كفَّاها ، وبضَّ ساعداها ، وعَرُضَ وَرِكاها ، والتفَّ فخذاها ، واخدلَّجَ ساقاها ، فهي هَمُّ النفسِ وَمُنَاهَا .

---

٥٦ المحاسن والأضداد : ١٤١ ومحاضرات الراغب ٢ : ٣١٠ و ٣١١ وتحفة العروس : ١٠٨ ، وفيه : وقيل لأعرابيّة : أتحسنين وصف النساء؟ فقالت : نعم ، قيل لها : صفي لنا امرأةً كاملة ، قالت : إذا سحرت عيناها وسهل خدّاها . . . الخ .

٥٧ – قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : للمُسْلِم على أخيهِ حُقوقٌ لا بَراءَ له منها إلّا بأداءٍ أو عَفْو ، منها : يَغْفِرُ زَلّتَهُ ، ويرحمُ عَبْرَتَهُ ، ويقدِّمُ نَصِيحَتَهُ ، ويُديمُ صِلَتَهُ ، ويَعودُ مَرْضَتَهُ ، ويُجيبُ دَعْوَتَهُ ، ويَقبلُ هَدِيَّتَهُ ، ويكافىءُ صِلَتَهُ ، ويَشكرُ نِعمتَهُ ، ويُحْسِنُ نُصْرَتَهُ ، ويَحفظُ حَليلتَهُ ، ويَقضي حاجتَهُ ، ويُشَفِّع مسألتَهُ ، ويُشَمِّتُ عَطْسَتَهُ ، ويَنْشُدُ ضالَّتَهُ ، ويَردُّ سَلامَهُ ، ويُطَيِّبُ كلامَهُ ، ويَبَرُّ إنعامَهُ ، ويُصدِّقُ أقسامَهُ ، ويُواليه ولا يُعاديه ، وينصُرُه ظالماً ومظلوماً ، وأمّا نُصْرَتُهُ له ظالماً فيَردُّهُ عن ظُلْمهِ ، وأمّا نصرَتُهُ مظلوماً فمَفْهُوم ، ولا يَخْذُلُهُ ، ويحبُّ له من الخير ما يحبُّ لنفسه ، ويكرهُ له من الشَّرِّ ما يكرهُ لنفسه .

٥٨ – ثم قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وعلى آله يقول : إنَّ أحدكم ليَدَعُ من حُقوقِ أخيه شيئاً فيُطالَبُ به يومَ القيامة فيُقْضَى له عليه .

٥٩ – وقال أيضاً : إنَّ أحَدَكُمْ ليَدَعُ تشميتَ أخيه إنْ عَطَسَ فيُطالَبُ به يومَ القيامة .

٦٠ – قال الحَكَمُ الأعرابيّ ، قال رَوْح بن حاتم : بينا أنا واقفٌ على بعض وُلاةِ البَصْرة إذ أقبل خالدُ بنُ صَفْوان ، فنظر إليَّ وقال : يا ابنَ أخي ، واللهِ ما بكَّرْتُ ولا هَجَّرْتُ إلى بابِ أَحَدٍ من الوُلاةِ إلّا رأيتُك واقفاً عليه ، أكُلُّ هذا حُبٌّ منكَ للدنيا وحِرْصٌ عليها ؟ قال : فأجْلَلْتُهُ عنِ الجواب وقلتُ إنَّمَا هو عَمٌّ ، ولعلَّهُ أَراد أن ينفِّرَني لِيَعْلَمَ ما عندي في جَوابهِ ، فقلتُ : واللهِ يا عمّ ، حَسْبُك برؤيتك إيايَ عليها طَلَباً منك للدنيا ، فضحك وقال : يا ابنَ أخي ، إنْ قلتَ ذاك لقد ذهبَ ماءُ الوجه وَسَناءُ البَصَر ، واقتربَ عَهْدُ العلل ، واللهِ ما أتتْ

---

٦٠ وردت في البصائر ٥ ، الفقرة : ٥٧٣ .

علينا ساعةٌ من أعمارنا إلّا ونحن نُؤثِرُ الدُّنيا على ما سواها . ثم ما نزدادُ لها إلّا تَحَلِّياً ، ولا تزدادُ عنّا إلا تَوَلِّياً .

٦١ – قيل لأعرابيّ : ما خلّفتَ لأهلك ؟ قال : الحَافِظَيْن . قيلَ : وما هما ؟ قال : أُعْرِيهُنَّ فلا يَبْرَحْنَ . وأُجيعُهُنَّ فلا يَمْرَحْنَ .

٦٢ – وقال كعب بن جُعَيْل : [الطويل]

مَدَحْتُ قريشاً واصطفيتُ ابنَ خالدٍ ... وللخَيْرِ آياتٌ بها يُتَوَسَّمُ
وكنتُ كمرتادٍ بمنقارِهِ الثَّرَى ... وصادفَ عَيْنَ الماءِ إذْ يَتَرسَّمُ
غِيَاثُ الجياعِ والمراضيعِ إنْ نَشَا ... بمكةَ يومٌ ذو أهابيَّ أيتَمُ
فإنْ يَسْأَلِ اللهُ الشُهورَ شَهادةً ... يُنَبِّىءْ جُمادَى عنكُمُ والمُحَرَّمُ
بأنكُمُ من خَيْرِ مَنْ وَطِىءَ الحَصَى ... إذا طفقَ المُعْطِي يَضِنُّ ويَسْأَمُ

٦٣ – قال ابن أَبي بُرْدَة : غزا قومٌ الدَّيْلَمَ فأُسِروا ، وأَسْرُ الدَّيْلَمِ شديد ، قال : فاشتكى ابنُ ملكِ الدَّيْلَم فقالت أُمُّهُ : اذهبوا به إلى العربِ لعلَّ عندهم دواءً ، فجاءت به امرأةٌ فقال لها رجل : هاتيه ، فقال له رفيقُهُ : أنشدك الله لا تُعَرِّضْنا للهَلَكَةِ . قال : هاتيه . فجعل يُعَوِّذُهُ ويقول : [الطويل]

---

٦١ قارن بالأغاني ٢ : ٣٨٣ و ١٢ : ٢٦٠ حيث ورد القول منسوباً مرة لابن ميادة ومرة عقيل ابن علفة ، وهو في ربيع الأبرار : ٣٨٨ أ لأعرابي و ٣٨٨ ب لابن ميادة . وفي عيون الأخبار ٤ : ٧٨ (لعقيل) وبهجة المجالس ٢ : ٣٠ والتذكرة الحمدونية ١ : رقم ١١٧٥ (لابن ميادة) وأمالي القالي ٣ : ١٠٦ (لعقيل) .

٦٢ كعب بن جعيل بن عجرة التغلبي شاعر إسلامي مبكر . كان شاعر معاوية وأهل الشام يمدحهم ويردّ عنهم ويرثي موتاهم ويذمّ علياً ، وشهد صفّين مع معاوية . ومات سنة ٥٥ ، انظر معجم الشعراء للمرزباني : ٣٤٤ والإصابة ٣ : ٣١٤ (رقم : ٧٤٩٠) وطبقات ابن سلام : ٥٧٢ والشعر والشعراء : ٥٤٣ (وانظر حواشيه) .

أَيا أُمَّ ذا المولودِ لا شَبَّ قَرْنُهُ ولا زالَ فيه سُقْمُهُ يَتَرَدَّدُ
ويا أُمَّ ذا المولودِ جُودي بكِسْرةٍ لشيخينِ من هَمْدانَ قَيْسٌ ومَرْثَدُ

قال : فما أَتَتْ له ثالثةٌ حتى بَرَأَ ، فَخُلِّيَ عنهم كلّهم .

٦٤ – قال النَّاشيءُ في كتاب « نقد الشعر » : ومخاطباتُ النساءِ تَحْلو في الشِّعرِ وتعذُبُ في القَريض . لا سيَّمَا لغانيةٍ قد أطرَّ الفتاءُ شَارِبَها ، وزوى الإِباءُ حاجِبَها ، وأشطَّ الجمالُ قوامَها ، وأفردَ الحُسْنُ تَمامَها ، وأَنْجَلَ الهوى عَيْنَيْها ، وأمرضَ الزَّهْوُ جَفْنَيْها ، وأرابتِ الصَّبابةُ ألفاظَها ، وفتَّر الرُّنُوُّ ألحاظَها ، وأرهفَ الظَّرْفُ أعطافَها ، وألانتِ النِّعْمَةُ أطرافَها ، ولذَّ للراشفِ مَبْسمُها ، واطَّردَ ماءُ النعيم بين رياضها وجنَّاتها ، وترقرقَ جِرْيالُ الشبابِ على سَحْناتها ، وجدلَ للضمِّ قدُّها ، ومالت للجاذب جَمائرها ، ودالتْ للقاضبِ غَدائرُها ، وشَخَصتْ للوُفور مآكمُها ، وظمئتْ للذُّيولِ فُضولُها ، وسَهلتْ للعيون حُجُولُها ، وطابتْ للمتنسِّم مَلاغمُها ، وأَرِجَتْ للمتنعِّم فواغمها ، فكيف إذا هي برزتْ من حِجابها ، وسفرتْ عن نِقابها ، وتَهادتْ بين أترابها ، وقد هزَّ الريحُ أَردانَها ، واستعزَّ المراحُ أكنانَها . بل كيف هي إذا أمَّلها سائلُها ، وأكلَّها مُقاولُها ، وأعرضتْ عنه صَدُوفاً . وتأوَّهَتْ منه عَزُوفاً . وقد قَطَّبَ التِّيهُ جَبينَها ، واستغضَّ الأنفُ عِرْنينها . واستخفَّها الطَّرَب ، واستهواها العُجْب ، فافترَّتْ مبتسمةً عن شَتيت أَنْيابها . ومَعْسُولِ رُضابها ، وكيف تَقَرُّ نَفْسُ عاشقها إذا هي لَسَنَتْهُ بعتابها ، ولَحَتْهُ بسبابها ، وقد لاثتْ ذوابلَ أَثوابها ، وحسرتْ فواضلَ أَسْلابها . وطفقتْ تعدُّ ذنوبَهُ بخناجرها ، وتأبى مَعاذيرَهُ بمكاسِرها ، وهل تطوعُ لها أُمنيةٌ إذا أعتبتهُ من صَدِّها ، وبذلتْ له مَصُونَ ودِّها ، ثمّ أَسْعَفَتْهُ بزوْرَةٍ وَسِنَتْ لها عينُ راقبها ، وغِيلَتْ بها نفسُ عاقبها ، وقد التفعَتْ إليه مُلاءَ ليل ، أَو وطئتْ إليه أعقابَ قَيْل ، قد خزل الأَيْنُ أياطلها ، وبَلَّ البُهْرُ غلائلها ، وقصرت له أعاليها وأَسافلها ، وأوجلَ الوَجَلُ فرائصها ، وأوجى العَجَلُ

أخامصها ، ثم طفقتْ تَسْتَعتِبُ نفسَها وتستكفّها . حتى إذا أَسمحتْ بها قرونتها ، وأَسجحتْ لها سجيَّتها ، وسكَنَ إلى الإيناسِ قَلَقُها . وأسرعَ إلى الإبساس عَلَقُها ، ناسَمَتْهُ من حَديثها بمَا هو أقَرُّ لعينه . وأَشْهَى إلى نفسه من طول بقائها . ودوام نعمائها . ولنا في هذا الباب ما لم يخرج عن مذهب القوم . منه[1] : [المتقارب]

فَدَيْتُكِ لو أنَّهُم يعقلون[2] لَرَدُّوا النواظرَ عن ناظرَيْكِ
ألم يقرءوا وَيْحَهُمْ ما يَرَوْنَ من وَحْيِ قلبكِ في مُقْلَتَيْكِ
وقد جعلوكِ رَقيباً عَلَيْنا فمن ذا يكونُ رقيباً عليكِ

٦٥ – سأل سعيد بن فلان عُبيد الله بن زياد أن يتغدّى عنده ، فأجابه وأمر بحَمْل البُسط والفرش . ووجّه إليه الخبّازين والطبّاخين ، فلما دخل عبيد الله قال : هاتِ ما عملتَ . وبعث إلى منزله فحمل وأكل . فلمّا فرغ قال له سعيد : أصلح اللهُ الأمير . لا يخرجُ من منزلي شيء . قال : دعنا نخرج .

٦٦ – قال المدائني : قال سَلْم بن زياد لرجلٍ يُقال له طَلْحة الخزاعيّ : إني أريد أن أصِلَ رجلاً له حقٌّ وصُحْبَةٌ بألف ألْفٍ . فما ترى ؟ قال : أرى أن تجعلَ هذه لعشرة . قال : فخمس مائة ألف ، [قال : كثير] قال : رجل بمائة

---

٦٦ الموفقيات : ٣٣ – ٣٤ والتذكرة الحمدونية (رئيس الكتّاب ، الورقة : ١١٤) .

....

١ منها أربعة أبيات في ديوان المعاني ٢ : ٢٢٨ - ٢٢٩ والمنتظم ٦ : ٥٨ والأغاني ٢١ : ٧٢ وإنباه الرواة ٢ : ١٢٩ ووفيات الأعيان ٣ : ٩٢ وتاريخ بغداد ١٠ : ٩٣ والوافي بالوفيات ١٧ : ٥٢٤ ، وفيه : قال محمد بن خلف بن المرزبان : اجتمع عندي أحمد بن أبي طاهر والناشئ ومحمد بن عروس . فدعوت لهم مغنية . فجاءت ومعها رقيبة لم ير الناس أحسن منها ، فلما شربوا أخذ الناشئ رقعة وكتب فيها : « فديتك . . . الأبيات » ؛ وهي المقطوعة رقم : ٩٢ في مجموع شعره بمجلة المورد .

٢ الوافي : أنصفوك .

ألف؟ قال : نعم . قال : وبها يُقْضَى ذِمامُ رجلٍ له صُحْبَةٌ؟ قال : نعم . قال : هي لك فمَا أردتُ غيرَكَ . قال : أَقِلْني . قال : لا فعلتُ أبداً .

٦٧ – قال الأصمعي : دُهاةُ العربِ أربعةٌ كلُّهم وُلِدوا بالطائف : مُعاوية ، وعمرو بن العاص ، والمُغيرة بن شُعْبَة ، والسَّائب بن الأقرع .

٦٨ – قال : لمَّا أُتِيَ سليمان بن عبد الملك برأس قُتيبة كتب لوَكيع بن أبي سود عهده على خراسان ، فقال يزيدُ بنُ المهلَّب لإبراهيم بن الأهْتَم : إنْ رددتَ أميرَ المؤمنينَ عن رأيه في وَكيع فلك مائةُ ألفٍ ، فقام ابنُ الأهتم فتكلمَ بكلامٍ تَفرَّقَ الناسُ عن استحسانه فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ وكيعاً أدركَ في الثأر ، وبالغَ في الطاعة ، فجزاهُ اللهُ خيراً ؛ غير أني لو خفتُ من إحدى يديَّ خِلافاً على أمير المؤمنين لأحْبَبتُ انْبِتاتَها مِنْ صاحبتها ، وإنّ وكيعاً لم يملك مائتي عَناق قَطُّ فحدَّثَ نَفْسَهُ بالطاعة ، فلا تأخذنا بحديثٍ إن كان منه ، فقال سليمان : ويلك فمن لخُراسان؟ قال : العبدُ في الطاعة ، والأخُ في النصيحة ، يزيد ؛ فولَّاه .

٦٩ – قال بعضُ جلساءِ الأمراء : واللهِ لقَوْلَةُ «يا غُلام ، هاتِ الطعام» أحبُّ إليَّ من صوتِ ابنِ سُرَيْج .

٧٠ – قال : كان الحجَّاجُ يُوضَعُ له في كلِّ يومٍ ألفُ خِوانٍ لأهل

---

٦٧ نور القبس : ١٦٥ وربيع الأبرار ١ : ٧٩٣ ولقاح الخواطر : ٣٦ ب .

٦٨ قتيبة هو ابن مسلم ، وقد قتله وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود التّميمي الغداني أبو مطرف سنة ٩٦ ، واستولى وكيع بعد ذلك على خراسان ، وكان خطيباً مفوهاً ؛ انظر تاريخ الطبري ٢ : ١٢٨٣ – ١٣٠٤ ومروج الذهب ٥ : ٢٢٢ والبيان والتبيين ٢ : ٢٣٦ – ٢٣٧ ؛ وقد ولّى سليمان على خراسان بعده يزيد بن المهلب .

٧٠ العقد ٥ : ١٤ – ١٥ ونثر الدرّ ٥ : ١٣ ومطالع البدور ٢ : ٤٩ ، وقارن بربيع الأبرار ٢ : ٧٤٩ .

الشام ، على كلِّ خوانٍ قفيزٌ من دَقيق وسبعةُ أرطالِ قَديد وجنبُ شِواءٍ وسَمَكةٌ وجَرَّةُ لبنٍ وجَرَّةُ ماءٍ وعسل ، فشكوا يوماً قلّةَ المَرَق ، فدعا صاحبَ الطعامِ وضربه مائتي سَوْط وقال : يشكونَ قِلَّةَ المرقة وأنتَ على دِجْلَة ؟!

٧١ – قال الأصمعي : قلتُ لأعرابيّ : هل لك في ثَريدَة ؟ قال : [الرجز]

ثـريـدةٌ مَـحْـمـومَـهْ في صَحْفَةٍ مَكْمومَهْ
قد أُلْحِفَتْ رُقاقا وجُـلّـلَـتْ[١] عُـراقـا

٧٢ – أتى أبو دُلامَةَ أبا جعفر المنصور وهو سكران ، فأمرَ بحبسه في السجن ، فلمّا أصبحَ وصَحَا كتبَ إليه : [الوافر]

أميرَ المؤمنين فَدَتْكَ نفسي عَلامَ حَبَسْتَني وخَرَقْتَ ساجي
أَمِنْ صَهْباءَ صافيةِ المِزاجِ كأنَّ شُعَاعَها لَهَبُ السِّراجِ
تُسَرُّ بها القلوبُ وتَشْتَهيها إذا بَرزتْ تُقَرْقِرُ في الزُّجاجِ
وقد طُبِخَتْ بنارِ اللهِ حتّى لقد صارتْ على النُّطَفِ النِّضاجِ
أُقادُ إلى السُّجُونِ بغير جُرْمٍ كأنّي بعضُ عُمَّالِ الخَراجِ
ولو معهم حُبِسْتُ لطابَ عَيْشي ولكنّي حُبِسْتُ مَعَ الدَّجاجِ
وقد كانتْ تُخَبِّرني ذُنُوبي بأنّي من عذابكَ غيرُ ناجِ

---

٧١ محاضرات الراغب ١ : ٦١١ .
٧٢ ورد من أبيات أبي دلامة تسعة في العقد ١ : ٢٦١ – ٢٦٢ وثلاثة في ربيع الأبرار ١ : ١٨٠ ، وانظر الأغاني ١٠ : ٢٦٣ ومعاهد التنصيص ٢ : ٢٢٠ وجمع الجواهر : ٢١٣ وسرور النفس : ٢٥ .

...

١ محاضرات : وكللت .

على أنّي وإنْ لاقيتُ شرًّا   لِخَيْرِكَ بعد ذاكَ الشرِّ راجِ

٧٣ – قال ابن المعتزّ : قلتُ لبعضِ أصحابنا : كم تكونُ تاركاً للتَّوبَةِ مُماطلاً بها ؟! فقال : قد قالَ اللهُ تعالى : ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وآخرَ سَيِّئاً عَسَى اللهُ أن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ (التوبة : ١٠٢) ، وعسى : إطماع ، والكريم إذا أطمعَ فعل ، قلتُ : فأينَ قولُ الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة : ٨) ، فقال : يَراهُ فيغفر له .

٧٤ – قال ابن المعتزّ : قال بعضُ أصحابنا : لا تُنزلِ الهَمَّ قلبَكَ إلّا على أشخاص ، فإنّ الهَمَّ يتعلقُ بعضُهُ ببعض .

٧٥ – قال الصُّوفيّ : لا تُباغِضْ نفسَكَ فلا بُدَّ من أن تغترَّ قليلاً ، وإلَّا فَسَدَتْ دُنْياكَ وأسأْتَ مُعاشَرَةَ نفسِكَ .

٧٦ – قال ابن المعتزّ : لما جاء جعفر بن يحيى من الرَّقَّة شيَّعَه عبدُ الملك بن صالح ، فلمَّا أراد الانصراف قال : حاجةً ، قال : وما هي ؟ قال : أن تكون كما قال الشاعر : [الطويل]

وكُوني على الوَاشِينَ لَدَّاءَ شغْبَةً   كما أنا للوَاشي أَلَدُّ شَغُوبُ[1]

فقال جعفر : بل نكون كما قال الشاعر : [الرمل]

وإذا الوَاشي أتى يَسْعَى بها   نَفَعَ الواشي بمَا جاءَ يضُرْ

---

٧٣ محاضرات الراغب ٢ : ٤٠٩ .

٧٦ محاضرات الراغب ١ : ٤٠٠ و ٢ : ٦٧ ؛ والبيت « وكوني على الواشين . . . » لكثير في الأغاني ٤ : ٢٦٩ وديوانه : ٥٢٣ . وليزيد بن الطثرية في طبقات ابن سلام : ٥٩٠ .

....

١ الألد : الخَصِم ؛ والشغوب : الذي يهيج الشر .

قال ابنُ المعتزّ : وإنمَا أراد أن يُؤنِّبَ جعفراً فأنَّبهُ جعفر .

٧٧ – لأبي نُواس : [الطويل]

مُقَرْطَقَةٌ لم يُشْقِها سَحْبُ ذَيْلها ولا نازَعَتْها الرِّيحُ فَضْلَ البَنائقِ[1]
كأنَّ مَخَطَّ الصِّدغ في صَحْنِ وَجْهِها بَقِيَّةُ أنْقاسٍ بإصبَعِ لائقِ[2]

٧٨ – وقال ابن المعتزّ : قرأتُ بخطِّ أبي المعسكر المسمعي ، حَدَّثني أبو عبيد قال ، حدَّثنا أبو سعيد البَصْري قال ، حدّثنا الحسن بن عَرَفَة قال ، حدّثني عيسى بن يونس عن الأوزاعي قال : وَثَبَ خالد بن عبد الله القَسْري على امرأةٍ فقبَّلها ، فشكَتْهُ إلى رسولِ الله صلَّى اللهُ عليه وسلّم ، فأرسل إليه فاعترفَ وقال : إنْ شاءت فلتقتصَّ منّي ، فتبسَّمَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلَّم وقال : أو لا تعود ، قال : لا أعودُ يا رسول الله .

ولا أدري مَنْ هذا القَسْريُّ وكيف هذه الرواية .

٧٩ – بشر بن يزيد الكاتب : [المتقارب]

أيا دِمَنَ الدّارِ لولا الخُدودُ ولولا الجُفونُ ولولا المُقَلْ
ولولا الأَقاحِيْ ولولا النُّحورُ ولولا السَّوالفُ مِنْ ذاتِ دَلّْ

---

٧٧ البيتان في ديوان أبي نواس : ٨٧١ – ٨٧٢ .

٧٨ الحسن بن عرفة بن يزيد أبو علي العبدي البغدادي المؤدب محدّث صدوق لا بأس به . توفي سنة ٢٥٧ (تهذيب التهذيب ٢ : ٢٩٣) ؛ وعيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي أبو عمرو وأبو محمد الكوفي محدّث سكن الشام وروى فيمن روى عن الأوزاعي ، وتوفي سنة ١٨٧ أو ١٩١ (تهذيب التهذيب ٨ : ٢٣٧) .

---

١ البنائق : جمع بنيقة ، وهي لبنة القميص .
٢ النقس : الحبر ؛ واللائق : الذي يصلح مداد الدواة بالليقة .

ولولا القُدودُ ولولا الخُصُورُ ولولا ضَفائرُ وَحْفٍ رَجَلْ
ولولا التَّعانقُ عند اللقاءِ بعد الفِراقِ ولولا القُبَلْ
لهانَتْ على العاشقينَ الدِّيارُ ورسْمُ الرُبُوعِ ومَحْوُ الطَّلَلْ

٨٠ – آخر : [الكامل]

يا رُبَّ كأسٍ قد سبقتُ بها عَذْلَ العَذُولِ وغُرَّةَ الشَّمْسِ
وكأنَّمَا اليومُ الطويلُ بها قِصَراً وطِيباً قُبْلَةَ الخَلْسِ

٨١ – آخر : [الكامل]

صَبَحْتُهُمْ والصُّبْحُ يَنفُضُ رأسَهُ قد هَمَّ بالإِسْفارِ أو لم يُسْفِرِ
والليلُ مُنْهزِمُ الظَّلام يَشُلُّهُ صُبْحٌ كناصيةِ الحِصَانِ الأشقرِ

٨٢ – لعُمارة بن طارق : [الرجز]

فصبَّحَتْ قبلَ الصباحِ الفائقِ وقبل عُصْفورِ الأذانِ الناطقِ
والصبحُ كالسربالِ ذي البَنائقِ والنَّجْمُ كالزّندِ أمام السائقِ

٨٣ – وقيل لجمعة الإيادية : أيُّ الغيث أحبُّ إليكِ؟ قالت : ذو الهَيْدَبِ المُنْبَعِق ، الأضخمُ المُؤْتَلِق ، والصَّخب المُنْبَثِق .

٨٤ – شاعر[1] : [الرجز]

---

٨١ ربيع الأبرار ١ : ٥٨ .

٨٣ جمعة الإيادية هي جمعة بنت الخس ، شاعرة من شواعر العرب في الجاهلية ، لها كلام طويل مع القلمس الكناني في سوق عكاظ أورده صاحب بلاغات النساء (انظر أعلام النساء ١ : ٢٠٦) .

....

١ هنا نهاية الخرم في ل .

جادَكِ يا بغدادُ من بلادِ ... صَيِّبُ كلِّ رائحٍ وغادِ

يا لَيْتَ شِعْري والحنينُ زادي ... هل لي إلى ظِلِّكِ من مَعَادِ

للهِ ما هِجْتِ على البعادِ ... لقلبِ حَرَّانَ إليكِ صادِ

بُدِّلَ من رَبْعكِ بالبوادي ... وقَفْرةٍ مُوحِشَةِ الأطوادِ

مجهولـةٍ مُجْدِبةٍ حَمادِ ... ورَمْلـةٍ مُتْعِبَةِ الإصعادِ

تَخالُ في كُثْبانها الجعادِ ... خُطوطَ أقلامٍ بلا مِدادِ

٨٥ – قال أرسطاطاليس في كتاب « الحيوان » : إذا جاع الثعلبُ ولم يقدر على صيدٍ يأكلهُ استلقى على ظهرِه ونَفَخَ بطنَهُ ، فتحسبه الطير قد مات فَيَقَعْنَ عليه ، فيثبُ ويأخذُ بعضها .

٨٦ – وقال في الضَّبُع أيضاً : تَصيرُ مرةً أنثى وتصير مرةً ذَكَراً ، وتبدِّلُ في كلِّ سنة ، تلقحُ أحياناً كالذَّكَر ، وتقبل اللِّقاح كالأنثى ، لاختلاط جوهرها[1] وتلوُّنهِ ؛ وزعم أنّها إذا رأتِ الكلبَ في ليلةٍ مقمرةٍ يمشي على الإجَّار وطئت ظِلَّهُ فوقع[2] ؛ وأنَّ من كان معه لسانُ ضَبُعةٍ فمرَّ بين الكلابِ لم تكلب عليه ، وأنَّ مَنْ مرَّ في مكانٍ كثيرِ الضِّباع وأخذ بيده أصلاً من أصول الحَنْظَل هربتْ من بين يديه .

٨٧ – قال ، وقال في الذئب : إنْ رأى إنساناً[3] قد خافه اجترأ عليه ،

---

٨٥ قارن بالإمتاع والمؤانسة ١ : ١٧٩ .

٨٦ قارن بالإمتاع والمؤانسة ١ : ١٨٠ و ١٧٧ .

٨٧ بعضه في الإمتاع والمؤانسة : ١٨٣ (ببعض اختلاف في الرواية) .

....

١ ل : لاختلاطه .

٢ ل : فيقع .

٣ ل : الإنسان .

وإن حَمَلَ عليه تأخَّرَ عنه ؛ وذكر أنّه إنْ خفيَ عليه مكانُ الغنمِ عَوَى حتى تسمعَ الكلابُ صوتَهُ وتَنْبح ، فيَقصدها للغَنَم التي معها ، فإذا قَرُبَ من الغنم عَوَى ، فتقصدُ الكلاب صوتَهُ وتجتمع إلى ناحيته ، ثم يُخَالِفُها فيقصد ناحيةً خاليةً منها فيختطفُ من الغنم ؛ وزعم أنَّ الذئبَ إن[1] وطىء على العُنْصُل[2] ماتَ من ساعتِهِ ، والثعلبُ يأتي بهذه البقلة فيَضَعُها في جُحْرِه لئلا يأتيه الذئب فيأكل جراءَهُ .

٨٨ — وقال في الجراد : إنَّهُ إنْ ظَعَنَ ظَعَنَ كلُّه مثل العسكر العظيم ، وإنْ حلَّ حلَّ جميعُهُ ، وإنْ وقع في المزارعِ لا يتحرَّكُ ساعةَ وَقُوعهِ حتى يأتيَهُ وحْيٌ من السماء ، وليس من طبيعته ، وقال ابنُ المعتزّ : فهذا يكذِّب[3] بالوحي إلى الآدميين ، ويُصدِّقُ [به] إلى الجراد .

٨٩ — وأنشد للراعي : [الطويل]

فَبِتُّ وباتَ الحاطِبَانِ وراءها ... بجَرْداءَ مَحْلٍ يَأْلِسَانِ الأفاعيا[4]
فما بَرِحا حتى أَجَنَّا فُروخَهَا ... وضَمَّا من العِيدانِ رَطْباً وذاويا
إذا حَمَشاها بالوقودِ تَغَيَّظَتْ ... على اللَّحمِ حتى تَتْرُكَ العَظْمَ باديا[5]

٩٠ — وله : [الطويل]

---

٨٩ ديوانه : ٢٩١ (ڤايبرت) ٢٥٢ (قيسي وناجي) . والبيت الثالث في اللسان والتاج (غضب) والأشباه والنظائر ٢ : ٢٤٠ .

٩٠ سها عنها ڤايبرت . وأدرجها القيسي وناجي في مجموع شعره : ٢٢٧ (نقلاً عن البصائر) .

....

١ ل : إذا .
٢ العنصل : البصل البرّي .
٣ ل : تكذيب .
٤ يألسان : يخدعان .
٥ حمش النار : زادها حطباً ؛ وفي رواية اللسان والتاج « تغضبت على اللحم » .

من الأَثْل أمَّا ظِلُّها فهو بارزٌ   أثيثٌ وأمَّا نَبْتُها فأنيقُ
لها هُدُباتٌ فوق مَيْثاءَ سَهْلةٍ   نَواعمُ ما في ظِلِّهِنَّ فُتوقُ

جمع هُدْبة . وهي أغصان الأثل والأرض .

٩١ – شاعر : [الوافر]

لَعَمْرُكَ إنني لأُحِبُّ نَجْداً   ولستُ أرَى إلى نَجْدٍ سَبيلا
خَليليَّ اقْعُدا لي عَلِّلاني   وضُمَّا مِنْ وِسادِي أنْ تَميلا
ألَمْ تَرَيا جُنُوحي واعتمادي   على الأحشاءِ والصبرَ الجميلا

٩٢ – خرج المهدي يتصيَّد ، فعارَ به[1] فرسُهُ حتى دُفِعَ إلى خِباءِ أعرابيّ ، فقال : يا أعرابيّ ، هل مِنْ قِرىً ؟ قال : نعم ، فأخرجَ له فضلةً من مَلَّةٍ فأكلها ، وفضلةً من كَرِشٍ فيه لَبَنٌ فَسقَاه ، ثم أتاه بنبيذٍ في زُكْرَةٍ[2] فسقاهُ قَعْباً[3] ، فلما شربَ المهديُّ قال : يا أعرابيّ ، أتدري مَنْ أنا ؟ قال : لا ، قال : أنا مِن خَدمِ الخاصَّة ، فقال : بارك اللهُ لكَ في موضعك ، ثم سقاهُ آخرَ فلما شربه قال : يا أعرابيّ ، أتدري مَنْ أنا ؟ قال : نعم ، زعمتَ أنَّكَ من خَدَمِ الخاصَّة ، قال : لا بل أنا من قُوَّادِ أمير المؤمنين ، فقال : رحُبَتْ دارُك ، وطابَ مَزارُك ، ثم سقاهُ قدحاً ثالثاً ، فلما فرغ منه قال : يا أعرابيّ ، أتدري مَنْ أنا ؟ قال : زعمتَ أنَّك من القوَّاد ، قال : لا ولكنّي أميرُ المؤمنين ، فأخذ الأعرابيّ الزُّكْرَةَ فأوكاها وقال : واللهِ لئن شربتَ الرابعَ لتقولَنَّ إنّك رسولُ اللهِ ، فضحك المهديُّ ، وأحاطتْ به الخيلُ وأبناءُ الملوكِ والأشراف ، فطار لبُّ

---

٩٢ نثر الدرّ ٦ : ١١٣ وربيع الأبرار : ٤٢٢/أ .

---

١ ل : فتجاوز به .
٢ الزكرة : زُقَيْق للشراب .
٣ القعب : القدح الضخم الغليظ الجافي .

الأعرابي ، فقال له المهدي : لا بأسَ عليك ، وأمر له بصلةٍ .

٩٣ – لِعَوْف بن مُحَلِّم : [الطويل]

أفي كلِّ عامٍ غُرْبَةٌ ونُزُوحُ أما لِلنَّوى من وَنْيَةٍ فَتُريحُ
لقد طَلَّحَ البَيْنُ المُشِتُّ رَكائبي فهل أرَيَنَّ البَيْنَ وهو طَليحُ
وأرَّقَني بالرَّيِّ نَوْحُ حمامةٍ فنُحْتُ وَذُو الشَّجْوِ الحزينِ يَنُوحُ
على أنَّها ناحَتْ ولم تُذْرِ عَبْرَةً ونُحْتُ وأسرابُ الدُّموعِ سُفوحُ
وناحَتْ وفَرْخاها بحيثُ تراهما وَمِنْ دونِ أفراخي مَهامِهُ فِيحُ
عسى جُودُ عبدِالله أنْ يعكسَ النَّوى فتُلْقَى عصا التَّطْوافِ وهي طَريحُ
[فإنَّ الغِنَى يُدْني الفتى من صديقِهِ وعُدْمُ الفتى للمُقْتِرينَ طَرُوحُ][١]

٩٤ – قال أنس بن مالك لمصعب بن الزبَيْر في رجلٍ من الأنصار : احفظْ فينا وصِيَّةَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : فنزل مصعب عن سريره وتَمَرَّغَ في التراب ووضع خَدَّه على الأرض وقضى حاجته .

٩٥ – مرداس السُّلَمي : [الطويل]

وَغَيْثٍ خَصيبٍ ماؤهُ تحت بَقْلِهِ يُرَوِّعُني منه غُرابٌ وناهِقُ

---

٩٣ شعر عوف بن محلم في طبقات ابن المعتز : ١٨٧ وكتاب العصا : ١٧٨ ومعجم الأدباء ١٦ : ١٤٢ – ١٤٣ (ط. دار المأمون) وفوات الوفيات ٣ : ١٦٣ ؛ وهذه الأبيات معارضة لشعر أبي كبير الهذلي :

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر وغصنك مياد ففيم تنوح

وقد قالها عوف حين طال به البعد عن أهله ، فرق له عبد الله بن طاهر وسرَّحه .

....

١ لم يرد هذا البيت في ل .

تَبَطَّنْتُهُ والطَّيْرُ في وُكُناتِها يُدافِعُ رُكْني سائمُ الطَّرْفِ ناتقُ[1]
قُوَيْرِحُ أعوامٍ كأنَّ سَرَاتَهُ سَراةُ[2] طرافٍ مَدَّدَتْهُ الجُوالقُ

٩٦ – قال محمد بن يزيد الأموي البِشْري – من ولد بِشْر بن مزوان يصفُ حماراً اصطادَهُ : [الوافر]

يظلُّ مفارقاً للعينِ يَكْبُو ومِنْ دُفَعِ الدِّماءِ له إزارُ
كأنَّ النَّقْعَ ممتدًّا عليه رِواقٌ في حواشيه احمرارُ

٩٧ – قال الحجَّاجُ : أيُّها الناس ، اتَّقوا الغُبار فإنَّهُ سريعُ الدُّخولِ بَطيءُ الخروج .

٩٨ – شاعر[3] : [الكامل]

لا أَستلذُّ حديثَ غانيةٍ وأرى حديثَكِ كُلَّهُ حَسَنا
وَوَعَدْتِني وَعْداً فَخِسْتِ به وَمَطَلْتِني فكفَى بذا حَزَنا

٩٩ – آخر : [المتقارب]

بكيتُ الجيادَ وفرسانَها فلم أبْكِ كالفَرَسِ الأبْلَقِ
رَمَتْهُ المنايا فماذا رَمَتْ مِنَ الجريِ والحَسَبِ المُعْرِقِ
طويلُ الذِّراعِ قصيرُ الكُراعِ إذا شاهدَ الجريَ لَمْ يُسْبَقِ
كُمَيْتُ تجولُ على مَتْنِهِ أساريعُ[4] من لونِهِ المُشْرِقِ

---

٩٧ ربيع الأبرار ١ : ٢١٢ .

....

١ فرس ناتق : ينفض راكبه .
٢ ل : مورخ . . . شواته سواة ؛ والطراف : بيت ممدود من أدم .
٣ لم ترد هذه الفقرة في ل .
٤ ل : اشانع (دون إعجام للنون) .

وكانَتْ به الريحُ مَغلولةً متى ما تَخُضْ بَحْرَهُ تَغرَقِ
وأدْنى الشآبيبِ من جَرْيِهِ إذا انهلَّ كالعارِضِ المُطْلَقِ

١٠٠ – قال ابن المعتزّ : أخبرني إسماعيل بن يحيى قال ، حدّثنا مؤرِّج قال : كان زكريا بن حسّان من بني ربيعة بن مالك غَرَسَ فسائلَ له حتى إذا حَسُنَتْ رَمَى عَنْهُنَّ – يعني يسافر عَنْهُنَّ – فمكثَ زماناً طويلاً فظنَّ أنهنَّ قد هلَكْن ، فأتاهُنَّ فرآهُنَّ يتسامَيْنَ فقال : [الرجز]

كأنَّها وهي تَناهى بالعَبَلْ غيدُ العذارى بَرَزَتْ من الحِجَلْ
يُرْسِلْنَ للوِرْدِ إذا السَّاقي غَفَلْ أرْشيَةً لم يَثْنِها مَتْنُ الحِيَلْ
تَنْني حَصَى البيداءِ عن نَجْلٍ غَلَلْ[١] مُعْتَلِجٍ لا ثَمِدٍ ولا وَشَلْ
فهي تَرامى ثَقَلاً بعد ثَقَلْ فَمُرْتَقيها خائفٌ على وَجَلْ
مَنْ يَهْوِ منها يَهْوِ مِنْ مَهْوَى زَلَلْ ناءٍ مِنَ الأرضِ بعيدِ المنتقَلْ[٢]

١٠١ – قال ابن المعتزّ : من فضائلِ الليلِ التهجُّد الذي مدح اللهُ أنبياءه به فقال : ﴿كانوا قليلاً مِنَ اللَّيْلِ ما يَهْجَعُونَ﴾ (الذاريات : ١٧) ؛ وفي الليل تنْقَطِعُ الأشغال ، وتَجُمُّ الأذهان ، وتَدِرُّ الخواطر ، ويتَّسعُ مجالُ القلب ، والليلُ أَضْوَأُ في مذاهب الفِكْر ، وأخفَى لعمل البِرّ ، وأعْوَنُ على السِّرّ ، وأَصَحُّ لتلاوة

---

١٠٠ إسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدي كان أحد الأدباء والرواة الفضلاء ، وكان شاعراً مصنفاً ، صنف كتاب طبقات الشعراء ، وتوفي قبل ٢٧٠ (انظر الوافي بالوفيات ٩ : ٢٤٠) ؛ ومؤرج ابن عمرو بن الحارث أبو فيد السدوسي البصري عالم بالعربية والأنساب من أعيان أصحاب الخليل بن أحمد ، وكان له اتصال بالمأمون ، ومصنفاته عديدة (انظر تاريخ بغداد ١٣ : ٢٥٨ ومعجم الأدباء ٧ : ١٩٣ وإنباه الرواة ٣ : ٣٢٧ ووفيات الأعيان ٥ : ٣٠٤ ؛ وانظر حاشيتي الإنباه والوفيات) .

....

١ نجل غلل : الكلمتان غير معجمتين في ل .
٢ ل : المعتقل .

الذِّكْر ، قال الله تعالى : ﴿ إنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هي أشدُّ وَطْأً وأقْوَمُ قِيلاً ﴾ (المزمل : ٦) ؛ [وقال الشاعر] : [الطويل]

ولم أرَ مثلَ الليلِ جُنَّةَ فاتكٍ إذا هَمَّ أمضى ، أو غنيمةَ ناسكِ[1]

وفيه يَنْجو الهارب ، ويُدْرِكُ الطالب ، ويفرقُ بين الشُّجاع والجَبَان .

١٠٢ – قال أبو دُلَف : [الهزج]

أنا ابنُ الليلِ والخَيْلِ فَنزَّالٌ ورحَّالُ
وللأَبطالِ قَتَّالٌ وللأَثقالِ حَمَّالُ

١٠٣ – بشَّار : [المنسرح]

قد نامَ واشٍ وغابَ ذو حَسَدٍ فاشربْ هنيئاً خَلا لكَ العَطَنُ

١٠٤ – آخر : [الكامل المجزوء]

ومُنَادِمٍ نَبَّهْتُهُ والليلُ مُلْتَفُّ السُّتُورِ
فكأنَّهُ متعلِّقٌ طَرَباً بأجنحةِ النُّسورِ

١٠٥ – قال أبو هفَّان : رأى أبو نُواس في سوق الكَرْخ غِلْماناً فقال : أما نَنظَرُ إلى الظِّباء ، طُوبى لمن كان جليسَ هؤلاء ، واحَسْرتي عليهم إذْ لا سبيلَ إليهم .

---

١٠٢ غير مستبعد أن تكون هذه الفقرة واللتان بعدها تتمة لحديث ابن المعتز عن الليل في الفقرة : ١٠١ ؛ وقد ورد أربعة أبيات من الرجز فيما سبق ، الجزء السابع ، ص : ١٢٠ .
١٠٣ لم يرد فيما جمع من شعره .

....

١ ورد البيت في سرور النفس : ٤٦ .

١٠٦ – قيل لعبد العزيز بن عمر[١] : إنَّ بَنيكَ يشربون ، فقال : صِفُوهُمْ ، فقالوا : أمَّا فلان فإذا شربَ خرَّقَ ثيابَهُ وثيابَ مَنْ معه وعَرْبَد ، قال : هذا يَدَعُ النَّبيذ ، قالوا : وأما فلانٌ فإنه يَتَقَيَّأُ في ثيابه ، فقال : وهذا يَدَعُ النَّبيذ ، قالوا : وأما فلان فأسْكَنُ ما يكون وأَحْلَمُهُ[٢] ، ولا ينالُ أحداً بسوء ، قال : هذا لا يَدَعُ النَّبيذ .

١٠٧ – سَلَّم رجلٌ على إبراهيم القارىء فقال : كَمْ تسلِّم عليّ ؟! سَلِّفْني سلامَ شهرٍ وأَرِحْني .

١٠٨ – قال رجلٌ للشَّعْبي : ما زِلْتُ أطلبُكَ ، فقال : وما زِلْتُ فارًّا منك .

١٠٩ – قال آخر : الإخوانُ بمنزلةِ النار ، قليلُها مَتَاع ، وكثيرُها صداع .

١١٠ – قال الأحنف : كانتِ المودَّةُ قبلَ اليوم مَحْضاً ، فليتَها اليومَ كانت مَذْقاً .

١١١ – لابن هَمَّام السَّلولي : [الرمل]

---

١٠٦ قطب السرور : ١٧ « قيل لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز » ؛ قلت : وكان آدم بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ماجناً منهمكاً في الشراب . وكان من فحول الشعراء . وتوفي في عشر الستين ومائة . ترجمته في تاريخ بغداد ٧ : ٢٥ والأغاني ١٥ : ٢٢٧ وتهذيب ابن عساكر ٢ : ٣٦٤ والوافي ٥ : ٢٩٤ .

١٠٧ بهجة المجالس ١ : ٧٣٦ .

١٠٩ الإيجاز والإعجاز : ٢٩ – ٣٠ (لإبراهيم الصولي) .

١١٠ الصداقة والصديق : ٢٨ .

١١١ البيت الثالث في ربيع الأبرار ٢ : ١٥ لابن همام السلولي .

....

١ ل : لعبد العزيز بن آدم .

٢ ل : فأسكر ... أحلمه .

حَصِرٌ إنْ سِيلَ خَيْراً لم يَجُدْ وإذا ما سألَ الناسَ ألَحْ
كحمارِ السوءِ إنْ أشْبَعْتَهُ عَضَّ من نالَ وإنْ جاعَ رَمَحْ
أقربُ الأشياء من أخلاقِهِ كلُّ لونٍ لَوَّنتْ قَوْسُ قُزَحْ

١١٢ – وقال آخر : ما احتَنَكَ قطُّ رجلٌ إلَّا أحبَّ الخَلْوة .

١١٣ – قال ابن المعتزّ : سَمِعَ الصُّوفي قولَ إبراهيم بن العباس الصُّولي

[الطويل]

أَبا جعفرٍ خَفْ نَبْوَةً بعد دَوْلةٍ وخَفِّضْ قليلاً من مَدَى غُلَوائكا
فإنْ يَكُ هذا اليومُ يوماً حَوَيْتَهُ فإنَّ رجائي في غَدٍ كرجائكا

فقال : هذا رجلٌ موسرٌ من الفطنة .

١١٤ – وسألتُ الصُّوفيَّ عن ابن منارة فقال : ذاك في عقله خمسون كلباً[١] سوى السنانير ؛ كذا قال ابن المعتزّ .

١١٥ – وقالوا : لا تجالسْ عدوَّكَ فإنه يحفظُ عيوبَك ، ويُماريك في صَوابك .

١١٦ – وقالوا : مَن استضافَ بخيلاً[٢] استغنى عن الكنيف .

---

١١٢ محاضرات الراغب ٢ : ٢٦ والتذكرة الحمدونية ١ : رقم ١٠٣٨ وربيع الأبرار ١ : ٧٧٩ .
١١٣ بيتا الصولي في العقد ٢ : ٣٥٦ (لعلي بن الجهم) والصداقة والصديق : ٨٨ ومحاضرات الراغب ١ : ١٧٥ والطرائف الأدبية : ١٦١ ، وقد مرًّا في البصائر ٤ : الفقرة ٤٠٤ .
١١٦ محاضرات الراغب ١ : ٦٥٩ وزاد فيه «وأمن التخمة» .

....

١ ل : كلب .
٢ ل : ببخيل .

١١٧ - وقال آخر : البغيضُ إذا بغَّضَ نفسه فإنّ[1] أعوانَهُ على ذلك كثيرٌ .

١١٨ - قال عبد الله بن أحمد بن يوسف : دخلتُ على ابن منارة وبين يديه كتاب فقلتُ : ما هذا ؟ فقال : هذا كتابٌ عملتُه مَدْخلاً إلى التوراة ، فناظرتُهُ فيه وقلتُ : الناسُ يُنْكرونَ هذا ، فقال : الناسُ كلُّهم جُهَّال ، قلت : فأنْتَ إذن ضِدَّهم ؟ قال : نعم ، قلتُ : فينبغي أن يَكونَ ضدّهم جاهلاً عندهم ؟ قال : صدقت ، قلتُ : قد ثبتَ أنك جاهلٌ بإجماعِ الناس والناسُ جُهَّال بقولك .

١١٩ - عثر بعضُ أصحابنا في مجلسٍ ثم عثر بعده آخَر ، فقال الصُّوفي[2] : أرانا نعاشِرُ قوماً تطرح قوائم[3] .

١٢٠ - منصور بن باذان : [المجتث]

وليس يَخْفَى عليكُمْ من المَنَازِلِ طِينَهْ
ولو رأيتُم دُخاناً في البحرِ صِرْتُمْ سَفِينَهْ

١٢١ - قال الأصمعي : عُوتب أَعرابيٌّ على التطفيل فقال : إنَّمَا بُنِيَتِ

---

١١٨ ربيع الأبرار ١ : ٦٨٣ . وعبد الله بن أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح أبو محمد ، كان والده كاتب المأمون وزيراً له . وكان أبو محمد يتقلد السر للمأمون وبريد خراسان وصدقات البصرة ؛ انظر الوافي ١٧ : ٤٠ .

١٢١ نثر الدرّ ٢ : ٦٣ ب (٢ : ٢٣٥) والخبر أطول مما هو هنا ؛ وزهر الآداب : ٩٠٨ والعقد ٦ : ٢٠٥ . وورد بشكله المطوّل في البصائر ٦ : الفقرة ٥٢ .

....

١ ل : كان .
٢ ل : صوفي .
٣ ل : قوائمهم .

المنازِلُ لتُدخَل ، وَوُضِعَتِ الموائِدُ لِتُؤْكَل ، وما لي لا أدخلُ وأقعدُ مستأنساً ، وأَبسطُ وَجْهي إذا كان رَبُّ البيت عابساً .

١٢٢ – تَطفَّلَ[١] قومٌ على مزبِّد وهو يطبخُ قِدْراً له . فنشَلَ أَحدُهُم قطعةَ لحمٍ فأكلها وقال : تحتاج إلى خلّ . ونَشَلَ الآخر[٢] [أخرى] فأكلها وقال : تحتاج إلى[٣] أبزار . وفعل آخرُ مثل ذلك وقال : تحتاج إلى ملح . فأخذ مزبِّد قطعةً فأكلها وقال : تحتاجُ إلى لحم . فضحكوا وقاموا عنه .

١٢٣ – رأى رجلٌ مزبّداً بالرُّها وعليه جُبَّةُ خزّ ، وكان قد خرج إلى الرُّها فَحَسُنَتْ حالُهُ فقال له : يا مزبِّد تهبُ لي هذه الجبَّة ؟ فقال : ما أملكُ غيرها ، قال الرجل : إنَّ اللهَ تعالى يقول : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (الحشر : ٩) ، فقال مُزَبِّد : إنَّ الله تعالى أرحَمُ بعباده من أن يُنْزِلَ هذا بالرُّها[٤] في كانونَ وكانون ، وإنّمَا نَزَلَتْ بالحجاز في حزيران وتمّوز .

١٢٤ – قال المدائني : ماتَ رجلٌ بالحيرة في بيت خمَّار ، فأخذه أَهلُه وقالوا : أنت قَتَلْتَهُ . فقال الخَمَّارُ : واللهِ ما قتلَهُ إلّا كلمةٌ كان يُرَدِّدُها ، قالوا : وما هي ؟ قال[٥] :

---

١٢٢ نثر الدرّ ٣ : ٨٩ (والنادرة تروى عن جمين) والأذكياء : ١٤٥ وأخبار الظراف : ٨٩ .
١٢٣ نثر الدرّ ٣ : ٨٤ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٩٤٨ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ١٥٣) .
١٢٤ قطب السرور : ٥٠٣ والمختار من قطب السرور : ٤٠٢ . وقارن بما جاء في قطب السرور : ١١٢ «لا والله ما قتله إلا شربه على غير طعام» .

....

١ ل : طفّل .
٢ ل : أخرى .
٣ خل . . . إلى : سقط من ل .
٤ ل : بأرضنا .
٥ عجز بيت للأعشى وصدره : وكأس شربت على لذة .

* وأُخرَى تَداوَيْتُ منها بها *

١٢٥ – قيل لبعضِ أصحابِ النَّبيذ : أيَّ صلاة تصلّي ؟[١] قال : الغداةَ والظُّهْر والعصر ، قالوا : فالمغرب ؟ قال : تُعْرَفُ وَتُنْكَرُ ، قالوا : فالعَتَمةُ[٢] ؟ قال : ما كانت لنا في حسابٍ قطّ .

١٢٦ – وقيل : لم يُداوَ السُّكْرُ بشيءٍ أَفضلَ من نومةٍ يُطْفَأُ بها ما التَهَبَ من شرّ[٣] طبيعته .

١٢٧ – قال ابن المعتزّ : حدّثني بعضُ أصحابنا قال : قلتُ لطبَّاخ مرّةً : ما أطيَب طبيخَكَ لولا أَنَّك تُصغرّ البُرْمَة . فقال : إنّما يكمل طيبُ البُرْمَة بأن يأكل منها القومُ لُقْمَةً لُقْمَةً فيستطيبونها ، وهؤلاء إذا طلبوا أُخرى لم يجدوها[٤] .

١٢٨ – قُدِّمَ إلى بعضهم لوزينج غليظُ القُشْور فقال : ما عمل هذا إلّا من عَقَبٍ . العقب : العصب .

١٢٩ – قال ابن أبي برذعة : [الطويل]

إذا عُدَّ عيْشٌ ناعمٌ وتُذُوكِرَت[٥] غرائبُ أَيَّامِ السرورِ الطرائِفُ

---

١٢٥ نثر الدرّ ٦ : ١٢٥ .
١٢٦ في قول للرازي : أعظم علاج الخمار النوم والحمام (قطب السرور : ٤٢٧) .

١ ل : كم الصلاة .
٢ ل : فالعشاء .
٣ ل : نار .
٤ ل : يجدونها .
٥ ل : وتذكرت .

فمن خيرِ أيّامِ الحياةِ التي خَلَتْ وأطيبِها يومٌ من العيشِ سالِفُ
أصَبْنا به من غِرَّةِ الدّهرِ خُلْسَةً كما نالَ وِردَ الماءِ هيمانُ خائفُ[1]
خَرجنا وسِتْرُ اللهِ يجمعُ شَمْلَنا وكلٌّ لكلٍّ مُسْعِدٌ ومُساعِفُ
وقد أخذتْ زُهْرُ الرياض حُلِيَّها وألْبَسَتِ الأرضَ الفضاءَ الزخارِفُ
لُجَيْنٌ وعِقيانٌ ودرٌّ وجوهرٌ تؤلِّفُهُ أيدي الربيعِ اللطائفُ
وأهدتْ إلينا الأرضُ عذراء لم يَطُف بها مِنْ سوانا قبل ذلك طائِفُ
يباكِرُها وجهٌ من الشمس طالِعٌ ويعقُبُها دمعٌ من المُزْنِ واكِفُ
فتمَّت جمالاً[2] واعتدالاً ونَضْرةً ودافَ لنا الكافورَ والمسكَ دائفُ
ومالتْ بنا منها غُصُونٌ[3] نواعِمٌ كما هزَّ قضبانَ المتونِ الرَّوادِفُ
يُديرُ علينا الكأسَ رطبٌ بنانهُ وَصيفٌ جَفَتْ في الشكلِ عنه[4] الوَصائفُ
تَسيرُ إلينا من يَدَيْهِ وطَرْفِهِ كؤوسٌ لأسرارِ القلوبِ كواشِفُ
فَرُحْنا وما فِعْلُ الزمانِ مُذَمَّمٌ لَدَيْنا ولا وجهٌ من العيشِ كاسِفُ
ومالتْ غُصُونُ البانِ بين رحالنا وَجُرَّتْ على وَشْيِ الرياضِ المَطارِفُ
ولا مثلَ ذاك اليوم لولا انقِضاؤُهُ ولا مثلَنا لو أخْطأتْنا المتالِفُ

١٣٠ – وقال : سمعتُ مدينية تقول : ما في بيتي طحينٌ ولا خَبيز .

١٣١ – شاعر : [الوافر]

إلى الروْضِ الذي قد أضحكَتْهُ شآبيبُ السَّحائبِ بالبُكاءِ

١٣٢ – قال ابنُ الأعرابيّ عن المفضَّل : تقولُ العرب : يَدُكَ من اللحم

---

١ كذا ، ولعلها « هائف » وهو الشديد العطش .
٢ ل : كمالاً .
٣ ل : عيون .
٤ ل : خفت . . . منه .

غَمِرَةٌ ، ومن الشَحْم زَهِمَةٌ ، ومن الزيت قَنِمَةٌ ، ومن الدُّهْن نَمِسَةٌ ، ومن الخَلُوق رَدِعَةٌ ، ومن الحِنَّاء عَصِمَةٌ ، ومن اللبن وَضِرَةٌ ، ومن السمك صَمِرَةٌ ، ومن الحَديد سَهِكَةٌ .

١٣٣ – أنشد التَّوزيّ : [الرجز]

يا إبِلي رُوحي إلى الأضيافِ إن لم يَكُنْ فيكِ صَبُوحٌ كافِ
فأَبْشري بالقِدْر والأثافي وقادحٍ وَمِغْرَفٍ غرَّافِ[1]

١٣٤ – قال أرسطاطاليس في كتاب « الحيوان » : ليس للسمك نومٌ ولا صوت ، ومنه ما يعظُمُ حتى يصيرَ كالجزائر والجبال . وذَكَرَ أنَّ من أجناس السَّمَك ما لا قُشُورَ له ولا أجنحة ، لازمة قَعْرَ الماء الدَّهْرَ كُلَّه[2] .

١٣٥ – وزعمَ أنَّ دابَّةً بحريَّةً تَزْمُرُ أَصواتاً طيّبةً تكادُ بحلاوتها ولذَّتها تسلبُ أفهامَ السامعين ، من سُرَّتها إلى فوق تُشْبه الإنسان ، ومن السُّرَّة إلى أسفل تشبهُ الفرس .

١٣٦ – وزعم أن السَّرَطان يلتذُّ أكل لحم الصَّدَف الذي فيه اللؤلؤ ، وأنه لا يقدر عليه حتى يفتح صدفته ، فإذا فعل جعل بينهما حَجراً ؛ وزعم أن السَّرَطان يَسْلخُ جلده في السنة سَبْعَ مرّات ، ومن قبل ذلك يعمل لجحرهِ بابَيْن :

---

١٣٣ المعاني الكبير : ٣٩٦ وأخبار الزجاجي : ٤٠ (للنواح المرادي) وربيع الأبرار : ٢١٥ ب ؛ وقد مرّ من قبل في الجزء السابع ، ص : ٢٠٢ .
١٣٥ قارن بالإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٤ – ١٩٥ عن الحيوان المسمّى « الزامور » .
١٣٦ بعضه في الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٤ .

---

١ الزجاجي : وغارف في مغرف جرّاف .
٢ قعر . . . كله : موضعه بياض في ل .

أحدُهُما شارعٌ إلى الماء ، والآخر إلى الشمس ، فإذا سلخَ جلده سَدَّ الشارعَ الذي إلى الماء[1] لئلا يدخلَ السمكُ عليه فيأكله .

١٣٧ – قال ابن المعتزّ : سألتُ الصُّوفيَّ عن بُلدانٍ طَوَّفَ فيها فقلت : كم رأَيتَ من البلاد ؟ قال : لا تسأل فإنَّ شيطاني كان من الفُيُوج[2] .

١٣٨ – وقال مرةً عندي ونحن بِسُرَّ مَن رأى : هذا النسيمُ يُجَنْدِرُ الروح[3] .

١٣٩ – قال التَّمَّار يصفُ نَصِيبين في قصيدة : [الكامل المجزوء]

أَرضٌ كأنَّ رياضَها ... أبداً بماءِ المِسْكِ تُسْقَى
وكأنَّ تُرْبَةَ أرضِها آجْـ ... ـتَذَبَتْ منَ الكافورِ عِرْقا

١٤٠ – يَعْقُوب بن الرَّبيع : [الكامل المجزوء]

لـمَّا وردتُ الثَّعْلَبـ ... ـيةَ عند مجتَمع الرِّفاقِ
وشَممتُ من أرضِ الحِجا ... زِ نَسيمَ أرواحِ العِراقِ
أَيْقَنْتُ لي ولمن أُحِـ ... ـبُّ بجَمْعِ شملٍ واتفاقِ
وضحكتُ من فَرَحِ اللقا ... ءِ كما بكَيْتُ من الفِراقِ

---

١٣٧ ربيع الأبرار : ١٤٧/أ .

١٤٠ الأبيات في جذوة المقتبس : ٦٨ والمطرب : ٦٢ – ٦٤ ومصارع العشاق ١ : ١٧١ والشريشي ٢ : ٣٢٨ ورسائل ابن حزم ٢ : ٢٢٠ . ويعقوب بن الربيع هو أخو الفضل بن الربيع حاجب المنصور . وكان أديباً شاعراً ماجناً خليعاً ، انظر معجم الأدباء ٧ : ٣٠٢ .

---

١ والآخر ... الماء : سقط من ل .

٢ الفيوج : جمع فيج وهو من ينقل الأخبار من بلد إلى آخر .

٣ ل : هذا التستري يختلب الروح ، ويجندر بمعنى يعيد كما يعاد بالقلم على المطموس من الكتابة .

١٤١ - قال : وقال الجاحظُ في بعض كتبه وذكر العراق فقال : هي موضعُ التَّميمة ، وواسِطَةُ القِلادة ، بها تلاحَقَتِ الطبائع ، وصَرَّحتْ عن اللُّبِّ الأصِيلِ والخُلُق الجميل .

١٤٢ - وصفَ أعرابيٌّ بلداً فقال : ارتَحَلَتْ عنه رَبَّاتُ الخُدُور ، وأقامتْ به رواحِلُ القُدُور .

١٤٣ - قال الحجّاج : الكوفةُ امرأةٌ حسناءُ عاطل ، والبَصْرة عجوزٌ قد أُوتيتْ من كلِّ شيء .

١٤٤ - قال عبد الملك للحارث بن خالد بن العاص : أيُّ البلاد أحبُّ إليك ؟ قال : ما حَسُنَتْ فيه حالي ، وعَرُض فيه جاهي .

١٤٥ - قال بعضُ الظُرفاء : الكَمْأةُ بَيْضُ الأرض .

١٤٦ - وصف أعرابيٌّ غَيْثاً فقال : باكَرَنا وَسْميٌّ خَلْفَهُ وَليٌّ ، فالأرضُ بِساطٌ أُحكِمَ نَسْجُهُ وأُبدِعَ وَشْيُهُ .

١٤٧ - قال بعضُ مَنْ تعصَّبَ للنَّرْجسِ على الوَرْد : النَّرْجسُ أَشْبَهُ بالعيون من الوَرْد ، فقال المتعصِّب عليه : يُشْبِهُ عيونَ المرضى وأصحاب اليَرقان ومنْ قد غَلَبَتْ عليه المِرَّةُ .

---

١٤١ ربيع الأبرار ١ : ٣١٠ .

١٤٣ قارن بكتاب البلدان للجاحظ : ٤٩٦ ولطائف المعارف : ١٦٧ والإيجاز والإعجاز : ١٧ والعقد ٦ : ٢٤٩ .

١٤٤ انظر التعريف بالحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله أبي وابصة القرشي المخزومي الشاعر في حاشية الفقرة : ٣٧٩ من الجزء الثالث من البصائر .

١٤٦ محاضرات الراغب ٢ : ٥٥٧ .

١٤٨ – وكان المأمونُ يُشبِّهُ الأُتْرُجَّ بالمُقَفَّعِ[1] الزَّمِن .

١٤٩ – قال بعضُهم : لعن اللهُ المرزنجوش والزَّادَرَخْت ، كأنَّ هذا آذانُ الفأر ، وكأنَّ هذا كَفُّ بَقّ .

١٥٠ – وكان بعضُهم يُبْغِضُ السَّرْوَ ويقول : كأَنَّهُ نِساءٌ عليهن حِدَادٌ . ومرةً كان يقول : السَّرْوُ ذَنَبُ ابنِ عِرْس .

١٥١ – وقال : قلتُ للصُّوفيِّ يوماً : لِمَ تُؤْثِرُ النَّرجسَ على غَيْره ولا تنتفِعُ به في حالٍ سوى شَمّهِ طَرِيًّا ؟ فقال : النَّرجسُ رُوحٌ كُلُّهُ ، فإذا ماتَ لم يُخَلِّفْ عندنا جِسْماً .

١٥٢ – قال أبو الحارث جُمَّين ، ورأى سَرْواً : كأَنَّهُ دُخانٌ يخرجُ من كُوَّةٍ .

١٥٣ – وصف أعرابيٌّ الماءَ فقال : إنْ قلت هو مُتَّصِلٌ فبذاكَ يَشهدُ انتظامُهُ ، وإن قلتَ متبايناً فعلى ذاكَ يَدلُّ انقِسامُهُ[2] . أوائلُهُ جَاذبَةٌ لأواخرِهِ ، وأَعجازُهُ طَوْعُ صُدُورِهِ ، هو طَبيبُ الأرض من سَقامها ، تقذف بمَا تضمنتْ بُطونُها على ظهورها .

١٥٤ – وَصَفَ بعضُ الظرفاءِ الماءَ فقال : ما ظَنُّكم بشيءٍ إذا أَجِنَ[3] وصار مِلْحاً أخرجَ العَنْبَرَ وأثْمَرَ الجَوْهر .

---

١٥٤ محاضرات الراغب ٢ : ٥٦١ « إذا ملح وخبث أنبت العنبر وولد القار » .

....

١ ل : يسمي . . . المقفع .
٢ ل : ابتسامه .
٣ ل : خبث .

١٥٥ - قال ابنُ الأعرابيّ في نَوادره عن أَعْرابيّ : فأرسلَ اللهُ سبحانه سَحاباً مُسْتكفًّا نَشْرُهُ[١] ، ضخاماً[٢] قَطْرُه ، جَوْداً صَوْبُه .

١٥٦ - شاعر : [الرجز]

جاءتْ تَهادَى في مَحِلٍّ نائي يَضحكُ فيها البرقُ بالضياءِ
وتارةً تَلمحُ باستحياءِ كلمحةٍ من ذي هَوىً مُرائي
تَلوحُ منها[٣] الأرضُ في قباءِ وأَصبحَتْ في حُلَّةٍ خضراءِ
يا حَبْرَةً[٤] في الصَّيفِ والشتاءِ

١٥٧ - العَتَّابي[٥] : [الخفيف]

قلتُ للفرقَدَيْن والليلُ مُلْقٍ سُودَ أَكْنافِهِ على الآفاقِ
أَبْقيا ما استطعتُما فَسيَرْمَى بينَ شَخْصَيْكُما بِسَهْمِ الفِراقِ
غُرَّ مَنْ ظَنَّ أن يَفوتَ المَنايا وعُراها قَلائِدُ الأعْناقِ

١٥٨ - قال : وقلتُ لبعضِ أَصحابنا ، وقد خَرَجَ القمرُ من الكُسوف : شَبِّهْهُ لي ، فقال : دِرْهَمٌ نَدَرَ عن سِكَّةٍ .

١٥٩ - العربُ تقول : قد هَراقَ الليلُ أَوَّلَهُ ، إذا مَضَتْ منه ساعةٌ .

١٦٠ - قال ابن المعتزّ : أخبرني الأسَدي عن الرِّياشي عن محمد بن سلَّام

---

١٥٧ زهر الآداب : ٦٢٣ وبهجة المجالس ١ : ٢٥٣ .

١ ل : بشره .
٢ ل : صخاباً .
٣ ل : منه .
٤ ل : بامره .
٥ ل : العماني .

عن يونس بن حبيب عن أبي عمرو بن العلاء قال : دُفِعْتُ إلى ناحيةٍ فيها نَفَرٌ من الأعراب ، فرأيتُها مُجْدِبَةً فقلتُ لبعضهم : ليس لكم زَرْعٌ ولا ضَرْعٌ فكيف تعيشون ؟ فقال : نَحْرِشُ الضِّباب ونصيد الدَّواب فنأكلها ، قلت : فكيف صبرُكم عليه ؟ فقال : يا هَناه ! نسألُ اللهَ خالقَ الأرض هل سويت ، فيقول : بل رضيت ، هكذا بخطّ ابن المعتزّ .

١٦١ – وقال بلال ابنُ أبي بُرْدَة لابن السَّمَّاك : أيُّ الطعام أَحَبُّ إليك ؟ فقال : إذا اشتدَّ ضرس[١] الجوعِ فليس شيءٌ بأجودَ مِنْ ثَريدةٍ قد أُكثر بلُّها وسطعَ ريحُها ، ثم أَطرقَ قليلاً وقال : فإن جاءتْ صغارُ القِصاع بعد الكُبْرى زادَ ذلك فيمَا نَهْوى . قال : فما تقولُ في لوزينجةٍ لَانَ قشرُها ، وغرقتْ في سُكَّرها ودُهْن لَوْزها ؟ فقال : ما أَشدَّ الوصفَ إذا عُدِمَ الموصوف .

إلى ها هُنا نقلتُ من كتاب ابن المعتزّ .

١٦٢ – وهذه نُتَفٌ أَلَفْتُها ها هُنا[٢] ، فبعضُها مسموعٌ من العامَّة ، وبعضُها مَرْويٌّ عن الخاصَّة التي تَرْوي عن العامَّة ، وهي تجري مجرى الأمثال المُبْتذَلة[٣] ، فيها طِيبٌ ومع الطِّيب عِبْرة ، ومع العِبْرة فائدة ، وقد خَلَتْ من الأُصولِ الدَّالَّةِ على الفروع ، ومن العِللِ المقتضيةِ للأَحكام ، وقد عَرَضْتُها على عِلْيَةِ الناس أَسْأَلُ عن أَسرارها ومَدارها ، وكيف كان قديمُها وفاتحتُها[٤] ، وكيف

---

١٦١ بعضه في محاضرات الراغب ١ : ٦١٩ .

١٦٢ انظر رحلة النهروالي : ١١٢ فقد أورد فيها ١ – ٤ ، ٧ – ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٩ – ٣١ ، ٣٧ ، جزءاً من ٤١ .

....

١ ل : اشتدت ضرمة .
٢ ل : وهذه ألفاظ ائتلفت ها هنا .
٣ ل : المنبذلة .
٤ ل : وتحتها (دون إعجام) .

انتشرتِ الآنَ بين العَامَّة ، وكيف أَشكلَ على الجميع مَعانيها ، فلم ألحقِ الناس إلَّا رجلاً واحداً في الجهل بها وبأسبابها ، وقد سَرَدتها لتشركنا في التعجب والطِّيب إن شاءَ الله :

١ - يقولون : إذا دخل الذُّبابُ في ثياب أحدهم مرض .

٢ - وإذا حَكَّتْهُ يَدُهُ قال[1] : آخُذُ دراهمَ .

٣ - وإذا حَكَّتْهُ رجْلُهُ قال : أمشي إلى مكانٍ بَعيد .

٤ - وإن حَكَّهُ أَنفُهُ قال : آكلُ لحم ؛ هكذا يقولون ، فلا تؤاخِذِ العامَّةَ باللَّحْن ، فإنَّ الصَّوابَ في المعنى والإعراب في اللفظ عريان[2] من قُضاتِكَ وعُدُولك وشُيُوخُك .

٥ - وإنْ حَكَّهُ وَسْطُهُ قال : آكلُ السَّمَك .

٦ - وإن اختلجتْ عينُهُ من فَوْق قال : أَرى إنساناً لم أرَهُ منذ حين ؛ وإذا اختلجتْ من أَسْفَل قال : سوف أبكي ، أسألُ اللهَ السلامة .

٧ - وإذا وَجَدَ ثقلاً في المنام من المِرَّةِ السوداءِ قال : وَقَع عليَّ بختي ، وعضَّ إبهامَ نفسه وقال : دُلَّني على كَنْز .

٨ - ولا يقولون بالليل : « حَيَّة » ويقولون : « طَويلة » وإذا غلط أحدُهُم فقال : حَيَّة . قالها ثلاثَ مَرَّاتٍ .

٩ - وإذا أشارَ إلى صاحبه بالسكِّين غرزها في الأرض وقال : الشيطان يعملُ عَمَلَهُ .

١٦٢/ ١ محاضرات الراغب ١ : ١٥٥ .
١٦٢/ ٤ محاضرات الراغب ١ : ١٥٥ .
١٦٢/ ٥ محاضرات الراغب ١ : ١٥٥ .

....

١ قال : سقطت من ل .
٢ ل : عريتان .

١٠ – وإذا كُسِفَ القمرُ ضَربوا بالطسْتِ وقالوا : يا ربِّ خلِّصْهُ .

١١ – وإذا طَنَّتْ[١] أُذُنُ أحدهم قال : تُرَى مَنْ ذَكَرني ؟

١٢ – وإذا أراد أحدُهُم أن يبولَ بالليلِ بَصَقَ أوّلاً ثم بالَ .

١٣ – وإذا صاحَ الغُرابُ قالوا : خَيْر خَيْر ، وأَنتَ شرُّ طيْر[٢] .

١٤ – وإذا أراد أحَدُهم أن يَشدَّ زرَّه إذا انقطع أخذ في فيه تِبْنَةً وقال : حتى لا يكذبَ عليَّ أحد .

١٥ – ولا يقولون : عَقْرب ، ويزعمون أنّها تعرفُ اسمها فتهرب ، ويقولون : تَمرة .

١٦ – وإذا ذَكروا الجنّ بالليل أخذوا بأَطراف آذانهم .

١٧ – ويكرهون البولَ في الميزاب ويقولون : هي[٣] منازلُ القَمَر .

١٨ – ويقولون : ديةُ نَملةٍ تَمْرة[٤] .

١٩ – ويقولون : في كلِّ رُمَّانةٍ حبّتين من الجَنَّة .

٢٠ – وإذا مَسَحَ أحدُهُم يَدَه[٥] بثوب صاحبه بَصَقَ وقال : حتى لا أبغضَهُ[٦] .

٢١ – وإذا رَشَّ أحدهم على وجه إنسانٍ ماءً قَبَّلَ يده وقال : حتى لا يصير نَمَش .

٢٢ – وإذا صاحتِ البُومةُ قالوا : مِنّا السِّكّين ومنكِ اللحم .

١٢/١٦٢ محاضرات الراغب ١ : ١٥٥ .

....

١ سقطت هذه الفقرة من ل .
٢ ل : الطير .
٣ ل : هو .
٤ ل : دب نمله سحره .
٥ **يده** : سقطت من ل .
٦ ل : **يبغضه** .

٢٣ – وإذا رأوا الخُنْفُساء في ليالي الشتاء قالوا : مُباركة مَيْمونة ؛ وإذا رأوها في ليالي الصيف قالوا : رسُولُ العَقْرب .

٢٤ – وإذا طار الخُفَّاش بالليل فسمعوا صوتَهُ قالوا : هذه الساحرةُ تطير ، لا إله إلّا الله ، كأنّما طيرانُها ثوبٌ يُشَقّ ، ويكبُّون الطسْتَ ويقولون : باطل ﴿وبَطَلَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف : ١١٧) .

٢٥ – وإذا غاب لأحدهم غائبٌ صَوَّتوا في البئر ونخَلُوا الرَّماد بالليل ، وزعموا أنَّ الجنَّ يُثبتون حاله في الرَّماد[١] .

٢٦ – وإذا صُدِّعَ أَحدهُم قالوا : انشرخَ رأسُهُ ، وربطوه بتِكَّةٍ .

٢٧ – ويطرحون في حُبِّ الدقيق جوزةً لها ثلاثةُ خطوط يزعمون فيها بركة .

٢٨ – وإذا رأوا الشمسَ حارَّةً قالوا : يجيءُ غداً مَطَر .

٢٩ – وإذا طارتْ من السّراج شرارةٌ إلى فوق قالوا : يَنقصُ من أهل البيت واحد ؛ وإذا وقعتْ إلى أسفل قالوا : يجيءُ غداً[٢] زائر .

٣٠ – وإذا غسلتْ السِّنَّورة وجهَهَا قالوا : هديَّة .

٣١ – ويزعمون أَنَّ عُوج بن عنق كان يَصيدُ السمكَ من قرارِ البحر بيده ويَشْويه في عينِ الشمس .

٣٢ – ويزعمون أنّه لا يرتفع إلى السَّماء من الدُخان[٣] إلّا قُتَار الكُنْدُر .

٣٣ – ويقولون : إنَّ للزَّنادقة كَبْش تنتثر الدراهم من صُوفِهِ ، فإذا اشتروا بها تحوَّلتْ عند البائع ورقَ آس .

....

١ ل : النوم .

٢ النهروالي : عندنا .

٣ من الدخان : سقط من ل .

٣٤ – وإِنَّ الشيطانَ يحسد[١] على الزُّكام[٢] والدُّمَّل .

٣٥ – وإِنَّ الأسد محمومٌ بالنهار فإذا كانَ الليلُ أَفاق .

٣٦ – وإِنَّ الحمارَ لا يدفأ إِلّا يوماً من أيام تمّوز ، وهو في سائر أيام السنة مَقْرُور .

٣٧ – وإذا نُكِسَ[٣] أحدُهُم في مرضهِ أخذوا له دُهْناً من سَبْع[٤] دُور وَدَهنُوا به رأسَهُ .

٣٨ – وإذا خرج بأحدهم[٥] دُمَّل شَدَّ على تِكَّتهِ عَفْصَةً غَيْرَ مَثْقُوبة .

٣٩ – وإذا بكى الصبيُّ لطَخوا أسْفَل رجلَيْه بنيلَج[٦] .

٤٠ – وإذا أصابته العينُ أخذوا له من بَوْل سبعةِ أنفُسٍ أحدُهُم حَبَشيّ ماءً وصَبّوهُ عليه .

٤١ – وإذا حُمَّ أحدُهُم الرِّبْع بَخَّروهُ بقرنِ كَبْش ، وإذا أخذه الفُواق عَقد بيدَيْه أَربعاً[٧] وثلاثين وزعم أنه يسكن .

٤٢ – وإذا خرج به قَوْباء خَط حولها خاتم سليمان ومسحه بالتراب وقال بالغَداة : كيف أَمسَيْتِ لا أَصبحتِ ، وبالعشيِّ : كيف أَصبحتِ لا أَمسيتِ ؟

٤٣ – وإذا لسَعَتْهُ عقربٌ غَسَلوا الحَصَى وَسَقوه ماءَهُ .

٤٤ – وإذا خرج على لسانه بَثْرَةٌ قال : خبأ لي إنسانٌ شيئاً طَيِّباً وأكله[٨] .

٤٥ – وإذا اشتكى فَمَ معدته ذهبوا به إلى اللوايَة .

....

١ ل : يحشد .
٢ ل : الزحام .
٣ النهروالي : انتكس .
٤ ل : سبعة .
٥ ل : على أحدهم .
٦ ل : بهليلج .
٧ ل : أربعة .
٨ ل : فأكله .

٤٦ – وإذا رأوا في الدار حَيَّةً بَخَّروها بقرن أيِّل وقشور البيض .

٤٧ – وزعموا أنَّ مَنْ أكل لحم سنّور أسودَ لم يَعْمَلْ فيه السِّحْر .

٤٨ – وإذا رأوا في الأفق حُمْرةً قالوا : في السَّماءِ نارٌ وصاحوا : الصَّلاةَ الصَّلاة .

٤٩ – ويضربون بالشَّعير وينظرون في البَخْت ، وأنت تَرى أَحَدَهم إذا عَثَرَ بصاحبه أَخذ يده وصافحه ، وربمَا قالوا : لئلا[1] نتخاصم .

٥٠ – وزعموا أنَّ عبدَ الله بن هِلال صديق إبليس كان يغوصُ بالكوفة في الطَّسْت ويَخْرج من ساعته بتاهَرْت .

وهذه أَبوابٌ خفيَّة ليس يثبتُ معها رويَّة[2] ، ولا يصحُّ لمن اعتقدها عَزْم ، وربمَا غلطَ فيها مَنْ هو فوق الناقص الغَبيّ ، ودُونَ النِّحْرير الذكيّ فيحسبها حقًّا .

١٦٣ – ومن أمثال العامَّة :

١ – لا تُرِي الصبيَّ بياضَ أسنانك فيريكَ سواد آسْته .

٢ – ليس من قال : النارَ ، احترقَ فَمُه .

٣ – الخُنْفُساء في عَيْن أمها مَليحة .

٤ – من يشتهي الداح لا يقول أواح .

٥ – تَمْره وزَنْبوره كلّمَا يكبر يدبر .

٦ – أنا أجُرُّه إلى المِحْراب وهو يَخْرا في الجراب .

٧ – نفس العجوز في القبَّة .

---

١٦٣ / ٥ في محاضرات الراغب ٢ : ٧٠٩ .

....

١ ل : لا .

٢ ل : رواية .

٨ – مَنْ يأكل ولا يَحْسب ، يخرب بيتُه ولا يَعْلم[١] .

٩ – إنْ كان مُعْلَم وإلّا فدحرج .

١٠ – مَنْ صَيَّر نفسه نُخَالة بحثتها الدّجاج .

١١ – أنْذَلُ من فَار الحبس .

١٢ – أَعْتَقُ[٢] من الحِنْطة .

١٣ – أحمق من الجَمَل .

١٤ – يضربون[٣] اسْتَه ويصيح راسه .

١٥ – مَنْ لَمْ يَرَ اللحم أَعْجَبَتْهُ الرِّية .

١٦ – مَنْ يقفزْ على وتدَيْن[٤] يدخل في استه واحد .

١٧ – مَنْ ياكلْ بيدَيْن يختنق[٥] .

١٨ – ما أطيبَ العُرْس لولا النَّفَقة .

١٩ – مَنْ كان له دُهْن كثير يَطْلي استه[٦] .

٢٠ – مَنْ كان دليلُه البُوم كان مأواهُ الخَراب .

٢١ – كُلِ التَّمْرَ على أنه كان مرَّة رُطَبْ .

٢٢ – إيش الذُّبابة وإيش مرقها .

٢٣ – ليت كل أرملة مثل بنت الملك .

٢٤ – إذا كان بولُك صافي فاضربْ به وَجْهَ الطبيب .

---

١٦٣ / ١٢ – ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ في محاضرات الراغب ٢ : ٧٠٩ .

....

١ ل : يفلس ولا يدري .

٢ الراغب : أقدم .

٣ الراغب : الذي يضرب .

٤ الراغب : من يطفر من وتد إلى وتد .

٥ الراغب : من أكل على مائدتين اختنق .

٦ الراغب : من كان له دهن دهن استه .

٢٥ – البحر ملان ماء والكلب يَلْحس بلسانه .

٢٦ – من شاء سلح على أصحابه وقال : في بطني وجع .

٢٧ – خبز لم تخبزه أُمُّك كُلْهُ بأضراسك كلّها .

٢٨ – لو كان في البُومة خير ما تركها الضايد .

٢٩ – إنْ كان ذا وَجْه فليسَ في الدُّنيا اسْت .

٣٠ – أهلك الله بَدَنَك ، ولا يَسَّر كَفَنَك ، ولا آجَر مَنْ دَفَنَك .

٣١ – كُفّ إنّمَا وجهُك خُفّ .

٣٢ – راسك في است القس كلّما عرق اندس .

٣٣ – لَيْتَ اليَسار[1] استقبلني من بابِ الدار .

٣٤ – سُد البالوعة واسْقِني بالبير .

١٦٢ ب – ٥١ – وإذا كانت يد أحدهم غَمِرَة قال : من يغسل يده من الخير .

٥٢ – وإن عطَسَ قالوا : تعسْتَ[2] ، وإنْ تجشَّأ قالوا : خرا ، وإن سَعَل قالوا : شَوْك ، وإن ضحك قالوا : ضحك الأفعى في جراب النورة ، وإن قرقر البطن قالوا : إن صدق الوَعْدُ مُطِرْنا خرا .

١٦٤ – كان لرجلٍ جاريتان فأرادتْ إحداهُما أن تكيدَ الأخرى ، وكان قد واقَعَها مولاها ، فصاحتْ : يا مولايَ ليس لنا دَقيقٌ وقد فنيَ الخُبْز ، فَنَامَ أيْرُهُ ونهضَ عن الجارية .

١٨/١٦٣ . ٢٢ . ٢٨ في رحلة النهروالي : ١٥٦ .

....

١ ل : السكر .

٢ ل : نفست .

١٦٥ – قد ضربتُ من أمثال العامَّةِ أشياءَ تتّصل بأغراضٍ صحيحةٍ على سوءِ التأليف ، وخُبْث[1] اللفظ ، وفيها فوائد عجيبة[2] ، فاعرِفِ الخبيث والطيِّب ، واختَرْ أنفعَها لَكَ في موضعِهِ وأجداهُما عليك عند استعمالِهِ ، فلم يَنْبُثّ[3] هذا كلّه في العالم إلَّا لِيُعْرَف ويُمَيَّز ، وليكونَ بعضُه[4] باعثاً على بعض وناهياً عن بعض ، وباختلاف الأشياء تختلفُ الظُّنُون وتنقسمُ الأفكارُ في طَلَب الحقّ وتَوَخّي الصواب ، وليس الحَقُّ شخصاً في محل يُطْوَى إليه . فلا تصرفْ وَجْهَكَ عن اللفظة السَّخيفة[5] والكلمة الضَّعيفة ، فإنّ المعنى[6] الذي فيهما فوق كراهتك ، وليس العالمُ تابعاً لرأيك ، ومحمولاً على استِحسانِك واستقباحك ، بل يجلُّ عن مَقاحِمِ فكرك ، ويَعْلُو على غايات فَهْمك ، فإنكَ ترى لنفسك محلاً ليستْ به فتقول : هذا حسنٌ وهذا قبيح ، دون أن تقِفَ على حقائق ذلك الحُسْنِ والقُبْح بعَقْلٍ ما شَانَهُ الهوى ، ولا تَحَيَّفَهُ الإلف ، ولا ضيَّعَتْهُ العَادة ، ولا أفسده أقرانُ السُّوء ، ولا مُنِيَ بالتَّخْليط الرديء والمِرَّة المُسْرِفة ؛ ومَنْ لكَ بالكمال ؟ بل مَنْ لكَ ببعض هذه الأحوال ؟ هَيْهَات ! وأنت متردِّدٌ بين غالبٍ عليك ، وقادحٍ فيك ، وآخذٍ منك ، وهابطٍ بك . إلّا أن يأخُذَ اللهُ بيدك ، ويصرفَ كيد السُّوء عنك ، ويحبس فعالَ الشيطان دُونك ، ويكون لك[7] قائماً بالصُّنع ، هادياً إلى النَّجاة .

---

١٦٥ رحلة النهروالي : ١١١ (مع إيجاز واختلافات) .

[1] النهروالي : وركّة .
[2] ل : وأعجوبة .
[3] ل : يثبت .
[4] ل : بعضها .
[5] ل : القبيحة .
[6] المعنى : سقطت من ل .
[7] لك : سقطت من ل .

١٦٦ – لأبي النجم الفضل بن قدامة في بازٍ : [الرجز]

أَزرقُ يُغْذَى بطَرِيِّ اللحمِ   قد جاءَ مُنْقَضًّا كمثلِ النّجمِ
بأحْجَنِ الكلُّوبِ أقنَى الخَطْمِ   به نُضَاحٌ من دَمِ المستَدْمي
ينتزعُ الأَرواحَ قبل النَّظْمِ

١٦٧ – وله في المنجنيق : [الرجز]

كأنَّها حينَ ثناها النَّاسُ   جِنِّيَّةٌ في رأسها أَمْراسُ
بها سُكُونٌ وبها شِماسُ   يخرجُ منها الحجرُ الكبَّاسُ
تَمرُّ[1] لا يَحْبسُها الحبَّاسُ   لا واضعُ التُّرْس ولا تَرَّاسُ
ضخمُ الجَبينِ مِهْزمٌ مِرْداسُ   يأخُذُ من وَقْعَتِها الوَسْواسُ

١٦٨ – قال بعض العلماء : الإتاوةُ للملك ، والخَراجُ للسلطان ، والفَيْءُ للمسلمين ، والجِزْيَةُ من أهل الذِّمَّة ، والصَّدَقةُ للنَّعَم ، والزَّكاةُ للمال ، والفِطْرةُ للصَّوْم ، والكفَّارة للأَيمان ، وجزاءُ الصَّيد للمُحْرِم ، والبِرُّ لبني القُرْبَى ، والرِّزقُ لمن تَمون ، والنَّفَقَةُ لمن يَعنيك ، والصَّداقُ والصُّدْقةُ للنِّساء ، والمتاعُ والتحميمُ[2] للمُطَلَّقة ، والعِدَّة نَفَقَةُ الأعتداد . والرِّبحُ للتاجر . والمرباعُ للسيِّد وهو رُبْع الغَنيمة .

١٦٩ – قال أعرابي : قد كَشَرتِ الفِتْنَةُ أضراسَها ، وحسَرت[3] راسها ، وشمَّرتْ أَرْدانها ، وهيَّجَتْ فِتْيانَها ، وَذَمرَتْ فُرسانها ، ونازلتْ أقرانها .

---

١٦٦ لم ترد في ديوانه المجموع .
١٦٧ لم ترد في ديوانه المجموع .

....

١ ل : ثمت .
٢ ل : والتجهم ؛ وفي اللسان (حمم) : وكانت العرب تسمّي المتعة التحميم .
٣ ل : وحرست .

١٧٠ - يُقال : ما الجَرَبُ ، والجرابُ ، والجَريبُ ، والحَرَبُ ، والخَرَبُ ، والذَّرَبُ ، والسَّرَبُ ، والشَّرَبُ ، والصَّرَبُ ، والطَّرَبُ ، والضَّرَبُ ، والعَرَبُ ، والعَرَبُ أيضاً ، والغَرَبُ ، والقَرَبُ ، والهَرَبُ ، والكَرَبُ ، والكَرَبُ أيضاً ، والأَرَبُ ، والدَّرَبُ .

وسيأتي جوابُ كلِّ حرفٍ على حدة ، وإن أَمَلَّكَ بعضَ الإملال أفادَكَ كلَّ الإفادة ، ولا تبْدِ هذا العجز الذي يدلُّ على خَوَر طباعك وسُوءِ سَلِيقتك ، وانتهزْ فرصةَ العلم فربَّمَا تَحْمَدُ عاقبةَ العَمَل به .

١٧١ - قال بعض السَّلَف : أنتَ في طَلَب الدُّنيا مع الحاجة مَعْذُور ، وأنتَ في طَلَبها مع الاستغناءِ عنها مَغْرور .

١٧٢ - قال الحسن : أحسَنُ الدنيا أقبحُها عند مُبْصرها ، وذلك أنها تشغلُ عمّا هو أحسنُ منها .

١٧٣ - سمع أعرابيٌّ رجلاً يقرأُ : ﴿ فإنْ زَلَلْتُم مِنْ بَعْدِمَا جَاءَتْكُمُ البَيِّنَاتُ فاعْلَمُوا أنَّ الله غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٠٩) ، فقال : لا يكونُ هكذا ، هكذا يُهَدِّد ، فقيل : إنّمَا هو ﴿ عزيزٌ حكيم ﴾ قال : هذا نعم ، هذا يكون مع التَّهدُّد .

١٧٤ - أمَّا الجَرَبُ فالداءُ المعروف ؛ يقال : رجلٌ جَرِبٌ وامرأةٌ جَرِبَةٌ وجَرْبَى ، وأَجْرَبَ الرجلُ : إذا جَرِبَتْ إبِلُهُ ؛ والجِرابُ : المِزْوَد - بكسر الجيم ، وأبو حاتم يقول : الفتحُ من لَحْن العامّة ، وجمعُهُ جُرُبٌ ؛ والجَريبُ : قطعةٌ من الأرض وجمعُهُ جُرْبانٌ . وقلتُ لبعض العلماء : هل يقولُ فيمَن يَتَّخذُ الجُرُبَ « جَرَّاب » ؟ قال : ما سُمِعَ .

---

١٧٠ يرد تفسير هذه الكلمات في الفقرة : ١٧٤ .

١٧٤ في هذه الفقرة تفسير لما ورد مجملاً في الفقرة : ١٧٠ .

وأمّا الحَرَبُ فمن قولك : حُرِبَ فلانٌ مالَهُ فهو حَرِيبٌ ومحروبٌ ، والفاعل حَارِبٌ ؛ وقال بعضُ النُّسَّاك : سُمّيَ المحرابُ مِحْراباً لأنَّ الشيطانَ يُحارِبُ فيه بالطاعةِ للهِ تعالى ، ويقال إنَّ هذا التأويلَ مَهْزول ، وإنّمَا المِحْرابُ أشرفُ مكانٍ في البيت ؛ ومَحاريبُ[1] اليَمَن هي أمكنةٌ شريفةٌ في القصور ، وكأنَّ المحرابَ في المسجدِ مِنْ ذلك لموقف الإمام . وقال أبو حامد : المِحرابُ عند بعض الفقهاءِ ليس من المسجد ، ولهذا قيلَ : من باتَ في المسجدِ وحَفَزَتْهُ بَطْنُه ولم يمكنهُ الخروج فأَوْلَى به أن تَقَعَ ذاتُ بطنهِ في المحراب . قال أبو حامد : ولم يُقَل[2] ذلك لهذه العلّة ، إنّمَا قيلَ ذلك لأنّه مكانُ الإمامِ وَحْدَهُ ، فإذا أصابه ذلك أصابَ[3] واحداً وهو ينتبهُ عليه ، ويستدركُ الحال هكذا ، ولو وضعَ في ناحيةٍ أخرى فإنه يصيرُ سبيلاً إلى نجاسةِ أكثرَ من واحدٍ من حاضري الصلاة .

وأمّا الخَرَبُ فَذَكَرُ الحُبَارَى ، وقد سمعتُ جَمْعَهُ على خِرْبان ؛ والخَرابُ ضدُّ العامر ، والخَراباتُ كلامٌ مهزول ، كذا قال الثقة . وقال بعض الجَوّالين : الخَرابات ببُخارى كالمَواخير بالعراق . والخارِبُ : اللّصُّ وجمعُهُ خُرّاب ، وكأنّه استحَقَّ ذلك لفسادِ حاله . يُقال : فلانٌ ما عُرِفَتْ له خُرْبَةٌ – بالباء[4] – ، وخُرْمَةٌ مُنْكَر ؛ هكذا قيل في هذا المعنى ، وإنّمَا الخُرْمَةُ من خَرَمَ إذا ثَقَبَ ، والمَخارِمُ في الطُّرُق ، وهي المَهاوِي والمقاطع ، والأخْرَمُ : الذي قد انخرم أنْفُهُ ، والمِسْوَر بنُ مَخْرَمة ، وكأنَّ هذين الاسمين أُخذا من سَارَ يسورُ إذا عَلا ، ومن خَرِمَ إذا أَثَّرَ[5] ؛ والكُتّابُ يقولون : فلان من خُرّاب البلاد ، وشُذّاذ المُدُن[6] ، وأَخابثِ النّاس .

....

١ ل : ومحارب .
٢ ل : يقبل .
٣ ل : أصابه .
٤ الخربة : الفساد في الدين والعيب .
٥ ل : أرر .
٦ ل : المدر .

وأمَّا الذَّرَبُ ففسادٌ في المعدة ، وقيلَ : هو حُدُور الماء ، ولذلك يقال : لِسانُه ذَرِبٌ إذا كان حديداً ، والسِّنانُ المُذَرَّبُ : أي المُحَدَّد ، والأسِنَّةُ المُذَرَّبَةُ .

وأمَّا السَّرَبُ فالنَّفَقُ ، وهو كالسِّرْداب - بكسر السين - هكذا يختارُ[1] العلماءُ وكذلك السِّرْقين والدِّهْليز ، وكلُّ ذلك خارجٌ عن العربية في الأصل[2] ومجرى فيها بالاستعمال . والسَّرْبُ : الماءُ المنصبُّ ، وكأنَّ النَّفَقَ لما كان شِقًّا أَسرَبَ في الأرض كالماء ، والسَّارِبُ : الجاري[3] ، كذا قيل في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وسَارِبٌ بِالنَّهارِ﴾ (الرعد : ١٠) ، كأنه لابسٌ الخَفاء ، وهو الكِساء ، وجمعُهُ أَخْفِيَة ، وقيل له خفاءٌ لما يخفى فيه ، وَسَاربٌ بالنهار : أي ظاهر . وقال بعضُ القَرامِطَة حين دخلوا الكوفةَ سنة خمسٍ وتسعين ومائتين : نحن جُباة المال ، وحُماة السُّروب ، واحدها سَرْبٌ ؛ والسِّرْبُ : القَطيعُ من الغنم والظِّباء وغير ذلك .

وأمَّا الشَّرَبُ فجمعُ شَرَبَة ، والشُّرْبُ : جَرْعُكَ[4] الماءَ ، وأنتَ شاربٌ والماءُ مَشْروبٌ ، والمِشْرَبَةُ : ما يُشْرِبُ به ، والماءُ الشَّرِيب والشَّرُوب : ما أمكنَ شُرْبُهُ على كراهيةٍ ؛ والشَّرْبُ : النُّدَمَاءُ كالصَّحْب . وقد تعجَّبَ بعضُ العلماءِ من قَوْلِ الناس ببغداد للذي يريد أن يَسْقيَ الناسَ ويحمل الماءَ : شاربٌ ، وقالوا : هو ساقٍ ، فَلِمَ قيل : شاربٌ ؟ ولم يظهر خفيٌّ هذا إلى[5] الساعة ؛ ورجلٌ شِرِّيبٌ إذا كان كثير الشُّرْبِ كَسِكِّير وخِمِّير وفِسِّيق ، وبابُ هذا موقوفٌ على السَّماعِ لا يُقال بالقياس كقولك : هو إكِّيل من الأَكْل ، ولا عِلِّيم من العِلْم ، فاحفظِ

١ ل : قال .
٢ في الأصل : سقطت من ل .
٣ ل : الخائف .
٤ ل : شربك .
٥ ل : إلا .

السّماعَ وأَفْرِدِ[1] القياس ، ولا تحمل أحَدَهما على الآخر .

واعلم أَنَّ القياسَ في اللغة من[2] نَحْوَيْن : نَحْوٍ أَيَّده السَّماع[3] ودلَّ عليه[4] الطباع ، فالقولُ حَسَنٌ والمصيرُ إليه جائز . سمعتُ هذا من أبي سعيد السِّيرافي . وكان أبو حامد المروروذي يقول : القياسُ باطلٌ في اللغة ، لأنّ اللغةَ في الأصل اصطلاح ، وفي الفرع اتّباع ، والقياسُ استحسانٌ وانتزاع ، ولو وُضِعَتِ اللغةُ بالقياسِ لَصُرِفَتْ بالقياس ، فلمَّا وُضِعَتْ بالاصطلاحِ أُخِذَتْ بالسَّماع . والكلامُ في اللغات[5] طويل ، لأنَّ العلمَ بأحوالها واعتيادِ[6] أَهلها وأخْذِ بعضها عن بعضها في أصل الخَلْق[7] وأَوَّلِ النُّطْق وحين فتح الفاتحُ فاهُ ، وغزا بعقلِهِ معنىً وتوخَّاهُ ، ثمَّ صاغ له لفظاً وسمَّاه ، وأَفرده بنفسه عمّا عَداه ، وقطعَ الصوتَ وأَفرَدَهُ من غيره بالإشارةِ إليه ، وكيف فَهِمَ عنه السامع ، وكيف قَرَع أذنهُ ، وكيف وَصَلَ إلى صَميمِ عقله ، وكيف عرف به مُرادَ قلبه ، وكيف وَقَعَ التّمازُجُ به والاتفاق عليه ؟ عِلْمٌ إلهيّ ، وسرٌّ خفيّ ، وأمرٌ غَيْبيّ ، لا يقف عليه ولا يحيطُ بكُنْهِهِ إلَّا خالقُ الخَلْق ، ومُبْدِئُ العالم ، ومُنْشِئُ الكَوْن ، ومالكُ الجُمْلَة .

وأمّا الصَّرْبُ فالصَّمْغُ .

وأمَّا الطَّرَبُ فالخفَّة في الفَرَح ؛ قال معاوية : الكريمُ طَروبٌ ، أي الماجد مُرتاحٌ إلى الخير هَشّاش ؛ والأطْرابُ جمعُ طَرِب[8] ، وتَطَرَّبَ الرجلُ إذا تَكَلَّفَ ذلك .

---

١ ل : واحذر .

٢ ل : على .

٣ ل : لبديهة السماع .

٤ ل : ولغلبة .

٥ ل : اللغة .

٦ ل : واعتبار .

٧ ل : اللغة .

٨ الطرب : السهم .

وأمَّا الضَّرَبُ فالعَسَل ، ويُقال : هو الأبيض المُحَبَّبُ الذي كأنَّ فيه حُبوباً ، ولا أحفظُ فيه أكثر من هذا .

وأَمَّا العَرَبُ فهذا الجِيلُ في هذه الجزيرة ، وهي ألفُ فَرْسخ ؛ والعَرَبُ أيضاً[1] جمع عَرَبَة ، وهي ناعورة ، وسُمِّيَتْ بذلك لأنَّها تَنْعَرُ أي تُصَوِّت ، ويقال : نَعَرَ فلانٌ ، وفلانٌ نَعَّارٌ في الفِتَنِ ، ونَعَر العِرْقُ : إذا فار الدَّمُ منه . والعَرَبُ أيضاً ، يُقال : هي النَّفْس ، واحدتُها عَرَبَةٌ ، والخيلُ العِرَابُ معروف . وفلانٌ أعرابيٌّ إذا كان بَدَوِيًّا ، وهو عَرَبيٌّ أيضاً . والإعرابُ : الإفصاح ، وهذا لم يُفصح الكلامَ ، ثمّ بحركاتهِ وسَكَنَاتِه يقعُ البيان ؛ ويُقال : أَعربَ الفَرَسُ إذا صهل فعُرِفَ بصَهيلهِ أنه من الخيل العِراب . والعُرُب جَمْعُ عَرُوب ، وهي المُحِبَّة لِبَعْلها ، هكذا فُسِّر في التنزيل والحكمة والبيان القويم .

وأمّا الغَرَبُ فَشَجَرٌ معروف .

وأَمَّا القَرَب فليلةُ وُرُود الماء من [صَبِيحتِها] .

وأمَّا الهَرَبُ فمعروف .

وأمَّا الكَرَبُ فأصول السَّعَفِ ؛ والكَرَبُ أيضاً : حَبْلٌ يشدُّ بحبلِ الدَّلْو .

وأَمَّا الأَرَبُ فالحاجة .

وأمَّا الدَّرَبُ فالمهارة ؛ يُقالُ : دَرِبَ يَدْرَبُ دَرَباً .

١٧٥ – كتبتُ من خَطِّ ابن المعتزّ : قال عليّ بن أبي طالب رضي اللهُ عنه لعاصم بن زياد الحارثيّ ، وكان عاصم قد لبسَ الخَشِنَ وتركَ المُلاءَ : يا عاصم . أتَرى أنَّ اللهَ تعالى أحَلَّ لك الطَّيِّبات وهو يكرَهُ أخْذَكَ منها ؟ أنت واللهِ أهونُ

---

١٧٥ نهج البلاغة : ٣٢٤ – ٣٢٥ وربيع الأبرار : ٤١١/أ (٤ : ٣٨٠) والتذكرة الحمدونية ١ رقم ١٥١ وتذكرة الخواص : ١١١ .

....

١ فهذا الجيل . . . أيضاً : سقط من ل .

عليه ، قال : يا أميرَ المؤمنين ، فأنتَ آثرتَ لبسَ الخَشِنِ ، قال : وَيْحَكَ يا عاصم ، إنَّ الله فَرَضَ على أَئِمة العَدْل أن يَقْدروا أنفُسَهُم بالعوام لئلا يَتَبَيَّغَ بالفقير فَقْرُهُ ، قال : فألقى عاصمٌ العباءَ ولبس المُلاء .

١٧٦ – وقالوا : العَفْو زكاةُ العَقْل . ولو قيل : زكاة القُدْرة كان أنبل ؛ هذا عندي ، ولا أثقُ بجلِّ ما عندي .

١٧٧ – وقال عليٌّ رضيَ اللهُ عنه : الجَزَعُ والشَّرَهُ والبُخْلُ والحَسَدُ فروعٌ أصلُها كلّها واحد .

١٧٨ – قيل لابن صُوحان ، وذكرَ يوماً من أيام عليّ : أين كنتَ ؟ قال : كنتُ مع الخواصِّ أضْرِبُ خَيْشُومَ الباطل .

١٧٩ – قال عبدُ الله بن الزُّبير بن العَوَّام لعمرو بن العاص : إنَّك لكالعَشْواء[1] تخبطُ في جلبوب ليلٍ خُدارِيّ ؛ هكذا كان بخطِّهِ ، ولعله « جِلْباب » .

١٨٠ – قال عثمانُ بنُ عَفَّان رضي اللهُ عنه : لكلِّ نعمةٍ عاهة ، وعاهة هذه النعمة عَيَّابُون طَعَّانون ، طَغَامٌ مِثْلُ النَّعام ، أتباعُ كلِّ ناعق ؛ يعني بالنِّعمة الخلافة فيمَا أظنّ .

---

١٧٦ هو كما قدَّر أبو حيان ، فقد جاء قول للإمام علي في ربيع الأبرار ١ : ٧٢٧ ونصه : العفو زكاة الظَّفَر .

١٨٠ لما نقم الناس على عثمان قام يتوكأ على مروان وهو يقول : لكل أمة آفة . ولكل نعمة عاهة ... الخ ؛ انظر البيان والتبيين ١ : ٣٧٧ ونثر الدرّ ٢ : ٦٢ .

....

[1] ل : بالعشر

١٨١ – قال أبو حمزة الشّاري ، وذَكَرَ بني أُميَّة : ذبّانُ طمعٍ وفَراشُ نار .

١٨٢ – للناشىء الكبير : [الكامل]

لَمْ تُبْنَ في الدُّنْيا سماءُ مكارمٍ ... إلَّا ونحنُ بدورُها ونُجُومُها
وإذا سَمَتْ يوماً لِلَمْسٍ[١] أَدِيمها ... يوماً أبالِسُها فنحنُ رجُومها
وإذا سمعتَ بنعمةٍ محروسةٍ ... من كلِّ حادثةٍ فنحنُ حَريمُها
وإذا أُليحَتْ للأنام بَوارقٌ[٢] ... تندى[٣] فمنَّا تَستَهِلُّ غُيومُها

١٨٣ – قال ابن المعتزّ : فيمَا تزندق فيه أبو العتاهية قوله : [الطويل]

إذا ما استجَرْتَ الشَّكَّ[٤] في بعض ما ترى ... فمَا لا تراهُ العينُ أمضى وأَجْوَزُ

١٨٤ – قال ابنُ المعتزّ : لمّا قال[٥] : [الكامل المجزوء]

---

١٨١ أبو حمزة الشاري اسمه المختار بن عوف بن سليمان الأزدي السليمي البصري ، خارجي إباضي ثار على مروان بن محمد ، وبايع طالب الحق عبد الله بن يحيى سنة ١٢٨ بحضرموت ، واستولى على مكة ودخل المدينة عنوة ، ثم سار إلى الشام ، فانهزم جيشه بوادي القرى ، فعاد بمن بقي من أصحابه إلى مكة ، وهناك كانت الوقعة التي انتهت بمقتله سنة ١٣٠ (انظر حوادث سنة ١٢٨ – ١٣٠ في الطبري وابن الأثير) .

١٨٢ القسم الخامس من مجموع شعره (المورد : ٦١) القطعة رقم : ١١٤ (عن البصائر) .

١٨٤ الأغاني ٤ : ٧٩ والعقد ٢ : ٣٤٦ و ٦ : ١٩٤ ومحاضرات الراغب ١ : ٥٩٥ وربيع الأبرار : ٣٢٦ ب (٣ : ٧١٠) والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ١٠٠١ .

....

١ ل : قوم للبس .
٢ ل : فوارق .
٣ ل : تبدي .
٤ ل : استجرت العيش .
٥ يريد أبا العتاهية .

فاضربْ بطَرْفِكَ حيث شِئْـ ـتَ فلن تَرى إلّا بخيلا

قيلَ له : بَخَّلْتَ[1] الناس ، قال : فاكذبوني بواحدٍ .

١٨٥ – قال ابنُ المعتزّ : وحدّثني أبو سعيدٍ عن الأَثرم قال : كانت أُمُّ جعد ، وهي امرأةٌ من غُدانةَ بن يَرْبوع واقعت أَوْسَ بن حَجَر في الجاهلية فقالت : [الرجز]

أنْعَتُ عَيْراً هو أيْرٌ كُلُّه حـافِـرُهُ ورأسُهُ وظِـلُّه
كأنَّ حُمّى خيبرٍ تَمُلُّه أنْعَظَ حتى طارَ عنه جُلُّه[2]
يدخلُ في فَقْحَةِ أوسٍ كُلُّه

فهربَ أوسٌ منها فاتّبعته وهي تقول : [الرجز]

أطلبُ أوْساً لا أريدُ غيرَهْ نايكتُهُ فَشَقَّ بَظْري[3] أيرَهْ

١٨٦ – شاعر : [الوافر]

مَرَرْتُ بأيرِ بَغْلٍ مُسْبَطِرٍّ[4] فُوَيْقَ الأرضِ كالعُنُقِ[5] المُطَوَّقْ
فمَا إنْ زلتُ أمرسُهُ بكفّي إلى أن صار كالسَّهْمِ المُفَوَّقْ

---

١٨٥ الرجز : أنعت عيراً . . . ورد في المختار من شعر بشّار : ٢٠٦ لليلى الأخيلية تهاجي زياد بن قبيع (قنبع) ؛ والرجز التالي في الأجوبة المسكتة رقم : ١٠٥٩ ونسب لجمعة القحطانية تهاجي أوس بن حجر .

[1] ل : حملت .
[2] ل : فحله .
[3] ل : نائكه سوء يطري .
[4] ل : حين أدلى .
[5] ل : كالطبق .

فلمّا أنْ رَبا وَمَذى[1] وأمذَى ضربتُ به حِرَ اَمِّ أبي الشَّمَقْمَقْ

١٨٧ – قال ابنُ أُذَيْنَة لعبد العزيز بن مروان في كلامٍ جرى : لا ، ولكنّك مَلولٌ ، قال : لو كنتُ مَلُولاً ما صَبَرْتُ على مُوَاكلتك[2] سنةً وأنت أبرص .

١٨٨ – لعُبادة بن البرّ الجَعْدي : [الطويل]

ألا لَيْتَ شِعْري هل أَبِيتَنَّ ليلةً جميعَ الهوَى قد راجع النَّفْسَ طِيبُها

١٨٩ – قال بعضُ النَّحْويين : [بين قولك :] ما زيدٌ كعمرٍو ولا شَبيهاً به ، وبين قولك : ما زيدٌ كعمرٍو[3] ولا شبيهٍ به فَرْقٌ ، أنَّ القول الأول في النصب نَفْيٌ لزيدٍ عن مشابهتِهِ ، وفي الجرِّ نَفْيٌ عن كونهِ شبيهاً به . وهذا فيه تحكُّمٌ ، وكثيرٌ من أصحابنا لا يطمئنّون إلى هذا الفَرْق .

١٩٠ – قال بعضُ النَّحْويين[4] : معنى قولك : أنتَ أَنْتَ لولا أنّ أباك أبوكَ هو : أنتَ الكاملُ لولا أبوك ، كأنّه إشارةٌ إلى فضلهِ التام إلّا من جهة الوَضْع من أبيه .

١٩١ – شاعر : [الرجز]

---

١٨٧ ربيع الأبرار : ٣٥٠/أ والبرصان والعرجان : ١٣٠ و ١٦١ ، ويروى أن القصة جرت بين عبد العزيز وأيمن بن خريم (وذلك أدقّ) ، وقيل بين أيمن وبشر بن مروان .

١٩١ في اللسان (مضض) ورد قول الراجز :

وصاحب نبهته لينهضا إذا الكرى في عينه تمضمضا

---

١ ل : ووكى .

٢ ل : أن واكلتك .

٣ ولا شبيهاً . . . كعمرو : سقط من ل .

٤ ل : بعض الأدباء .

ما ذاقَ طَعْمَ النَّوْمِ أو ما غمَّضا إذا الكَرَى في عَيْنِهِ تَمَضْمَضا

١٩٢ – لأبي نُخَيْلَة : [الرجز]

ها أنا سيفٌ من سيوف الهَنْدِ ما شِمْتُ إلّا نظرةً في غِمْدِ
فإنْ تُقَلِّدْني فعدْ لي حدِّي وكلُّ ما سرَّكَ عندي عندي

١٩٣ – دخلَ عبد الرحمن بن قديد العُذْري على معاوية يستعدي على هُدبَة بن الخَشْرم[1] فقال : يا أميرَ المؤمنين ، هؤلاء وَطِئوا حَريمي ، ورَوَّعُوا حُرَمي ، وقتلوا أخي .

١٩٤ – ذَمَّ أعرابيٌّ قوماً فقال : ما زالت فيهم خميرةُ سَوْءٍ يُبقيها[2] الماضي للباقي حتى أورثوها فلاناً فَعَجَنَها بيدِهِ وأكلَها بفيه .

انظر إلى استعارةِ العرب وإلى اقتدارِها في الكلام وركوبِها كلَّ مَتْنٍ ووَجيفِها[3] في كلِّ وادٍ .

١٩٥ – قال الحسن : اللهم اجعلْ أهلَ العراقِ صخرةً تجري عليها دماؤنا[4] ، فما يُنالُ بهم حقّ ، ولا يُرْتَقُ بهم فَتْق ، وذلك لمّا تفرَّقَ عنه أصحابُهُ .

---

١٩٢ أبو نخيلة الراجز اسمه يعمر وكني أبا نخيلة لأن أمه ولدته إلى جنب نخلة ، وهو من بني حمان بن كعب بن سعد ، وكان يهاجي العجاج (انظر الأغاني ٢٠ : ٣٦١ والشعر والشعراء : ٥٠١ والخزانة ١ : ٧٨ والسمط : ١٣٥) ؛ وقد أورد أبو الفرج أشطاراً كثيرة من أرجوزته الدالية (٢٠ : ٣٦٦) .

....

١ ل : الحر .
٢ ل : سبقها .
٣ ل : ورجيفها .
٤ ل : دماؤها .

١٩٦ – وقف أَعرابيٌّ بباب بعض المُلوك فقال : أَعينوا الجائعَ الضَّعيف ، فقال البَوَّاب ، وكان سميناً : لعنكُم اللهُ فمَا أكثرَ جائعَكُمْ ، فقال : واللهِ لو فُرِّقَ قُوتُ جِسْمك في أَبدان عشرةٍ منا لكفانا شَهْراً ، وإِنك لعظيمُ السَّرطَة ، جَسيمُ الضَّرطة ، ولو ذُرِيَ بجيفتكَ بَيْدَرٌ لَكَفَتْهُ[١] .

١٩٧ – ورُويَ عن عُمر أنه قال : إذا تناجَى القومُ في دينهم دُون العَامَّة فهم على تأسيسِ ضَلالةٍ .

١٩٨ – طلَّق أعرابيٌّ امرأته فقالت : ولِمَ تُطَلِّقُني ؟ قال : لِقُبْحِ مَنْظَرِكِ ، وسوءِ مَخبَرِكِ ، واللهِ إنَّكِ ما علمت لدائِمةُ الذَّرَب ، كثيرةُ الصَّخب ، مُبَغَّضَةٌ في الأهل ، مَشْنُوءَة[٢] عند البَعْل ، قصيرةُ الأنامل ، مُتقاربةُ القَصَب ، جَبْهَتُكِ نَابِيَة[٣] ، وعَوْرَتُكِ بادِيَة ، أَكرمُ الناسِ عليك مَنْ أهانَكِ ، وأهونُ الناسِ عليك مَنْ أَكرمَكِ . قالت : وأنت واللهِ إنْ نطقَ القومُ أُفْحِمْتَ ، وإنْ ذُكِرَ الجودُ انقمعتَ ، ضيفُكَ جائع ، وجارُك ضائع ، القَليلُ منك إلى غيرِكَ كثير ، والكثيرُ من غيرك إليك قليل .

١٩٩ – قال أَنس : قيل : يا رسولَ الله متى يُتْرَكُ الأمرُ بالمعروفِ والنَّهْيُ عن المُنْكَر؟ قال : إذا ظهر فيكم ما ظَهَرَ في بني إسرائيل ، قالوا : وما ذاك يا رسولَ الله؟ قال : إذا ظهر الإدهانُ في خياركم ، والفاحشةُ في شِراركم ، وتحوَّل المُلْكُ إلى صِغاركم ، والفِقْهُ في رِذالكم .

---

١٩٧ نثر الدرّ ٢ : ٢٨ .

....

١ ل : ولو كري بجيفتك ببدر لكنته .
٢ ل : مشئومة .
٣ ل : ناتية .

٢٠٠ – قال الحسن البَصْريّ : لا يَرُدُّ جوائزَ الأمراءِ إلّا مُرَاءٍ أو أحمق .

٢٠١ – قال الأصمعي : لمَّا قُتِلَ المختارُ أُخِذَ رأسُهُ وحُمِلَ بَدَنُهُ على بَغْلٍ ، فكان كلّما مال مُسِكَ[1] بأيْرِهِ ، فكان أيْرُهُ سُكَّانَهُ . هذا لَفْظُ الأصمعي .

٢٠٢ – لأبي الخطَّاب النَّحْويّ : [الوافر]

أَمَا واللهِ لولا خوفُ هَجْرٍ يكونُ من التَّنازُعِ والعِتابِ
وأَمرٍ لستُ أدري كيف آتي إذا فكَّرْتُ فيه بالجوابِ[2]
لَقُلْتُ مقالةً فيها شِفاءٌ لنفسي من هُمومٍ وٱكتئابِ
ولكنْ سوفَ أَصبرُ فاصطباري على المكروهِ أولى بالصَّوابِ

٢٠٣ – قال ابنُ السَّمَّاك : عَجَباً للفتى المُتْرَف الذي تَعَوَّد النعيمَ في الدُّنيا ، والطعامَ الطيِّبَ ، والمَرْكبَ الوَطيءَ ، والمنزلَ الواسعَ ، كيف لا يعمل ها هُنا مخافةَ أَنْ يفُوتَهُ ذاك في الآخرة ؛ وعجباً للفقيرِ المجهودِ الذي لا يَقْدر من الدُّنيا على حاجتهِ كيف لا يعملُ رجاء أن يذهبَ إلى نعيمٍ ورَوْحٍ ويستريح ممَّا هو فيه .

٢٠٤ – قال عبيدالله بن زياد : إيّاكم والطمعَ فإنهُ دَناءة ؛ واللهِ لقد

---

٢٠٠ ربيع الأبرار ٣ : ٦٨٣ وبهجة المجالس ١ : ١٦٧ .

٢٠٢ الأرجح أنه أبو الخطاب بن عوف الجزيري النحوي الشاعر . كان يتنقل في البلاد الشامية ، وله محاضرة وحسن مذاكرة . وقد عاصر أبا العباس النامي شاعر سيف الدولة الحمداني (إنباه الرواة ٤ : ١١٢) .

٢٠٤ عبيد الله بن زياد بن ظبيان التّيمي أبو مطر فتاك مقدام خطيب ، قتل مصعب بن الزبير ثأراً لأخيه النابي ؛ انظر تاريخ الطبري ٢ : ٨٠٩ وجمهرة ابن حزم : ٣١٥ والبيان والتبيين ١ : ٣٢٥ . ويزيد بن أبي مسلم دينار الثقفي أبو العلاء مولى الحجاج وكاتبه ، استعمله الحجاج=

---

١ ل : مسكوا .
٢ ل : في الجواب .

رأيتني على باب الحجّاج ، وخرج الحجّاج فأردتُ أن أعْلُوَهُ بالسيف فقال : يا ابنَ ظبيان ، هل لَقيتَ يزيدَ بن أبي مُسْلم ؟ قلت : لا ، قال : فالْقَهُ فإنّا قد أمرناهُ أن يُعْطِيَكَ عَهْدَكَ على الرَّيّ ؛ قال : فطمعتُ فكففتُ ؛ وإنه عادَ إلى يزيد بن أبي مسلم فلم يكن معه عهدٌ ولا شيء ، وإنّمَا قال الحجّاجُ ما قال حَذَراً منه .

٢٠٥ – شعر : [البسيط]

ما يألَفُ الدِّرهمُ المنقوشُ خِرقَتَنا إلّا لِماماً قليلاً ثم يَنْطَلِقُ
إنَّا إذا كَثُرَتْ يوماً دَراهِمُنا ظلَّت إلى سُبُل الخيراتِ تَسْتَبِقُ

٢٠٦ – وَجد عمرُو بن العاص في الوَهْطِ – ضَيْعَتِهِ – رجلاً يقطِفُ عِنَباً فقال : وَيْلَكَ ما علمتَ ما أنزل اللهُ على موسى ؟ قال : ما هو ؟ قال : من تَسَوَّرَ وَهْطَيْن ، وأَخَذَ قِطْفَيْن ، فإنَّه يدخلُ نَارَيْن ، فقال : لا واللهِ ما علمتُ أنّ الله أنزل هذا ، ولكن علمتُ ما أنزلَ اللهُ على عيسى[1] ، قال : ما هو ؟ قال : من سرق مِصْرَين ، وأنفق في وَهْطَيْن ، فإنه يدخلُ نارَيْن ، فقال عمرو : واللهِ ما أَنْزَلَ الله تعالى هذا ولا ذاك .

٢٠٧ – لمّا ولي سَوَّار القضاءَ كتب إلى أخٍ له يسكنُ الثُّغُور : إنه إنّمَا حَمَلني على الدخول في القَضاء مخافةَ أن أَدخلَ فيمَا هو أعظم منه – وذَكَرَ كثرةَ

= على خراج العراق ، فأقرّه على ذلك الوليد ، ولكن سليمان بن عبد الملك حبسه ، ثم أطلقه يزيد بن عبد الملك وقلّده افريقية سنة ١٠١ ، فأساء السيرة هناك وما لبث أن قتل في السنة التالية ؛ انظر ترجمة يزيد في وفيات الأعيان ٦ : ٣٠٩ وفهرس تاريخ الطبري ومروج الذهب للمسعودي ؛ وانظر أيضاً حاشية الوفيات .

٢٠٥ البيتان في فاضل المبرد : ٤٢ (لمالك بن أسماء) وفي الحماسة (التبريزي) ٤ : ١٢٦ (لجؤية بن النضر) وفي معاهد التنصيص ١ : ٧٢ (لنضر بن جؤية) وفي الفخري : ١٥ (دون نسبة) .

١ ل : موسى .

العِيال ، وشدَّةَ الزَّمان ، وجَفْوَةَ[1] السلطان ، وقلة المواساة ، فَرَقَّ له وكتب إليه : فإني أوصيكَ بتقوى الله تعالى يا سَوَّار ، الذي جعل التَّقْوى عوضاً من كلِّ فائدة من الدُّنيا ، ولم يجعلْ شيئاً من الدُّنيا عوضاً من التَّقْوى ، فإنَّ الدُّنيا عقدةُ كلِّ عاقل[2] ، بها يستنيرُ[3] وإليها يَسْتَرْوِح ، ولم يظفرْ أَحدٌ في عاجل الدُّنيا وآجل الآخرة بمثلِ[4] ما ظفرَ به أولياءُ الله الذين شربوا بكأس حُبِّهِ ، وكانت قُرَّةُ أعينهم في ذلك ، لأنهم أَعملوا أنفُسَهُم في حَريمِ الأدب ، وراضوها رياضةَ الأصحَّاء الصادقين ، وظَلَفوها[5] عن الشَّهَوات ، وألزموها القُوتَ المعلَّق[6] ، وجعلوا الجوعَ والعطشَ شِعاراً لها ، حتى انقادتْ وأَذْعَنَتْ لهمُ عن فُضُولِ الشهوات ، فلمّا ظَعَنَ حُبُّ فضولِ الدُّنيا عن قلوبهم ، وزايلَتْهُ أهواؤهم ، وكانتِ الآخرةُ نُصْبَ أَعْيُنهم ، ومُنْتَهى أَمَلِهم ، وَرَّثَ اللهُ تعالى قلوبَهُمُ الحكمة ، وقُلِّدَتْ قلائد العِصْمة ، وجُعِلَتْ نوراً للعالَم الذي يَلمُّون منه الشَّعث[7] ويشعبون الصَّدْع ، فمَا لبثوا إلَّا يسيراً حتى جاءهم من الله موعودٌ صادقٌ اختصَّ العالِمين به والعاملين له ، فإذا سرَّكَ أَن تسمعَ صفةَ الأبرار الأتقياء فصفةَ هؤلاء فاستمع[8] ، وشمائلَهم فاتّبعْ ، وإيّاك يا سَوَّارُ وبُنَيَّات[9] الطريق .

٢٠٨ – قال الأصمعي : لزياد الأعجم في قتيبة بن مسلم : [الوافر]

---

٢٠٨ أبو أمامة زياد بن سليمان الأعجم مولى عبد القيس شاعر شهد فتح اصطخر وحدّث عن أبي=

....

١ ل : وجيرة .
٢ ل : عاقد .
٣ ل : يستدير .
٤ ل : مثل .
٥ ل : وطلقوها .
٦ ل : المطلق .
٧ ل : الذين يكون منهم الشغب .
٨ ل : تستمع .
٩ ل : وبنات .

فمَا سبقتْ يَمينُكَ من يَمينٍ ولا سبقتْ شِمالُكَ من شِمالِ

٢٠٩ – قال عبد الملك بن عُمَير : المرأةُ السَّوداءُ بنتُ السيِّدِ أحبُّ إليَّ من المرأةِ[١] الحسناءِ بنتِ الرجل الدنيء .

٢١٠ – قال عبد الملك بن صالح : قال رجلٌ لابن السَّمَّاك : أَما بلغك أنَّ القَصَصَ بِدْعَةٌ ، وكان عَريفاً ، قال : فبلغك أنَّ العِرافة سُنَّة ؟!

٢١١ – كان لَقيط راويةَ أهل الكوفة[٢] ، قال : تقدمَ رجلٌ من التجار إلى العُرْيان بن الهيثم ، وكان التاجرُ فصيحاً صاحبَ غَريب ، ومعه خَصْمٌ ، فقال التاجر : أصلحك الله ، إنّي ابْتَعْتُ من هذا عَنْجَداً[٣] واسْتَنْسَأْتُهُ شهراً أُوَدِّيهِ مُياومةً ، ولم يَنْقَضِ الأَجَل ، ولقد أَدَّيتُ بعضَ حقّه فليس يلقاني في لَقَمٍ[٤] إلّا فَثَأني[٥] عن وَجْهي ، وأنا مُهَيِّئٌ مالَهُ إلى انقضاءِ الأجَل ؛ فقال له العُرْيان : مَنْ أنت ؟ قال : رجلٌ من التجار ، قال : أيْ عاضَّ بَظْرِ أُمِّهِ ، تتكلَّمُ بهذا الكلام ؟! ضَعُوا ثِيابه ، فأهوت[٦] الشُّرَط إلى ثيابه فقال : أَصلحك اللهُ إنَّ إزاري

= موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص . وعده ابن سلام في الطبقة السابعة من شعراء الإسلام ، وتوفي في حدود سنة ١٠٠ ؛ ترجمته في الأغاني ١٥ : ٣٠٧ وطبقات ابن سلام : ٦٩٣ ومعجم الأدباء ٤ : ٢٢١ وفوات الوفيات ٢ : ٢٩ (وانظر حاشيته) .

٢١١ لقيط بن بكير المحاربي أبو هلال راوية أهل الكوفة . شاعر عالم بالشعر والأخبار ، وله مصنفات عدة ، توفي سنة ١٩٠ ؛ انظر معجم الأدباء ٦ : ٢١٨ .

١ المرأة : سقطت من ل .
٢ ل : راوية الكوفة .
٣ ل : عسجداً ؛ والعنجد : نوع من الزبيب .
٤ لقم الطريق : وسطه .
٥ فثأني : كفّني ولواني .
٦ ل : وأهوت .

مُرَعْبَل[1] ، فضحكَ العُرْيان وقال : لو تَرَكَ الغريبَ في موضعٍ لتركَهُ ها هُنا ، خلُّوا عنه .

٢١٢ – أصابتْ أبا علقمة الحُمَّى فأرسل إلى الطبيب فقال : انظر إليَّ ، فأخذ بيده وجَسَّ عُرُوقَهُ فقال : أصلحك الله ، أيّ شيء يوجد لك ؟ فقال : أَجِدُ رَسِيساً في أسْنَاخي[2] ، وأزًّا[3] فيمَا بين الوَابلة إلى الأُطْرَةِ من دَأَيات العُنُق[4] قال : أصلحك اللهُ هذا وَجَعُ القُرَيش[5] ، قال أبو علقمة : وأين سَعْدُ من قُرَيْش ؟! والناس[6] بنو آدم ، قال : إن شئت ولد آدم وإن شئت ولد عيسى ، ليس عندنا لهذا الكلام دواء[7] .

٢١٣ – دعا أبو علقمة حَجَّاماً فقال له : أُخرِجُ منك دماً قليلاً أو دماً كثيراً ؟ قال : اشدُدْ قَصَبَ[8] المَلازم ، وأَرْهِفْ ظُبَى المَبَازع[9] ، وخَفِّفِ الوَقْعَ ،

---

٢١٢ قارن بعيون الأخبار ٢ : ١٦٢ وأخبار الظراف : ٧٧ – ٧٨ وأخبار الحمقى : ١٢٧ . وأبو علقمة نحوي قديم العهد يعرف اللغة معرفة جميلة ، وكان يتقعر في كلامه ويتعمد الغريب الحوشي ؛ ترجمته في إنباه الرواة ٤ : ١٤٦ (وانظر حاشيته) .

٢١٣ قارن بالبيان والتبيين ١ : ٣٨٠ والعقد ٢ : ٤٩١ وبهجة المجالس ١ : ٥٦١ – ٥٦٢ وإنباه الرواة ٤ : ١٤٦ والتذكرة الحمدونية : ٢٣٥ (رئيس الكتاب ، رقم : ٧٧٠) .

....

١ مرعبل : ممزّق .
٢ ل : أسناني ؛ والرسيس : الوجع الدخيل ؛ والأسناخ : الأصول ، وتستعمل للثنايا والأسنان .
٣ ل : وأنا .
٤ الوابلة : طرف رأس العضد أو الكتف ؛ الأطرة : كل ما أحاط بشيء فهو أطرته ؛ الدأيات في العنق : ستّ يلين المنحر ، من كل جانب ثلاث .
٥ ل : قريش .
٦ ل : فالناس .
٧ ل : مردّ .
٨ ل : فضم .
٩ ل : المبضع (وهي مثل المبازع) .

وعَجِّلِ القطعَ[1] ، ولا تَستَكْرِهَنَّ أبيًّا[2] ، ولا تردنَّ أَتِيًّا[3] ، واسففْ ولا تُسَفِّف ، فقام الحَجَّامُ وقال : جعلني اللهُ فداك ، ليس لي علمٌ بالحرب . يقال : أَسْفِفْ أي قارِبْ بين الشُّرُطِ ، ولا تسفّف[4] ، يقول : لا تفرِّقْ بين الشُّرُط .

٢١٤ – قال الزُّبير بن بَكَّار : لأميةَ أبياتٌ نهى رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم عن إنشادها وهي : [الرجز]

ماذا ببَدْرٍ فالعَقَنْـ ـقَلِ مِنْ مَرَازِبَةٍ جَحاجِحْ[5]

شِيبٌ وشُبَّـانٌ بها ليلٌ مَخاريقٌ دَحَادِحْ[6]

فَمَدافع البَرْقَيْنِ فالـ ـحنَّان من طَرَفِ الأَواشِحْ[7]

هلَّا بكيتَ على الكِرا مِ بني الكِرامِ أُولي المَنَادِحْ[8]

كبُكا الحَمامِ على فُرو عِ الأيْكِ في الطَّيْرِ الجَوانِحْ[9]

---

٢١٤ انظر نور القبس : ٤٠ ، حيث ذكر أن النبيَّ نهى عن قصيدة أمية وقصيدة الأعشى في عامر وعلقمة ، والبيان والتبيين ١ : ٢٩١ « فلما زالت العلة زال النهي » ؛ والمرثية في العقد ٣ : ٣٠٠ – ٣٠٢ وسيرة ابن هشام ٢ : ٣٠ – ٣٣ وديوان أمية : ٣٤٥ – ٣٥١ (باختلاف في الترتيب) .

1 ل : الرفع .
2 ل : لينا .
3 ل : لبنا .
4 ل : تستف .
5 العقنقل : الكثيب المنعقد من الرمل ؛ المرازبة هنا بمعنى الرؤساء ؛ الجحاجح : جمع جحجاح وهو السيد .
6 السيرة : شمط وشبان . . . مغاوير وحاوح ؛ البهاليل : السادة ؛ المخاريق : السيوف ، أي هم يشبهونها في المضاء ؛ الدحادح : المستديرون الململمون ؛ الوحاوح : الحديدو النفوس .
7 البرقين : اسم موضع ؛ الحنان : الكثيب من الرمل ؛ الأواشح : موضع .
8 السيرة : أولي الممادح ؛ والمنادح : الكثرة والاتساع .
9 السيرة : في الغصن الجوانح .

يَبكينَ حرَّى مُستَكيـ ـنَاتٍ يَرُحْنَ مَعَ الرَّوائِحْ
من يَبْكِهِمْ يُعْوِلْ على حَذرٍ ويَصْرِف[1] كُلَّ مادِحْ
أو لا يَرَوْنَ[2] كما أرَى ولقد يَبينُ لكلِّ لائحْ
أنْ قدْ تغيَّر بطنُ مكـ ـكةَ فهي مُوحِشَةُ الأباطِحْ
من كلِّ بِطْرِيقٍ لبطْـ ـرِيقٍ نقيٍّ اللونِ واضِحْ
الـقـائـلـينَ الفـاعلـيـ ـنَ الآمرينَ بكلِّ صالِحْ
المُطْعِمِينَ الشَّحْمَ فَوْ قَ اللحمِ[3] شَحْماً كالأنافِحْ
خَفَّ الخميسِ إلى الخميـ ـسِ[4] إلى جِفانٍ كالمناضِحْ
ليست بأصدارٍ[5] لِمَنْ يعفو ولا رُحٍّ[6] رَحارِحْ[7]

٢١٥ - قال أحمد بن أبي طاهر : حَدَّثني حبيب[8] قال ، حدّثني بعض المشايخ قال ، سمعتُ رجلاً يقول : لَوْ صُوِّرَ الصِّدْقُ لكانَ أسَداً ، ولو صُوِّرَ الكذبُ لكان ثعلباً ، وما صاحِبُها منهما ببعيد .

٢١٦ - قال أحمد : وحدّثني حبيب قال ، حدَّثني رجلٌ من الحيّ قال : كان فينا شيخٌ شريف ، فأتلفَ مالَهُ في الجُود ، فصار يَعِدُ ولا يَفِي ، فقيل له :

---

٢١٦ أخبار أبي تمّام : ٢٥٠ ؛ وقارن بما نسب لبزرجمهر في المجتنى : ٥٦ .

....

١ السيرة : يبك على حزن ويصدق .
٢ السيرة : ألا ترون .
٣ السيرة : فوق الخبز .
٤ السيرة : نقل الجفان إلى الجفان .
٥ السيرة : ليست بأصفار .
٦ ل : الرح .
٧ الرحارح : الجفان الواسعة .
٨ ل : جندب .

أَصِرْتَ كذّاباً ؟ قال : نُصْرَةُ الحقِّ أفْضَتْ بي إلى الكَذب .

٢١٧ – قال : وَعَدَ رجلٌ رجلاً فلم يقدرْ على إنجازِ ما وَعَد ، فقال : كَذَبْتَني ، فقال : لا ولكن مالي كذَبَكَ .

٢١٨ – قال أكثم بن صَيْفي : دعامَةُ العقل[1] الحِلْم ، والمسألةُ مفتاحُ التو... ، وفي المَشُورة مادةُ الرأي .

٢١٩ – كتب معاوية إلى زياد : اعزل حُرَيث بن جابر ، فإني ما أذكر فِتْنَةَ صِفِّين إلّا كانت حزازة[2] في قلبي ؛ فكتب إليه زياد : خَفِّضْ عليكَ يا أميرَ المؤمنين ، فقد بَسَقَ حُرَيْثٌ بُسُوقاً لا يَرْفَعُهُ عَمَل ، ولا يَضَعُهُ عَزْل .

٢٢٠ – وذكر أعرابيٌّ قوماً[3] فقال : كلامُ الناس أشجارٌ وكلامُهُم ثِمار .

٢٢١ – وقيل لِصَعْصَعَةَ بن صُوحان : كيف كان طلحة – وسئل عن جماعةٍ من الصحابة – فقال : كان حُلوَ الصَّداقة ، مُرَّ المذاقة[4] ، ذا أُبَّهَةٍ شاخِطة[5] .

٢٢٢ – قال عمرو بن عُتْبَة : تألَّفوا النِّعْمة بحُسْنِ مُجاورتها ، والتمِسُوا

---

٢١٧ عيون الأخبار ٣ : ١٤٢ .

٢١٩ ربيع الأبرار ١ : ٥٦٤ ولقاح الخواطر : ٢١/أ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٣١ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ٧) .

٢٢٢ عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي من نسّاك الكوفة ومن جلّة أصحاب ابن مسعود وعنه روى الحديث ؛ انظر جمهرة ابن حزم : ٢٦٣ وتهذيب التهذيب ٨ : ٧٥ .

....

١ ل : العمل .

٢ ل : حرارة .

٣ ل : العرب .

٤ ل : العداوة .

٥ ل : ذكر بهذه ساخطة .

المزيدَ فيها بالشكر عليها ، واحملوا أَنفسَكم على مَطِيَّةٍ لا تبطىءُ إذا رُكِبتْ ، ولا تسبق وإِن تقدّمَتْ ، قالوا : ما هذه المطيَّة ؟ قال : التَّوبة .

٢٢٣ - قال الأحنف في صِفِّين : أَمَّا إذا حكَّمتمْ أبا موسى فأَدْفِئُوا[1] ظهرَه بالرجال .

٢٢٤ - يقال : المواعيدُ رؤوس الحوائج والإنجازُ أبدانُها .

٢٢٥ - سمع أعرابيٌّ شعراً جيداً فقال : هذا رخيص المَسْمَع ، غالي المَطْلَب .

٢٢٦ - قال أبو العيناء : غنَّانا علويه في منزل إسحاق ، وكان اليزيديّ مَعَنا ، فقال له اليزيديّ ، وكان علويه[2] يضرب باليَسار : أسألُ الله الذي جعلَ سرورنا بيسارِكَ أَن يعطيَكَ كتابكَ بيَمِينك .

٢٢٧ - قيل لرجل : لِمَ فضَّلْتَ الغلامَ على الجارية ؟ فقال[3] : لأنه في الطريق صاحب . ومع الإخوانِ نديم ، وفي الخلوة أهل .

٢٢٨ - قال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز وهو صَبيٌّ : كيف نَفَقَتُكَ على عيالك ؟ فقال : حَسَنَةٌ بين سيِّئتين ، فقال لِمَن حَوْلَهُ : أخذَهُ من قول الله تعالى[4] : ﴿ والَّذِينَ إذا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ولَمْ يَقْتُرُوا وكانَ بَينَ ذَلِكَ قَواماً ﴾ (الفرقان : ٦٧) .

---

٢٢٦ محاضرات الراغب ٢ : ٢٨٧ .
٢٢٧ محاضرات الراغب ٢ : ٢٤٣ ونثر الدرّ ٥ : ١٠١ ومطالع البدور ١ : ٤٢٦ .

....

١ ل : فادنبوا .
٢ في منزل . . . علويه : سقط من ل .
٣ ل : قال .
٤ ل : أخذ هذا من قوله عزّ وجلّ .

٢٢٩ – قال أبو الدَّرْداء : التَمسوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ ، وتَوَسَّمُوا له ما استطعتم ، وتَعَرَّضُوا لنفحات رحمة اللهِ ، فإنَّ لله تعالى نَفَحاتٍ يُصيبُ بها من يشاء مِنْ عباده ، وأسألُ الله تعالى أن يستزَ العَوْرَة ، ويُؤمن الرّوعة .

٢٣٠ – قيل لفيلسوف : ما أَعَمُّ الأَشياءِ نفعاً ؟ قال : فَقْدُ[١] الأشرار .

٢٣١ – قَدَّم بعضُهم عجوزاً دَلّالةً إلى قاضٍ فقال : أصلحَ اللهُ القاضي ، زَوَّجَتْني هذه امرأةً عَرْجاء ، فقالت : أعزَّكَ اللهُ ، زَوَّجْتُهُ امرأةً يُجامِعُها لم أُزوِّجْهُ حمارةً يحجُّ عليها .

٢٣٢ – يقال : إذا كان لك فكرة[٢] ، ففي كلِّ شيء لك عِبْرة .

٢٣٣ – شاعر : [البسيط]

بانَ الأحِبَّةُ والأرواحُ تَتْبعُهُم ... فالدَّمْعُ ما بينَ مَوْقُوفٍ[٣] ومَسْفُوحِ
قالوا نخافُ عليكَ السُّقْم قلتُ لهم ... ما يصنع[٤] السُّقْم في جسمٍ بلا رُوحِ

٢٣٤ – قال العَبّاس بن الحسن في كاتب : ما رأيتُ أوقرَ[٥] من علمهِ ، ولا أطيشَ من قَلَمِه .

---

٢٢٩ ربيع الأبرار ٢ : ٢١٧ عن أبي هريرة يرفعه .
٢٣٠ منتخب صوان الحكمة : ٢٣٤ (فلسطين) ومختار الحكم : ٢٠١ (أرسطاطاليس) ونثر الدرّ ٧ : ١٤ (رقم : ١٠) والحكمة الخالدة : ٥٨ .
٢٣١ نهاية الأرب ٤ : ٢٠ والتذكرة الحمدونية : ٢٣٢ (رئيس الكتاب : ٧٧٠) .
٢٣٤ قارن بما قيل في إسماعيل بن صبيح في رسائل التوحيدي : ٤١ .

....

١ ل : بعد .
٢ ل : بكرة .
٣ ل : موفور .
٤ ل : ينفع .
٥ ل : أوفر .

٢٣٥ – قال فيلسوف : الإنسانُ مَسْتُورٌ ما أَتْبَعَ قبيحَهُ حَسَناً .

٢٣٦ – قال أعرابي : رُبَّ جَوادٍ عَثَرَ[1] في اسْتِنانِه ، وكَبَا في عِنانه ، وقَصَّرَ في ميدانِه .

٢٣٧ – قال رجل[2] لأبي سعيد الحدَّاد : أخْطأتَ ، قال : أَخطأتَ أنتَ حين تظنُّ أنّي لا أُخْطِىء .

٢٣٨ – قال رجلٌ لرجل : غلامُك ساحر ، قال : قُلْ له يَسْحر لنفسهِ قباءً وسراويل .

٢٣٩ – قال رجل : أريدُ أن أعتقد لِوَلَدي ما يعيشونَ به بعدي ، فقال له زاهدٌ : أنت[3] ممّن لا يَعْبُدُ الله إلّا بكفيل .

٢٤٠ – كان عامر بن عبد الله يقول : أربعُ آياتٍ في كتابِ اللهِ إذا قَرَأْتُهُنَّ ما أبالي على ما أُصبحُ وأُمْسي : قولُهُ ﴿مَا يَفْتَحُ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ (فاطر : ٢) ؛ وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿وإنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بضُرٍّ فَلا كاشِفَ له إلَّا هُوَ﴾ (يونس : ١٠٧) ؛ وقوله : ﴿سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾ (الطلاق : ٧) ؛ [وقوله :] ﴿وَمَا مِنْ دابّةٍ في الأرْضِ إلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُها﴾ (هود : ٦) .

---

٢٤٠ عيون الأخبار ٣ : ١٨٤ . وعامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام قانت عابد ، اشترى نفسه من الله ست مرّات (يعني تصدق كل مرّة بديته) . وسمع الحديث ورواه ، وقد أجمعوا على ثقته ، وتوفي في حدود سنة ١٣٠ ؛ ترجمته في نسب قريش : ٢٤٣ وجمهرة نسب قريش : ٢٢٠ وتهذيب التهذيب ٥ : ٧٤ والوافي ١٦ : ٥٨٩ (وانظر حاشيته) .

---

١ ل : قد عثر .

٢ سقطت الفقرة من ل .

٣ ل : فقال أراك أنت .

٢٤١ – كتب بعضُ الكُتّاب إلى صديقٍ له وقد تأخَّرَ عنه كتَابُهُ : إنْ كنتَ لا تُحْسِنُ أن تكتبَ فهذه زَمَانَة ، وإن كنتَ تكتبُ ولا تُكاتِبُ إخوانك[١] فهذا كَسَل ، وإن كان ليس لكَ قِرْطاسٌ ودواة[٢] فهذا سوءُ تدبير ، وإنِ اعتذرتَ بعد ما كتبتُ إليك فهذه وَقاحَة .

٢٤٢ – شاعر : [الكامل المجزوء]

وإذا تَبَسَّمَ سيفُهُ بَكَتِ النساءُ مِنَ القبائلْ
وإذا تخَضَّبَ بالدِّما ءِ نَهَضْنَ في سُودِ الغلائلْ
لا شيءَ أَحسنُ عندهُ من نائلٍ في كَفِّ سائلْ

٢٤٣ – نظر ابنُ سيابة إلى مبارك التركي[٣] وتحتَهُ دابَّة ، فرفع رأسه إلى السماء وقال : يا ربّ ، هذا حمارٌ وله دابَّة ، وأنا انسانٌ وليس لي حمار ! !

٢٤٤ – تابَ مُخَنَّثٌ فلقيَهُ مخنَّثٌ آخر فقال : يا فلان أَيش حالُك ؟ قال : قد تُبْتُ ، قال : فمن أين معاشُك ؟ قال : بقيتْ لي فَضْلَةٌ من الكَسْب القديم ، قال : إذا كانت نَفَقَتُك من ذلك الكَسْب فلحمُ الخِنْزيرِ طريٌّ خيرٌ منه قَديد .

٢٤٥ – قال ابن أبي فَنَن : دخلتُ يوماً إلى الفَتْح بن خاقان أَسأَلُهُ إيصالي إلى المتوكِّل لأنشده شعراً ، وأَنشدتُهُ : [المتقارب]

---

٢٤١ نثر الدرّ ٥ : ٣٤ .
٢٤٣ ربيع الأبرار : ٤١٥/أ (٤ : ٣٩٥) والتذكرة الحمدونية : ١٥٥ (رئيس الكتاب : ٧٧١) .
٢٤٤ نثر الدرّ ٥ : ٩٦ والأذكياء : ١٤٦ وربيع الأبرار : ٢٤٧ ب .
٢٤٥ بعضه في ربيع الأبرار ٢ : ٥٠٩ .

....

١ إخوانك : سقطت من ل .
٢ ل : دواة وقرطاس .
٣ ل : نظر ابن سيابة لتركي .

إذا كنتُ أَرجو نَوالَ الإمامِ وفَتْحُ بن خاقانَ لي شافعُ
فَقُلْ للغَريمِ أتاكَ الغِياثُ[1] وللضَّيفِ منزِلُنا واسِعُ

قال : وكان الفَتْحُ يشرب ، فأَمرني بالجلوس وقدّمَ إليّ النبيذ وأمرني بالشُّرْب ، فقلت : ما أكلتُ شيئاً أيها الأمير ، فجاءني بعضُ الخَدَم فأخذ بيدي إلى خزانةٍ وقَدَّمَ لي طعاماً ، فأكلتُ وَعُدْتُ إلى مكاني فجلست ، فقال لي الفَتْح : خُذْ ما تحتَ مُصَلَّاك ، فنظرتُ فإذا بِصُرَّتَيْن ، فقال : أمّا إحداهُما ففيها مائةُ دينارٍ وهي لجائزتك ، وأمّا الأخرى ففيها مائةُ دينارٍ لحُسْنِ أدبك وقولك : إني ما أكلتُ شيئاً .

٢٤٦ – جَحْظَة : [الرجز]

غَنَّتْ فهاجَتْ حَرَبي وضاعَ فيها طَرَبي
فَشَعْرُها من فِضَّةٍ وثَغْرُها من ذَهَبِ

٢٤٧ – قيل لِمُزَبِّد[2] وقد اشترى حِماراً : ما في حمارِكَ عَيْبٌ إلَّا أنه ناقصُ الجسمِ يحتاجُ إلى عَصا ، قال : إنمَا كنتُ أغتمُّ لو كان يحتاجُ إلى بزماورد ، فأمّا العَصا فأمرُها هَيِّنٌ .

٢٤٨ – خَطَبَ معاوية الناسَ فقال : إنَّ اللهَ تعالى يقول في كتابه : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلَّا عِنْدَنا خَزائنُهُ وما نُنَزِّلُهُ إلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾ (الحجر : ٢١) ، فعلامَ

---

٢٤٦ لم يرد الشعر في كتاب جحظة البرمكي .
٢٤٧ نثر الدرّ ٣ : ٨٤ ومحاضرات الراغب ٢ : ٦٥٠ .
٢٤٨ نثر الدرّ ٥ : ١٨ وربيع الأبرار ١ : ٦٨٣ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٠٥ .

....

١ ل : العتاب .
٢ ل : ليزيد .

تَلومُونَني إذا قصَّرتُ في أعطياتكم ؟ فقام إليه الأحنفُ فقال : إنَّا واللهِ ما نلومُك يا معاويةُ على ما في خزائن الله ، ولكنْ على ما أنزَلَهُ إلينا من خزائنه فجعلتَهُ في خزائنكَ وحُلْتَ بيننا وبينه ، قال : فكأنَّما أَلْقَمَهُ حَجَراً .

٢٤٩ – قال بزرجمهر : من عيبِ الدُّنيا أنَّها لا تُعطي أحداً استحقاقَهُ ، إمَّا أن تزيدَه وإما أن تنقصَهُ .

٢٥٠ – قال النبيُّ صلّى اللهُ عليه وآله وسلّم : جُعِلَ عِزِّي في ظِلِّ سيفي وفي رأسِ رُمحي .

٢٥١ – قال مَسْلَمَة لِنُصَيْب : أَمدحتَ فلاناً ؟ قال : نعم ، قال : فمَا فعلَ معك ؟[1] قال : حَرَمني ، قال : فهلَّا هَجَوْتَهُ ؟ قال : لا أَفعل ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأني أَحَقُّ بالهَجْوِ منه إذ رأيتُه أهلاً لِمَدْحي ، فأُعجبَ به وقال له : سَلْني ، قال : كَفُّكَ بالعطيّة أبسطُ من لساني بالمسألة ، فأمر له بألفِ دينار .

٢٥٢ – صاح رجلٌ براهبٍ في صومعتِهِ[2] فقال له : ما الذي عَلَّقَكَ في هذه الصومعة ؟ قال : مَنْ مَشَى على الأرض عَثَرَ .

---

٢٤٩ نثر الدرّ ٧ : ٣٤ (رقم : ٢٠) وأمثال الماوردي : ٨٢/أ ومحاضرات الراغب ١ : ٥٠٨ و٥١٠ .
٢٥١ الكامل للمبرّد ٢ : ١٥٩ ، وبعضه في محاضرات الراغب ١ : ٣٩٣ وربيع الأبرار : ٢٠٥/أ (٢ : ٦٣٧) ولقاح الخواطر : ٦٦ ب .
٢٥٢ ربيع الأبرار ١ : ٧٩١ (برواية مختلفة) .

....

١ ل : وما الذي أعطاك .
٢ ل : صومعة .

٢٥٣ – قيلَ لرجل : ماتَ عدوُّكَ ، قال : وددْتُ لو أنكم قلتم : تَزوَّجَ .

٢٥٤ – قال الحجّاج يوماً لرجل : أنا أطولُ أم أنتَ؟ قال : الأميرُ أطولُ عَقْلاً وأنا أَبْسَطُ قامةً .

٢٥٥ – وصفَ النَّظَّامُ الكواكبَ وحُسْنَها ، وكان الخاركي حاضراً ، وكان يُتَّهَمُ بالزَّنْدَقَة ، فقال : وأَيُّ شيءٍ حُسْنُها ؟ ما أُشبِّهُها إلّا بجَوْزٍ كان في كُمِّ صبيٍّ فتناثرَ فوقع متفرِّقاً : ها هُنا ثلاثة ، وها هنا أَربعةٌ ، وها هنا اثنتان .

٢٥٥ ب – أنا واللهِ أرحمُ هذا القائل ، وهو بالغيْظِ عليه أوْلَى ، بل تنفيذُ[١] حُكم الله فيه أحقّ ، فقد أَلْحَدَ في الدِّين وأرصدَ للمؤمنين ، وشبَّهَ على الضُّعفاء المُبْتَدِئين ؛ أمَا يعلمُ أنَّ هذا الظاهرَ المنتشرَ مُوَشَّحٌ بالباطنِ المُنْتَظِم ، وأنَّ هذا الباديَ المتباين مربُوطٌ بذلك الخافي المتَّصِل ، وأنّهُ لو جَرَى الأمرُ على وَصْفِ هذا المُقْتَرِح ، وترصيعِ هذا المُعْتَرِض ، لكان النَّقْصُ يَعْتَوِرُهُ ، والخَلَلُ يَدْخُلُهُ ، وحُقَّ لعقلٍ قصيرٍ ، واعتبارٍ ممزوجٍ ، وفكرٍ مُضْطَرِبٍ ، أن يؤديَ صاحبه إلى هذا الاختلاط .

هيهات ! جلَّ خَلْقُهُ عن إدراكِ خَلْقه ، وعلا عن إحاطةِ شيءٍ بكُنْهِه ، فليسَ لعقلٍ مجالٌ في سِرِّه ، ولا لِوَهمٍ مَنالٌ من غَيْبِه ، ولا لمعترضٍ ثباتٌ عند اختلافِ

---

٢٥٣ منتخب صوان الحكمة : ١٧٩ (لوذيموس) ومختصر صوان الحكمة : ٣٤/أ وربيع الأبرار : ٣٨٨/أ (٤ : ٢٥٣) وشرح النهج ١٨ : ١٩٩ وفقر الحكماء : ٢٢٢ (سقراط) ونزهة الأرواح ١ : ١٦٤ (سقراط) .

٢٥٤ المحاسن والأضداد : ١٤ والبيهقي : ٤٥٩ ونثر الدرّ ٢ : ١٨٣ والتذكرة الحمدونية ١ : رقم ١١٣٦ وربيع الأبرار ١ : ٦٧٤ و ٢ : ٣١٩ والمستطرف ١ : ٥٩ .

....

١ ل : ينتفذ .

أفانينِ قُدْرتِه ، وإنَّمَا عليك أن تعرفَ نَقْصَكَ في كمالك[١] ، وعجزَك في قُدْرتِكَ ، وسَفَهَكَ في حكمتِك ، ونِسْيانَك في حِفظك ، وخَبْطَك في تَوْفيقك ، وَجَهْلَكَ في عِلْمِك ، ونَيْلَكَ عند بأسِك ، وتَهَتُّكَكَ[٢] في احتراسِك ، وإخفاقَكَ مع تَحَقُّقِك ، ونُكولَكَ في تَصميمك ؛ فإذا عرفتَ[٣] هذه المعاني ، وسَكَنْتَ هذه المغاني[٤] ، وَضحَ لكَ خَفيُّ الغَيْب ببادي الشَّهادة ، وتَداركت الأدلَّة بشفاءِ اليقين[٥] ، ورحَلتْ عن صدركَ غَلَباتُ الهَمّ ، وتَشاهَدَتِ الأسواءُ في كَثْرَتِها بتوحيد الواحد ، وأشارتْ إلى الفَيْض الغامر ، وأَوصَلَتْكَ إلى حقائق ما تَراءَى لِعَيْنِك ، وتخَيَّلَ لوهْمِك ، وهَجَسَ ببالك ، وخَنَس[٦] عن عَقلِك ، ونَفَى عن طَرْفِك فيمَا لحقك الشَّكّ ، وتَمَيَّزَ من وَهْمِكَ ما استحالَ بتحصيلك ، وطَرَدَ عن قلبكَ ما طَرَقَكَ بالشُّبَه ؛ هنالك تعلمُ أَن العالَمَ في إحدى جهتَيْهِ يُشكِلُ على العاقلِ الفَحْصُ عنه ، وفي الجهةِ الثانيةِ يحرمُ على المُنْصِفِ التشكُّكُ فيه ، لأنه إنْ كان فيمَا يوجدُ من انتشاره[٧] ما يَقْدَحُ[٨] في حَقائق التوحيد ، ففيمَا يُوجَدُ[٩] من انتظامهِ ما يَفتحُ أبوابَ التحقيق ، وإنْ كان فيمَا تَرَى من اختلافهِ ما يبعثُ الحَيْرَة ، ففيمَا يعقل من اتِّساقهِ[١٠] ما يُفْضي إلى التَّمييز ، وإنْ كان فيمَا يجهل سرّه [. . .] ما يتَّصل بالراحة ، وإنْ كان بعضُ الحِرْمانِ غيظاً فإنّ بعضَ

---

١ ل : نقص كمالك .
٢ ل : وهتكك .
٣ ل : حزت .
٤ وسكنت هذه المغاني : سقطت من ل .
٥ ل : النقص .
٦ ل : ونفس .
٧ ل : استثارة .
٨ ل : مدح .
٩ ل : كما وجد .
١٠ ل : اقتسامه .

النَيْل غِبْطَة ، وإنْ كان طَرَفُ العجزِ جاذباً إلى اليأس[1] إن في طرَفِ القوّةِ ما يُسْتَحصَفُ به أَسبابُ الأَمَل ؛ فلا تُرَعْ ، فليس ما جَلَّ عنكَ وَجَبَ أن يَبطلَ عليك ، ولا ما دَقَّ عن فَهْمِكَ وَجَبَ أن يُبَهْرِجَهُ نَقْدُكَ ؛ حاكِمْ نَفْسكَ إلى نَفْسك ، وعَقْلَكَ إلى عقلك ، فإنهما إن نَكَلا عن الشَّهادة في موضع استقصاءِ العلانية فإنهما يمرّان الشهادة في موضع ثقةٍ بالحقيقة ، ولا تَكُنْ إلْباً عليهما فتَخسر وأنت حاكم ، وتُحْشَر وأَنت واهِم .

٢٥٦ – قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه : ما تَكلّمَ[2] أحدٌ بالفارسيَّة إلّا خَبَّ ، ولا خَبَّ إلّا ذَهَبَتْ مروءتُهُ .

٢٥٧ – شاعر : [المنسرح]

أما تَرَى الوردَ في أكُفِّهِمُ — يُجْتَنُّ للقاطفينَ من وَرَقِهْ
كالقلبِ نارُ الهَوى تُلَذِّعُهُ — والقلبُ يَهْوى الهَوى على حُرَقِهْ

٢٥٨ – قال أفلاطون : لولا قولي إني لا أعلمُ شيئاً أني أعلم[3] لقلتُ : إنّي لا أعلم .

٢٥٩ – قال فيلسوف : ما كسبتُ[4] فَضيلةً من العلم إلا عِلْمي بأني[5] لا أَعلم .

٢٥٦ ربيع الأبرار ١ : ٧٩٦ .
٢٥٧ قد مرَّ البيتان في الجزء الثامن من البصائر ، رقم : ٦٤٩ ، أنشدهما بعض المجانين .
٢٥٩ ورد في مختار الحكم : ٥٠ (أبقراط) ١٢٥ (سقراط) ١٦٧ (أفلاطون) ٣٠٢ (بندارس) مع اختلافات في الصياغة .

١ ل : الناس .
٢ ل : يكلمك .
٣ ل : لولا أن قولي . . . اني آثم .
٤ ل : لبسْت .
٥ ل : لعلمي بأن .

٢٦٠ – قال بعضُ أصحابنا : العالِمُ قد يكونُ مُعانِداً من حيثُ يخالِفُ ما يعلمُه ، فأمَّا الجاهلُ فلا يكون منصفاً لجَهْلِهِ بالإنصاف وَفَقْدِ عِلْمِهِ بشَرَفه[1] .

٢٦٠ ب – قيلَ لعالِم : ما السُّرورُ؟ قال : معنىً صَحَّ بالقياس ، ولفظٌ وَضحَ بعد التباس .

٢٦١ – قيل لشجاع : ما السرور؟ قال : ضَرْبٌ[2] سريع ، وقِرْنٌ صَريع .

٢٦٢ – قيل للملك : ما السرور؟ قال : إكرامُ وَدُود ، وإرغامُ حَسُود .

٢٦٣ – قيل لعاقل : ما السرور؟ قال : عدوٌ تُداجيه ، وصديقٌ تُناجيه .

٢٦٤ – قيل لأكّار : ما السرور؟ قال : رَفْع غَلَّة[3] ، وسَدُّ خَلَّة .

٢٦٥ – قيل لمغنٍّ : ما السُّرور؟ قال : مجلسٌ يقلُّ هَذَرُه ، وعُودٌ يَنْطِقُ وَتَرُه .

---

٢٦٠ ب تنحو الأسئلة عن السرور منحى آخر في البيان والتبيين ٢ : ١٧٥ والعقد ٦ : ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ .
٢٦٢ ورد القول في برد الأكباد : ١١٢ .
٢٦٤ ورد في برد الأكباد : ١١٢ قيل لدهقان . . . (وفي ل : قيل لعالم) .

....

١ ل : بعد علمه فرقه .
٢ ل : طرف .
٣ ل : علة .

٢٦٦ – قيل لناسك : ما السرور؟ قال : عبادةٌ خالصةٌ من الرِّياء ، ورِضَى النفس بالقَضاء[1] .

٢٦٧ – للعطوي : [المنسرح]

يا نفسُ دُومي على العبادةِ والصـ ـصبرِ فخَيْرُ العلقَيْن في يدكِ
إني وإنْ كنتُ لابساً سَمَلاً فهِمَّتي فوقَ كاهلِ الفَلَكِ

٢٦٨ – قال بعض الأُدباء : الجالي عن مَسْقِطِ رأْسهِ ومحلِّ رضاعتهِ كالعَير النَّاشط عن بلدهِ الذي هُوَ لكلِّ عَيْرٍ فَريسة ، ولكلِّ رامٍ دَريئة .

٢٦٩ – قالتِ الفُرْس : تربةُ الصِّبا[2] تغرسُ في القلب حرمةً وحلاوةً ، كما تغرسُ الولادة رقَّةً[3] وجَفَاوةً .

٢٧٠ – قال فيلسوف : فِطْرَةُ الرجل معجونةٌ بحبِّ الوَطَن .

٢٧١ – وكان بُقْراط يقول : يجب[4] أنْ يُداوَى كلُّ عليلٍ بعقاقيرِ أرضهِ ، فإنَّ الطبيعة تتطلَّعُ إلى هَوائها ، وتنزعُ إلى غِذائها .

---

٢٦٧ ورد البيت الثاني في شرح العكبري ٢ : ٢٤٦ ، والبيتان في شعراء بصريون ٢ : ٤٣ .
٢٦٨ رسالة الحنين : ٧ والمحاسن والأضداد : ٧٨ .
٢٦٩ رسالة الحنين : ٧ والتذكرة الحمدونية : ١٦٩ (رئيس الكتّاب : ٧٧١) .
٢٧٠ رسالة الحنين : ٨ والكلم الروحانية : ١٢٨ .
٢٧١ رسالة الحنين : ٨ والمحاسن والأضداد : ٧٧ وديوان المعاني ٢ : ١٨٨ وربيع الأبرار : ٣٤٢ ب وعيون الأنباء ١ : ٢٨ ومطالع البدور ٢ : ٩٥ .

....

١ ل : بمرّ القضاء .
٢ ل : تربية الصبي .
٣ ل : بارقة .
٤ ل : ينبغي .

٢٧٢ – قال ابن عبَّاس : لو قنع الناسُ[1] بأرزاقهم كقناعتهم بأوطانهم ما اشتَكَى عبدٌ الرِّزْق .

٢٧٣ – شاعر : [الكامل المجزوء]

سُكْرُ الوِلاية طيِّبٌ وخُمارُها صَعْبٌ شَديدُ
لا زلتَ في درك الشَّقا حتى تُعاينَ ما تُريدُ

٢٧٤ – قال ابن جُرَيْج : قرأتُ في موضعٍ : [السريع]

عِشْ مُوسِراً إن شئتَ أو مُعْسِراً لا بُدَّ في الدُّنيا من الغَمِّ
فكلَّما زادكَ في نِعْمةٍ زاد[2] الذي زادَكَ في الهَمِّ
إنِّي رأيتُ الناسَ في عَصْرِنا لا يطلبُونَ العلم للعِلْمِ
إلا مُباهاةً[3] لأصحابِهِ وعُدَّةً للغَشْم والظُّلْمِ

٢٧٥ – قال أعرابي : ما السَّيْفُ عن الظَّالم بصائم ، ولا الليلُ عن النَّهار بنائم .

٢٧٦ – قال فيلسوف : إنَّك لن[4] تجدَ الناسَ إلّا أحد رَجُلَيْن : إمَّا مُؤخَّراً في نفسهِ قَدَّمَهُ حَظُّهُ ، أو مقدَّماً في نفسهِ أَخَّرَهُ دهرُهُ ، فَأرضَ بمَا أَنتَ فيه اختياراً ، وإلّا رَضِيتَ اضطراراً .

---

٢٧٢ رسالة الحنين : ٩ .
٢٧٦ العقد ٣ : ٢١٠ .

....

١ ل : الخلق .
٢ ل : إذا .
٣ ل : مماراة .
٤ ل : إن .

٢٧٧ – قال رجلٌ لسقراط : ما أقبحَ وَجْهَك ، قال : ما تقبيح[1] صُورتي إليَّ فأُذَمَّ ، ولا تحسينُ صُورتك إليك فتُحْمَد[2] ، قال : قد علمت ، قال : فإذا عِبْتَ الصَّنْعَةَ مع علمك فقد عِبْتَ الصَّانع .

٢٧٨ – قيل لفيلسوف : ألا تُحدِّثنا ؟ قال : لا ، قيل : لِمَ ؟ قال : لأنكم تَجِلُّونَ عن دقيقي وأدِقُّ عن جَليلكم .

٢٧٩ – قيل لسقراط : ما تأمُرُنا أن نصنَعَ بك إذا مُتَّ ؟ قال : لِيُعْنَ بذلك من يحتاجُ إلى المكان .

٢٨٠ – قال أعرابيّ : مَنْ لم يؤدَّب في صِغَرِهِ لم يُفْلح في كِبَره .

٢٨١ – قال بعضُ الرؤساء : دعِ الوعدَ يتربَّصْ ثلاثاً ، فإنَّ كثير العطاءِ قبلَ الوعدِ صغير ، وجَليلَهُ حَقير .

٢٨٢ – قال أعرابيّ :ما زلتُ أَقوتُ[3] عيني النوم حتى وقعتُ في لُجّتهِ وغَرِقْتُ في بَحْرِه .

---

٢٧٧ الكلم الروحانية : ٨١ ومختار الحكم : ١١٧ وشرح النهج ١٨ : ١٩٨ ونزهة الأرواح ١ : ١٥٨ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٨٤ .

٢٧٨ هو ديوجانس في نزهة الأرواح ١ : ٢١٣ ، وقارن بالبيان والتبيين ١ : ٣٠٥ و ٢ : ٤٠ والعقد ٢ : ٢٧٠ (لنوفل بن مساحق) وعيون الأخبار ٢ : ١٧٦ ونور القبس : ٧٢ (للخليل يقوله لامرأته) وربيع الأبرار ١ : ٧٦٥ (قالت امرأة لزوجها . . .) .

٢٧٩ الكلم الروحانية : ٨٢ .

....

١ ل : لم يكن تقبيح .
٢ ل : لتحمد .
٣ ل : أقرو .

٢٨٣ – قال يحيى بن خالد : الوعدُ شَبَكَةٌ من شِباك الكرام ، يصطادونَ بها مَحامد الإخوان[١] .

٢٨٤ – قال الموبذ بمرو : الوعدُ سحابةٌ والإنجازُ مطرة[٢] .

٢٨٥ – وقال آخر : لَقِّحِ المعروفَ بالموعد ، وأنتِجْهُ بالفعال ، وأَرْضِعْهُ بالزيادة .

٢٨٦ – سُئِلَ ابنَ مسعود عن الوَسْوَسَة يجدها الرجل فقال[٣] : ذاك برازخُ[٤] الإيمان .

٢٨٧ – يُقال : عينُ العقلِ أبصَرُ من عين الجَسَد .

٢٨٨ – نظر أعرابيٌّ إلى بعض أولاد الملوك فرآه سَميناً فقال : لحاك اللهُ ما ثناك الخبز[٥] .

٢٨٩ – قال قسطا بن لُوقا : الخطُّ هو مقدارٌ ذو نعتٍ[٦] واحد ، وهو الطول

---

٢٨٣ الإيجاز والإعجاز : ٢٤ ولطائف الظرفاء : ٣٥ (لطائف اللطف : ٥٦) ولقاح الخواطر : ٣٥ ب ونثر الدرّ ٥ : ٣٨ .

٢٨٤ العقد ١ : ٢٤٤ وربيع الأبرار ٢ : ٧٨٥ ، وقارن بقول ابن المعتز (لقاح الخواطر : ٧٥ ب) : الوعد مرض المعروف والإنجاز برؤه ، والمطل دنفه ، والاخلاف موته ؛ وفي قول آخر : الوعد وجه والإنجاز محاسنه (ربيع الأبرار ٢ : ٧٨٥) .

٢٨٩ قسطا بن لوقا البعلبكي المترجم المشهور ، كان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والهندسة والأعداد والموسيقى ، وكان فصيحاً باليونانية جيد العبارة بالعربية ، وتوفي بأرمينية عند بعض ملوكها ؛ انظر الفهرست : ٣٥٣ .

---

١ لطائف : الأحرار (الأخيار) .
٢ ل : مطر .
٣ ل : الإنسان قال .
٤ ل : ولوج .
٥ ل : فقال طالما سال الخبز .
٦ ل : تعب .

بلا عرضٍ ولا عمق ، وهو يُدْرَكُ على[1] الانفراد بالعقل[2] والوهم لا بالحسّ ، وأمّا وُجودُهُ بالحسِّ فإنّه في البسيط إذْ هو نهايته ، فإنّ البسيطَ إذا أُلْقِيَ منه عرضُهُ بقِي طولُهُ فقط ، وذلك هو الخطّ ؛ ونهايةُ الخطّ نُقْطَتان : فالنقطة هي شيء لا بُعْدَ له ، أعني لا طولٌ ولا عرضٌ ولا عمق ، وهي موجودةٌ على[3] الانفراد بالعقل والوهم لا بالحسّ ، وأمَّا وجودُها بالحسِّ فهو في الخطّ .

٢٩٠ — قال ابن المعتزّ في رسالةٍ يذكرُ فيها محاسنَ أبي تمّام ومساوئَهُ : سَهَّلَ اللهُ لكم سُبُلَ الطَّلَب ، ووَقاكم مَكارِه الزَّلَل ؛ ربمَا[4] رأيتُ من تقديم بعضِكم الطائيَّ على غيره من الشعراء إفراطاً[5] ظاهراً ، وهو أوكَدُ أسبابِ تأخيرِ بعضكم إيَّاهُ عن منزلته في الشعر لما يدعو إليه اللّجاج ، فأمَّا قولي فيه فإنه بَلَغَ غاياتِ الإساءةِ والإحسان ، فكأَنَّ شعره قوله[6] : [البسيط]

إنْ كانَ وجهُكَ لي تَتْرَى محاسنُهُ ... فإنَّ فعلَكَ بي تَتْرَى مَسَاوِيهِ

وقد جَمَعْنا محاسنَ شعرِه ومساوئه في رسالتنا هذه ، ورجونا بذلك ارتداعَ المُسْهِبِ[7] في امتداحهِ ، وردَّ الراغب عنه إلى إنصافهِ ، واختصرنا الكلامَ إشارةً لقصد ما نزعنا إليه[8] ، وتوقّياً لإطالةِ ما يُكْتَفَى بالإيجاز فيه ، ولئن

---

٢٩٠ ورد بعض هذه الرسالة في الموشح : ٤٧٠ وما بعدها .

....

١ ل : إما على .
٢ ل : والعقل .
٣ ل : إما على .
٤ في الأصل : فيما .
٥ في الأصل : أمراً .
٦ بيت أبي تَمّام في ديوانه ٤ : ٢٩٢ .
٧ ل : المسبب .
٨ ل : لقصدنا رغبة إليه .

قدَّمْنا ذكرَ مساوئه على محاسنه ففي ذلك الجَوْرُ عليه ، وإنَّ قُرْبَ العهدِ بمحاسنه لأَدْعَى للقلوب إليه .

٢٩١ – قال أَعرابي : إذا استشرتَ[1] الشَّرَّ شَرِيَ .

٢٩٢ – كتب عبد الملك إلى الحجَّاج : أَرْهِبْ أهلَ الخيانة وأرْغِبْ أهل الأمانة ، فإنَّ البريء إذا لم يأمنِ العقوبةَ وخافَ مثلَ ما يؤتى إلى أهل الخيانة ، طأطأ ركضاً في السرقة .

٢٩٣ – قيل لعمرو بن عبيد : ما البلاغة ؟ قال : كلامٌ أَلْحَمَهُ التقوى ونَسَجَهُ الإخلاص .

٢٩٤ – قال عامر بن عبد القيس : الدُّنيا والدةُ الموت .

٢٩٥ – قال عياض بن عبد الله : الحبُّ أَعمى .

٢٩٦ – وقال بعضُ الزُّهَّاد : المساجدُ سوقُ الآخرة .

٢٩٧ – قال العُتْبي : سُئِلَ أعرابيٌّ عن أخَوَين له فقيلَ له : أخبِرْنا عن

---

٢٩٣ تعريف عمرو للبلاغة في البيان ١ : ١١٤ والعقد ٢ : ٢٦٠ وربيع الأبرار ٤ : ٢٦٠ .

٢٩٤ ورد مطولاً في البيان والتبيين ٣ : ١٤٣ والنّمر والثعلب : ١١٢ والتذكرة الحمدونية ١ : رقم ٤١٠ وشرح النهج ٢ : ٩٥ .

٢٩٥ عياض بن عبد الله بن أبي سرح القرشي المكي محدّث ولد بمكة ثم قدم مصر مع أبيه ثم عاد إلى مكة فلم يزل بها حتى مات على رأس المائة ؛ انظر تهذيب التهذيب ٨ : ٢٠٩ .

٢٩٦ نسب القول للحسن بن صالح في لقاح الخواطر : ٧٠/أ ، وقارن بقول للشعبي في مناقب أبي حنيفة ٢ : ٢٨٥ : عليكم بالمساجد فإنها مجالس الأنبياء .

٢٩٧ أمالي القالي ٢ : ١٣ .

....

١ ل : إذا استشرت السر ، سرى .

زيد ، فقال : أَسكَنُ[1] الناسِ فوراً ، وأبعَدُهم غَوْراً ، وأثبَتُهُمْ عند الحجَّة ، قالوا : فأخبرنا عن الآخَر ، قال : كان واللهِ شديدَ العَقْدة ، لَيِّنَ العَطْفة ، يُرْضيه أقل ما يُسْخطهُ ، قالوا : فأخبِرْنا عن نفسك ، قال : واللهِ إنَّ أفضل ما فيَّ[2] معرفتي بهما .

٢٩٨ — قال رجلٌ لعُتْبة بن أبي سفيان : قَدِمْتُ إليكَ أخوضُ المتالف ، وأَقطعُ لُجَجَ السَّراب مرةً ، وألتحِفُ بالليل أخرى ، مُضْمِراً حُسْنَ الظنِّ بك ، هارباً من اليأس إلى رجائك .

٢٩٩ — وصفَ قَطَري الدُّنيا فقال : ما نالَ أحد[3] منها حَبْرةً إلّا أَعْقَبَتْهُ عَبْرَةً ، ولم يملأْ من سَرَّائها[4] بَطْناً إلا مَنَحَتْهُ من ضَرَّائها ظَهْراً ، ولم يجدْ منها غَنيمة رَخاءٍ إلّا هطلتْ عليه مُزْنَةَ بَلاءٍ ، ولم يُمْسِ منها امرؤٌ في جناح أمنٍ إلّا أصبحَ على قَوادِمِ خوف[5] .

٣٠٠ — ذكر المدائني في كتاب « نوادر القُضاة » أنه حضر وليمةً على مائدةٍ

---

٢٩٨ قارن بمن قدم على معاوية (محاضرات الراغب ١ : ٥٣٥) : « هزرت ذوائب الرحال إليك ، إذ لم أجد معولاً إلا عليك ، أمتطي إليك الليل بعد النهار ، وأسم المجاهل بالآثار » .

٢٩٩ من خطبة له في العقد ٤ : ١٤١ والبيان والتبيين ٢ : ١٢٦ وعيون الأخبار ٢ : ٢٥٠ والشريشي ١ : ٢٣٢ — ٢٣٣ ونهاية الأرب ٧ : ٢٥٠ وصبح الأعشى ١ : ٢٢٣ ، وانظر البصائر ٨ : الفقرة ٤٤٦ .

٣٠٠ للمدائني كتابان في هذا الموضوع : كتاب قضاة أهل المدينة وكتاب قضاة أهل البصرة (الفهرست : ١١٧) .

....

١ ل : أقرب .
٢ ل : بي .
٣ أحد : سقطت من ل .
٤ ل : شرابها .
٥ ل : فؤاد من خوف .

وأعرابيٌّ يحاذيه[1] على مائدةٍ أخرى فقال : أَتحوَّلُ إليك يا أبا العباس ؟ قال : ما بنا إليكَ من وحشةٍ فلا تجعَلْنا سُلَّماً للشهوة .

٣٠١ – تَقدَّمَ رجلٌ إلى شُريح ليشهدَ فقال : إنَّك لتنشطُ للشهادة ، قال : إنّها لم تحقد عليّ ، قال : للهِ درُّك ، وقبل شهادته .

٣٠٢ – سئل رجل[2] عن اليمن فقال : سيفُ اليمن قُضاعة ، وهامتُها هَمْدان ، وسَنامُها مَذْحِج ، وريحانتُها كِنْدَة ، ولكلِّ قومٍ قريش ، وقريشُ اليمن الأنصار .

٣٠٣ – كتب بعض الحكماء إلى أخٍ له : إنَّك قد أُوتيتَ علماً فلا تُطْفِئَنَّ نُورَ عِلْمِكَ بِظُلْمَةِ الذُّنوب فتبقى في الظُّلْمةِ يومَ يَسْعى أَهلُ العلمِ بنورهم .

٣٠٤ – قال النَّضْر[3] بنُ مَعْبد : لا يتكلَّمْ أَحدٌ بكلمةٍ حتَّى يزمَّها ويخطمها ، فعسى أن يكونَ في القوم مَنْ هُوَ أعْلمُ منه ، فإنْ سَكَتَ سَكَت وهو قادرٌ عليه ، وإن بَكَّتَهُ وَجَد للتَّبكيتِ موضعاً .

٣٠٥ – قال داود بن علي : احمدوا اللهَ تعالى على النعمةِ التي أصبحتم ترتضعونَ دِرَّتها ، وتَتَفيَّئونَ ظِلَّها ، وتفترشُونَ وِسَادها ومِهادَها .

٣٠٦ – وقال آخر : الدنيا سُوقُ الشرّ .

٣٠٧ – وقال آخر : الدُّنيا عينٌ تُبْصَرُ بها الآخرة .

---

٣٠٣ ربيع الأبرار : ٢٧٤/أ (٣ : ٢٦٧) ومحاضرات الراغب ١ : ٣٥ (للشافعي) .

....

١ ل : يحادثه .
٢ ل : سألت رجل .
٣ ل : أكثم .

٣٠٨ – ويقال : الصدقُ يدلُّ على اعتدالِ وزنِ العقلِ .

٣٠٩ – وقال آخر : الإسنادُ كِسْوَةُ الحديث .

٣١٠ – وقال ابن مسعود : كُونوا جُدُدَ القلوب خُلْقانَ الثياب ، تُجْفَوْنَ[1] في الأرضِ وتُعْرَفونَ في السماء .

٣١١ – قال شدَّاد بن أَوس : إني أخافُ عليكم شهوةً خفيَّةً ونعمةً مُلْهِيَةً ، وذاك حين تشبعونَ من الطَّعامِ وتجوعونَ من العِلْم .

٣١٢ – لمَّا ماجَ أَهلُ مكّة لوفاة[2] النبيّ صلّى الله عليه وسلَّم استبشرَ أبو سُفيان بن حَرْب ، فقام سُهَيْل بن عمرو فقال : واللهِ إني لأَعلمُ أنَّ هذا الدِّينَ سيمتد امتداداً كالشمسِ في طُلوعها إلى غُروبِها ، فلا يغرَّنَّكم هذا من أنفسكم ، وأَشارَ إلى أبي سفيان ، فإنه يعلمُ من هذا الأمر ما أَعلمُ ، ولكنَّ حَسَدَ بني هاشم جاثِمٌ[3] على صَدْرِه .

٣١٣ – لَمَّا دَنا خالدٌ من أصحابِ مُسَيْلِمَةَ انتَضَوا سيوفَهُمْ قبل أَن

---

٣١١ شداد بن أوس الصحابي الكبير أبو يعلى وقيل أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي ، كان ممن أوتي العلم والحلم ، وهو ابن أخي حسان بن ثابت ، توفي سنة ٥٨ ؛ ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/ ٢ : ١٢٤ والاستيعاب : ٦٩٤ وأسد الغابة ٢ : ٣٨٧ والوافي ١٦ : ١٢٣ (وانظر حاشيته لمزيد من المصادر) .

٣١٣ قارن بتاريخ الردة (من الاكتفاء) : ٧٧ : «كلا والله يا أبا سليمان ، ولكنها الهندوانية خشوا من تحطمها وهي غداة باردة فأبرزوها للشمس لأن تسخن متونها» وتاريخ الطبري ١ : ١٩٤١ ، والرجز في ربيع الأبرار ٣ : ٣٣٧ . ومجاعة هو ابن مرارة الحنفي اليمامي كان من رؤساء بني حنيفة ، أسره خالد بن الوليد وأسلم ، وعلى يديه كان صلح أ[illegible] ، انظر الإصابة ٣ : ٣٦٢ (رقم : ٧٧٢٢) وجمهرة ابن حزم : ٣١٢ .

....

١ ل : تحبون .

٢ ل : لقدوم النبيّ .

٣ ل : واجثم .

يَلْتقوا ، فقال خالد : فَشِلَ قَوْمُكَ يا مَجّاعَة ، قال : كلّا ولكنَّها اليَمانيةُ لا تَلينُ حتى تُشرَّقَ متونها ، قال : ما أشدَّ ما تُحِبَّ قومك ، قال : لأنّهم حظّي من ولد آدم ، فقال خالد يوم ذلك[1] : [الرجز]

إنّ[2] السِّهامَ بالرَّدَى مُفَوَّقَهْ والحربُ وَرْهاءُ العقالِ مُطْلَقَهْ
وخالدٌ من دينِهِ على ثِقَهْ

٣١٤ – قال أبو[3] قلابة : لا تُجالِسُوا أصحابَ الأهواءِ فإني لا آمَنُ أَن يغمسوكم في ضلالتهم ، أو يُلَبِّسوا عليكم بعضَ ما تعرفون .

٣١٥ – وقال : إنَّ الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلّا ما صَفا ورَقَّ وصَلُبَ ، فأمَّا صفاؤها فللّه ، وأمَّا رِقَّتُها فللإخوان ، وأما صلابتها فعلى الكُفّار .

٣١٦ – من خطّ ابن المعتزّ : [الرجز]

إذا رأينَ عَلَماً مُمتَدّا مُعَمَّماً بالآلِ أو مُرَدَّى
يحسبهُ الرَّائي حِصاناً وَرْدا مجلَّلاً كتابةً أو بُرْدا
صَدَدْنَ عن عِرْنينهِ[4] أو صَدّا

٣١٧ – آخر : [الكامل المجزوء]

قَلِقٌ لأفْنانِ الرِّما حِ للاقحٍ منها وحائِلْ
حتى إذا صَغَتِ المَطِ يُّ بُعَيْدَ هَرْوَلَةَ العَساقِلْ[5]

....

١ يوم ذلك : سقطت من ل .
٢ ل : انظر إلى (وفيه خزم) .
٣ ل : ابن .
٤ ل : عرينه .
٥ العساقل : قطع السحاب .

ومعطَّلٍ أَشِبٍ[1] يخرّ قُ ذي الأعالي والأسافِلْ
قَدْ بتُّ أَدْأَبُهُ إلَيْـ ـكَ بغَيْهَبٍ[2] هَدِبِ العَياطِلْ

٣١٨ – آخر : [المنسرح]

كَمْ لَوْعَةٍ للنَّدى وكَمْ قَلَقٍ للجُودِ[3] والمَكْرُماتِ في قَلَقِكْ
أَلْبسَكَ اللهُ منهُ عافيةً[4] في نَوْمك المُعْتَري وفي أَرَقِكْ
ينزِعُ مِنْ جسمك السَّقامَ كما نَزَعْتَ حَبْلَ اللئامِ[5] من عُنُقِكْ

٣١٩ – ابتلَعَ ثعلبٌ عَظْماً فبقي في حَلْقه ، فطلبَ مَنْ يُعَالجه ويخرجُهُ ، فجاء إلى كُرْكيٍّ فجعل له أَجْراً على أن يُخرجَ العظمَ من حَلْقه ، فأدخلَ رأْسَهُ في فم الثعلب وأخرج العَظْمَ بمنقاره ثم قال للثعلب : هاتِ الأجرة ، فقال الثعلب : أنتَ أدخلتَ رأسك في فمي وأخرجتَهُ[6] صحيحاً ، لا ترضى حتى تطلُبَ أجراً زيادة ؟!

٣٢٠ – قيل لثعلب : أتحملُ كتاباً إلى الكَلْب وتأخذ مائةً ؟ قال : أمّا الكِراءُ فَوافٍ تامّ ، ولكنَّ الخطرَ عظيم .

---

٣١٨ العقد ٢ : ٤٥٢ (لأبي تمام) وديوان أبي تمام ٢ : ٤٠٥ ، وهي في مدح أبي الحسين محمد ابن الهيثم بن شبانة وتهنئته بالعافية .
٣١٩ محاضرات الراغب ٢ : ٧٠٧ والأجوبة المسكتة رقم : ٧٥١ والكلم الروحانية : ١٣١ .
٣٢٠ محاضرات الراغب ٢ : ٧٠٧ .

....

١ ل : اسنبت (يصف أرضاً مهجورة مخوفة قد التف شجرها) .
٢ ل : فغيبت : (دون إعجام) والغيهب : الفرس الأسود ؛ والهدب : طويل شعر الناصية ؛ والعيطل : الطويل من الخيل .
٣ الديوان : للمجد .
٤ الديوان : ثوب عافية .
٥ الديوان : يخرج من . . . أخرج ذم الفعال .
٦ ل : فأخرجته .

٣٢١ – ووقع في شَرَكِ صَيَّادٍ ثَعْلَبانِ فقال أحَدُهُما : يا أخي ، أين نلتقي ؟ فقال : في دكان الفرّاء بعد ثَلاثٍ .

٣٢٢ – قالت قحبةٌ لصاحبتها : متى يكون الرجلُ أطيبَ للمرأة ؟ قالت : إذا حَلَقَ هو مثل أمس ، ونَتَفَتْ هي مثل اليوم ، فدخلت[١] أُصُولُ شِعْرَتِهِ في أُصولِ[٢] شِعْرتها ، فقالت لها الأخرى : قتلتيني ، السَّاعَة أَصُبُّ[٣] ! ! وكانتا في غرفَةٍ تحتها خيَّاطٌ وقد سمع ما قالتا فصاحَ : يا قحاب ، ثيابُ الناس في الدكّان ، لا يَكِفُ علينا[٤] ! !

٣٢٣ – قال الجمَّاز : رأيتُ عجوزاً تسألُ وتقول : مَنْ تصدَّقَ عليَّ أطعمه اللهُ من طَيِّباتِ باب الطَّاق .

٣٢٤ – شاعر : [الوافر]

أقاموا الدَّيْدَبَانَ على يَفاعٍ   وقالوا لا تَنَمْ للدَّيْدَبانِ
إذا أبصرتَ شخصاً من بَعيدٍ   فَصَفِّقْ بالبَنانِ على البنانِ
تراهُمْ خَشْيَةَ الأَضْياف عَجْلى[٥]   يُقيمونَ[٦] الصَّلاةَ بلا أذانِ

---

٣٢١ محاضرات الراغب ٢ : ٧٠٧ والتذكرة الحمدونية : ٢٣٤ (رئيس الكتاب : ٧٧٠) .
٣٢٢ رحلة النهروالي : ١٥٤ – ١٥٥ .
٣٢٣ نثر الدرّ ٣ : ٩١ .
٣٢٤ عيون الأخبار ١ : ٢٤١ والشريشي ٤ : ٣٢ وربيع الأبرار ٣ : ٧١٨ (لأحمد بن عبد الصمد الرقاشي) .

....

١ النهروالي : فيدخل .
٢ النهروالي : منابت .
٣ النهروالي : كفى لا أصب الساعة .
٤ النهروالي : لا تبلوا علينا ثياب الناس .
٥ العيون : خرساً .
٦ ل : يقضون .

٣٢٥ – قيلَ للحسن بن شهريار ، وكان كاتباً لوَصيف : لا تنصرفْ إلى منزلك إلى نصف النهار ، فقال : ما أعجب هذا ! ! فإن لم يجىء نصفُ النهار إلى بعد العصر أَقْعد ؟ !

٣٢٦ – رفع وكيلٌ لبعض بني هاشم في حسابٍ ثلاثمائة درهمٍ في جِلاءِ مرآة ، فقال جُمَّيْن : واللهِ لو صدىءَ القمرُ لجُليَ بأقلَّ من هذا .

٣٢٧ – قال بعضهم : قلتُ لمدينيّ وهو مُحْرِمٌ يتغنَّى على حمارهِ : أما تَتَّقي اللهَ تتغنّى وأنت محرم ؟ فقال : إنّي أخافُ النُّعاسَ وأن أقعَ عن حماري ، قلت : فأين أنتَ عن القرآن ؟ قال : جَرَّبْناهُ فوجدناه يَزيدُ في النَّوْم .

٣٢٨ – قال عبد الله بن دينار : خرجتُ مع ابن عمر إلى السُّوق فرأى جاريةً صغيرةً تغنّي فقال : لو تَرَكَ الشيطانُ شيئاً لتركَ هذه .

٣٢٩ – قال أعرابيٌّ لخمَّار : أعندكَ شيءٌ يُشْبِهُ قولَ الأعشى : [الطويل]

تُريكَ القَذَى مِنْ دُونها وهي دُونَهُ إذا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمطَّقُ

قال : نعم ، وناوله قدحاً ، فشربَ وقال : ليس هذا أُريد ، أعندك ما قال الأخطل : [البسيط]

---

٣٢٦ قارن بما في لطائف الظرفاء : ١٧ (لطائف اللطف : ٣٦) عن الليث بن نصر بن سيّار حين رفع إليه وكيله أربعين درهماً في جلاء مرآة فقال : لو صدئت عين الشمس ما بلغ جلاؤها أربعين درهماً .

٣٢٨ عبد الله بن دينار المدني العمري مولاهم محدّث ثقة توفي سنة ١٢٧ ؛ ترجمته في ميزان الاعتدال ٢ : ٤١٧ وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٠١ والوافي ١٧ : ١٦٢ (وانظر حاشيته) .

٣٢٩ بيت الأعشى في ديوانه : ١٤٧ ، وبيت الأخطل في ديوانه : ١١٧ وروايته : صهباء قد كلفت .

صَهْبَاء قد عَنَّسَتْ من طُولِ ما حُبِسَتْ   في مُخْدَعٍ بَيْنَ جَنَّاتٍ وأنهارِ

قال : نعم .

٣٣٠ – قال عبد الله بن المعتزّ ، قال عبد العزيز بن مُسْلِم : رأيتُ قبرَ أبي مِحْجَن بأرمينية عليه شجراتُ كَرْمٍ .

٣٣١ – قال الجَمَّاز : كنتُ في مَنْظَرَةٍ وإذا على غَلْوةٍ[1] شيخٌ ومعه صَبيٌّ في يوم بارد ، فكنتُ أسمع الشيخَ يقول للصبيّ : أَعطني فَرْوتي ، فيناوِلُهُ شيئاً لا أُثْبِتُهُ ، فنظرتُ فإذا عند الشيخ قِنِّينَة كلّما طلَبَ من[2] الصبيِّ فروتَهُ سَقاهُ قدحاً منها ، قال الشاعر : [السريع]

إذا شَرِبْنا خَمْسَةً خَمْسَةً   فقد لَبِسْنا الفَرْوَ من داخلِ

٣٣٢ – قال أعرابي : من كلام العرب : نِعْمَ لِباسُ المرءِ التَّقْوى ، ونِعْمَ حَشْوُ الدِّرْعِ السَّخاءُ ، وأنبل[3] بالحياءِ خُلُقاً ، وبالوقارِ مَهابَةً ، وبالبَيانِ ارتفاعاً ، وبالتواضعِ عِزًّا ، وبالوفاءِ جَمالاً ، وبصدق الحديث مُروءةً .

٣٣٣ – قال بعض السَّلَف : العجبُ ممّنْ يَشْتري المماليكَ بالدَّراهم كيف

---

٣٣٠ قطب السرور : ١٢٣ .
٣٣١ ربيع الأبرار : ٣٤٠/أ (٤ : ٨١) .
٣٣٣ البيان والتبيين ٣ : ٢٠٥ والسعادة والإسعاد : ٣١٣ (حديث) والتّمثيل والمحاضرة : ١٣٤ ونثر الدرّ ٥ : ٢٢ ولطائف الظرفاء : ١٥ (لطائف اللطف : ٣٤) والشفا : ٦٥ (لابن السمّاك) والإيجاز والإعجاز : ١٧ والمصباح المضيء ١ : ٢٨٨ (لابن السمّاك) ومحاضرات الراغب ١ : ٥٤٨ والتذكرة الحمدونية ١ : رقم ٦٨٧ (للمهلب) وربيع الأبرار : ٣٢٣/أ (للمهلب) .

....

١ ل : علوة (والغلوة مقدار رمية سهم) .
٢ من : سقطت من ل .
٣ ل : وكفى .

لا يشتري الأحرارَ بالمكارم .

٣٣٤ – سرقَ رجلٌ من مجلس أنوشروانَ جامَ ذَهَب[١] ، وأنوشروانُ يراه ، فتفقَّدهُ[٢] صاحبُ الشراب فقال : لا يَخرُجنْ أحدٌ حتى يُفتَّش ، فقال أنوشروان : لا تعرضوا لأحدٍ ، فقد أخذهُ مَنْ لا يَرُدُّهُ ، ورآه مَنْ لا ينمُّ عليه .

٣٣٥ – زَوَّرَ رجلٌ كتاباً عن المأمون إلى محمد بن الجَهْم في دَفْع مالٍ إليه ، فارتابَ به محمدٌ فأدخله على المأمون ، فقال المأمون : لم أذكرْ هذا ، فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، أَكُلّ معروفكَ تَذْكُرُ ؟ قال : لا ، قال : فلعلَّ هذا ممّا نسيتَ ، قال : لعلَّهُ ، ادفع إليه يا محمد ما في الكتاب .

٣٣٦ – مرَّ عبد العزيز بن مروان بمصرَ فسمع امرأةً تصيح بابنها[٣] : يا عبد العزيز ، فوقف وقال : من المُسمَّى باسمنا ؟ ادفعوا إليه خمسمائة دينار ؛ فما وُلِدَ في تلك الأيام ولدٌ بمصر[٤] إلّا سُمِّيَ به .

٣٣٧ – مدحَ رجلٌ رجلاً عند خالد بن عبد الله فقال : والله لقد دخلتُ

---

٣٣٤ عيون الأخبار ١ : ٣٣٩ والمحاسن والمساوئ : ٤٧٣ والسعادة والإسعاد : ٩٥ وفقر الحكماء : ٢٣٨ (على مائدة الإسكندر) والمستطرف ١ : ١١٦ – ١١٧ وربيع الأبرار : ٢٨٨ ب (٣ : ٣٨٢) والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٥٨٨ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ٩٦) والشهب اللامعة : ٤٣ والأجوبة المسكتة رقم : ٣٥٦ وغرر الخصائص : ٦١ ونهاية الأرب ٣ : ٣٦٩ .

٣٣٦ التذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٤٧٣ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ٧٩) .

٣٣٧ نثر الدرّ ٣ : ٢٧ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٧١٤ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ١١١) وربيع الأبرار : ٣٥١ ب ومحاضرات الراغب ٢ : ٣٧٦ .

---

١ ل : مراه .

٢ ل : ففقده .

٣ ل : ببابها .

٤ بمصر : سقطت من ل .

إليه[1] فرأيته أَسْرَى الناس داراً وفَرْشاً وآلةً وخَدَماً ، فقال خالد : لقد ذممته ، هذه حالُ مَنْ لم تَدَعْ فيه شهوتُهُ للمعروف فَضْلاً ، ولا للكَرَم موضعاً .

٣٣٨ – قال أبو العَيْناء : قيلَ للحسن بن سهل : بالباب رجلٌ راغبٌ ، فقال : سَلُوهُ ما وَسيلَتُهُ ؟ قال : وَسيلتي أني أتيْتُكَ عامَ أوَّل فبَرَرْتَني ، فقال : مَرْحَباً بِمَن تَوسَّلَ إلينا بنا ، وَوَصَلَهُ .

٣٣٩ – صار عطاء بن أبي رباح إلى رجلٍ من أشراف قُريش فقال : إنّي أتيتُكَ بهديةٍ فتفضلْ بقبولها ، فقال : هاتها ، قال : فُلانٌ كانتْ عليه نعمةٌ فزالتْ فلو نظرتَ له ، فقال : جزاكَ اللهُ على هديتك خيراً ، فما أحسبنا ننهَضُ بمُجازاتها ، فقال عطاء : بل جزاك اللهُ على قبولك إيَّاها أفضلَ الجزاء .

٣٣٩ ب – وقَلَّ ما تَرى في عصرنا مَنْ يقبل هديةً مثل هذه ، واللهِ إني لأستحيي من رواية هذه المكارمِ في عصرٍ يُتَباهى فيه باللؤم ، ويُتَبَجَّحُ بالسُّخْف ، ويُحْتَجُّ بالحزم في البخل ، وقد تَواصَى النَّاسُ بكلام[2] الكِنْديّ – لَعَنَهُ اللهُ[3] – حيث يُوصي ابنَهُ : يا بُنيَّ ، أما بعدُ فكنْ مع الناس كلاعبِ الشِّطْرنج ، تَحفَظُ شاهَكَ وتأخذُ شاهَهُم[4] ، فإنَّ مالَكَ إذا خرج عن يدك لم يَعُدْ

---

٣٣٨ زهر الآداب : ٢١١ وبهجة المجالس ١ : ٣٤٧ وربيع الأبرار : ٢٠٥ ب (٢ : ٦٣٧) ولطائف الظرفاء : ٣٨ (لطائف اللطف : ٥٩) .

٣٣٩ ب الكندي من الشخصيات البارزة لدى الجاحظ في البخلاء ، انظر : ٧٠ – ٨١ ، ويشبه أن تكون هذه الوصية مما احتواه ذلك الكتاب ، ولكني لم أجدها فيه .

....

١ ل : عليه .

٢ ل : توأمر (اقرأ : توامر) الناقل الكلام .

٣ لعنه الله : سقطت من ل .

٤ ل : يحفظ شيه ويأخذ شيهم .

إليك ، واعلم أنَّ الدينار محمومٌ فإذا صَرَفْتَهُ مات ، واعلم أنه ليس شيءٌ أَسرعَ فَنَاءً من الدينارِ إذا كُسِرَ ، والقِرْطاس إذا نُشِرَ ، والجلْد إذا قُشِرَ ، والثوب إذا قُصِرَ . ومثلُ الدرهم مثل الطير الذي هُوَ لَكَ ما دام في يدك ، فإذا طار صار لغيرك .
قال المُتَلمِّس[1] : [الوافر]

قليلُ المال تُصْلِحُهُ فَيَبْقَى ... ولا يَبْقَى الكثيرُ مع الفَسادِ
لَحِفْظُ المال أيْسَرُ من بُغَاهُ ... وسَيْرٍ في البلادِ بغير زادِ

وأعرفُ بيتاً قد بَيَّتَ أكثر من مائة ألفٍ في المَساجد ، وهو قول القائل[2] : [الطويل]

فَسِرْ في بلادِ الله والتَمسِ الغنى ... تَعِشْ ذا يَسَارٍ أو تَموتَ فَتُعْذَرا

فاحذر يا بُنَيَّ أن تلحق بهم فتكون منهم .

لحا اللهُ هذا الموصِي وقَبَّحَ هذه الوصيَّة وأبعدَ قائلَها والعاملَ بها .

٣٤٠ – قال عليٌّ كَرَّمَ اللهُ وجهه : إنَّمَا أُمْهِلَ فرعونُ مع دَعْواهُ لِسُهولةِ إذنه وبَذْلِ طعامِه .

٣٤١ – قال بعض السَّلَف : إذا استُشِرْتَ فانصَحْ ، وإذا قدرتَ فاصْفَحْ .

---

١ البيتان في كتاب الحيوان ٣ : ٤٧ وحماسة البحتري : ٢١٦ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٨٩٢ (رئيس الكتّاب ، الورقة ١٤٠) والأغاني ٢٣ : ٥٧٢ والشعر والشعراء : ١١٦ وبهجة المجالس ١ : ١٩٨ وغرر الخصائص : ٣٠٧ ونهاية الأرب ٣ : ٦٤ وسرح العيون : ٤٠٠ ، والأول في البخلاء : ١٦٥ .
٢ البيت من خمسة أبيات في عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ والعقد ٣ : ٣١ ، وقد وردت الأبيات في البصائر ٤ : الفقرة ٦١٨ .

٣٤٢ – قال ماجنٌ لآخر : كم صُمْتَ من هذا الشهر؟ قال : وتَدَعُني امرأتُك أصُوم منه شيئاً ؟!

٣٤٣ – لعبد الصمد بن المُعَذَّل : [الوافر المجزوء]

صَرَفْتَ الودَّ فانصرفا ولم تَرْعَ الذي سَلَفَا
وبِنتَ فلم أَمُتْ أَسَفا عليكَ ولم تمتْ أَسَفا

٣٤٤ – لابن أبي فَنَن[1] : [الطويل]

وَعَرْصَةِ مجدٍ يَكْسبُ الحمدَ ربُّها مُمَهَّدةٍ للمُجْتَدينَ قِبَابُها
إذا صَدَرَتْ عنها وفودٌ تتابَعَتْ وفودٌ تلاها بالنَّجاحِ إيابُها[2]
أَرَتْها وُجوهُ الصَّادرينَ بشارةً وتَصْدُقُها أفراسُها وَعِيابُهَا
جَعَلْتُكَ حِصْناً دون كلِّ مُلمةٍ تخاوصُ عيناها ويصرفُ نابُها
وَلَبَّيْتَ لمّا أَنْ دعوتُ مُشَمِّراً ولا خيرَ في ذي دعوةٍ لا يُجابُها

٣٤٥ – وله : [الخفيف]

أقْصَرَتْ شِرَّتي ووَلَّى العُرامُ وارتجاعُ الشَّبابِ ما لا يُرامُ
أخلقتْ مِرَّةُ الليالي جَديداً واللَّيالي يُخْلِقْنَ والأيَّامُ
فَعَلى ما عهدتُهُ من شبابي وعلى الغَانياتِ منّي السَّلامُ

---

٣٤٢ نثر الدرّ ٣ : ٧٤ (بين أبي العيناء وابن مكرم) وكذلك في معجم الأدباء ١٨ : ٢٩٢ (ط. دار المأمون) .
٣٤٣ البيتان في الأغاني ١٣ : ٢٢٧ وكتاب الصناعتين : ٦٤ (دون نسبة) وشعر عبد الصمد : ١٢٩ .

....

١ ل : القين .
٢ ل : تمامها .

يُحْرَمُ الماجدُ المُجدُّ وقَدْ يُرْ زَقُ قومٌ وإنّهم لَنيامُ
فَدَعِ الحِرْصَ والحريصَ ولا تَمْـ تَهِنِ النفَسَ إنّها أَقسامُ
سَرَّ مَنْ عاشَ مالُهُ فإذا حا سبَهُ اللهُ سَرَّهُ الإعْدامُ

٣٤٦ – أرِقَ المأمونُ ذات ليلةٍ فوجّه إلى محمد بن حازم البَاهِلِي ، فلما دخل عليه قال : قُلْ بيتَيْنِ السَّاعَةَ ، فقال : [السريع]

أنْتَ سماءٌ ويَدي أرضُها والأرضُ قد تأملُ غيثَ السَّما
فازرَعْ يداً عنديَ محمودةً تحصدْ بها عنديَ حُسْنَ الثَّنا

فقال المأمون : عشرة آلاف درهم ، فقد أَبَى إلَّا أَخْذَ مالنا وخديعتنا ، فقال محمد : [الكامل]

وإذا الكريمُ أتيْتَهُ بخديعةٍ فرَأيتَهُ فيمَا تُحِبُّ يُسارِعُ
فاعْلَمْ بأنّكَ لم تُخادع جاهلاً إنَّ الكريمَ بفضلِهِ يتخادَعُ

فأمر له بعشرة آلاف درهمٍ أخرى وقال : أخرجوهُ لا يُفني بيتَ المال .

٣٤٧ – قال المبرِّد : أنشدَ أبو العالية الشَّامي لنفسه : [الطويل]

ترحَّلْ فما بغدادُ دارَ إقامةٍ ولا عندَ مَنْ يُرْجى ببغدادَ طائلُ[1]
بلادُ ملوكٍ سَمْنُهُمْ في أَديمِهم[2] وكُلُّهُم من حِلْيَةِ المجدِ عاطلُ
ولا غَرْوَ أَن شَلَّتْ يدُ الجودِ والنَّدى وقلَّ سَمَاحٌ من أُناسٍ ونائلُ

---

٣٤٦ ربيع الأبرار : ٢٠٥ ب (٢ : ٦٣٧ – ٦٣٨) .
٣٤٧ معجم البلدان ١ : ٦٩٢ وتاريخ بغداد ١ : ٦٠ وبخلاء الخطيب : ١٠٢ – ١٠٣ .

....

١ ل : نائل .
٢ من قولهم في المثل : سْمنهم هريق في أديمهم ، يعني أن معروفهم لا يتجاوزهم إلى غيرهم .

إذا غَضْغَضَ[1] البحرُ الغُطَامِطُ ماءَهُ   فليس عجيباً أن تغيضَ الجداولُ[2]

٣٤٨ – أهدَى عبيد الله بن السَّريّ إلى عبد الله بن طاهر لمَّا دخل مصر مائةَ مَمْلوك ، مع كلِّ مملوكٍ ألفُ دينار ، وأرسلها ليلاً ، فردَّها عبدُ الله وقال : لو كنتُ أقبلُ هديتك ليلاً قبلتُها نهاراً ، ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (النّمل : ٣٦) .

٣٤٩ – لمَّا خُطِبَ للمأمون على منابر خراسان ، كَتَبَ إليه الحارث بن سُبَيْع[3] السَّمَرْقَنْدي : قد أظلَّنا اللهُ بخلافةِ أمير المؤمنين تحت جناحِ الطُّمأنينة ، وبَلَّغَنا بها مدى الأمنيَّة ، فأدام اللهُ من كرامتهِ ما يتظلَّلُ به أقاصي وأداني رعيَّتهِ ، وجَعَلَهُ أعزَّ خليفة ، وجَعَلَنا أسمعَ وأطْوَعَ رعيَّة ، فقال المأمونُ للفضل بن سَهْل : أتعرفُ قيمةَ هذا الكلام؟ قال : نعم يا أميرَ المؤمنين ، يلقِّيك إيَّاهُ بالسُّرور ، فأعجبه قوله واستحسنه .

٣٥٠ – لأبي العالية الشَّامي[4] : [البسيط]

مَنْ ذا الذي ردَّ حَتْمَ الموت إذ وَقَعَا   أو استطاعَ مِنَ الأقدارِ مُمْتَنِعا
هيهاتِ ما دون وردِ الموتِ من عَصَرٍ[5]   كُلٌّ سيشربُ من أنفاسِهِ جُرَعا
يا عُظْمَ رُزْءٍ يَزيدٍ إذْ فُجِعْتُ به   لا دَرَّ دَرُّ الرَّدَى ماذا بهِ فَجَعا
للهِ دَرُّ أخٍ من زائرٍ جَدَثاً[6]   ماذا نَعَى منه ناعيهِ غداةَ نَعَى

---

٣٤٨ نثر الدرّ ٥ : ٢٨ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٨٦ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ١٦) .

....

١ ل : عفص .
٢ غضغض بمعنى غَيَّضَ ، والغطامط : المضطرب .
٣ ل : منيع .
٤ ل : السامي .
٥ ل : عقب ، والعصر : الملجأ .
٦ ل : حدب .

قد كُنْتُ أمنَحُ لَوْمي قبل مَهْلكِهِ مَن استكانَ لريبِ الدَّهْرِ أو خَشَعا
حتَّى رَمَتْني المنايا من مُصيبتِهِ بنَكْبَةٍ رُمْتُ فيها الصَّبْرَ فامتَنَعا
أخي ظَعَنْتَ وخلَّفتَ المُقيمَ على كَرِّ الليالي لما لاقيتهُ تَبَعا
ماذا أضفتَ إلى الأحشاءِ[1] من حُرَقٍ لما استَجَبْتَ لداعي الموتِ حينَ دَعا
وما منحتَ قلوباً فيك مُوجعةً كادَتْ تَقَطَّعُ من غَمْرِ الأسَى قِطَعَا
أغْرَيتَ[2] بالعين إذْ هَيَّجْتَ عَبْرَتَها دَمْعاً إذا هَيَّجَتْهُ حُرْقَةٌ دَفعا
يا غيبةً منه ما أرجُو الإيابَ لها قَرَعْتَ قلبي بها إذْ بِنْتَ فانْصدَعَا
كادتْ تُوافِقُ بي حَتْفاً بلا أجلٍ لمّا طَوى يَأسُها من أَوْبكَ[3] الطَّمَعا
يا حَبْلَ عِزٍّ أذودُ الحادثاتِ بهِ دَبَّتْ عليه[4] صُروفُ الدَّهْرِ فانقَطعا
أَضحَى صَدَى التُّرْبِ في لَحْدٍ ثَوَيْتَ به من ماءِ وَجْهِكَ بعد الصَّوْبِ قد نَقَعا
آليتُ بَعْدَكَ لا أبكي على بَشَرٍ ولا أقولُ له عند العِثَارِ لَعا

٣٥١ – كتب صاحبُ أرمينية إلى المنصور : إن الجندَ قد شغَبُوا عليَّ ، وطلبوا[5] أرزاقهم وكسروا أقفالَ بيتِ المال وانتهبوه ، فعزله ووقَّع في جَوابه : لو عَدَلْتَ لم يَشْغَبُوا ، ولو قَوِيتَ لم يتوثَّبُوا .

٣٥٢ – ووقَّع المنصورُ في رقعةِ رجلٍ سأله[6] شيئاً : آتاك اللهُ سَعَةً تصونُ عِرْضَكَ وتَقي دَيْنَك .

---

٣٥١ نثر الدرّ ٣ : ٢٩ والتذكرة الحمدونية ١ : رقم ١٠٨١ وقوانين الوزارة : ١٤٥ (زمن المأمون) ومحاضرات الراغب ١ : ١٨٠ (زمن السفّاح) .

١ ل : الأجسام :
٢ ل : أغبرت .
٣ ل : وانك (دون إعجام) .
٤ ل : عليك .
٥ ل : وطالبوا .
٦ ن : يسأله .

٣٥٣ – كتب صاحبُ جيش عبد الملك بن مروان يُخبِرُهُ بكثرة من لَقِيَ من جيش الروم ، فوقَّع إليه : ﴿إنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فلا غَالِبَ لَكُمْ﴾ (آل عمران : ١٦٠) .

٣٥٤ – ووقَّع المنصورُ في قصةِ رجلٍ ذَكَرَ أَنَّ أمير المؤمنين أمرَ بأرزاقٍ وأَنَّ الفَضْلَ أَبْطَأَ بها : ﴿ما يَفْتَحِ اللهُ للنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ (فاطر : ٢) .

٣٥٥ – أهدى رجلٌ إلى عمرو بن سعيد في يوم نيروز وهو والي كَسْكَر وكور دِجْلَةَ عصافيرَ[1] على طبقٍ تحتَ مِكَبَّةٍ ورقعة فيها : [الوافر]

عصافيرٌ بعثْتُ بها ملاحاً ليضحكَ لا ليأكُلَها الأميرُ
وما أهدَى سوايَ إلى أميرٍ عصافيراً على طَبَقٍ تطير[2]

فلمّا وضع بين يديه ورفعَ المكبَّة طارتِ العصافير ، فأخذ الرقعة فقرأَ الشِّعْر وضحك وأمر لَهُ بجائزةٍ .

٣٥٦ – نظر ثعلبٌ إلى جَمَلٍ يعدو فقال : ما وراءك ؟ قال : جُعِلْتُ فِداك ، سُخِّرَتِ الحميرُ والبغَال ، فقال : وما أَنت والحمير والبغال ؟ فقال : أخافُ جَوْرَ السلطان .

٣٥٧ – دخل كلبٌ مسجداً خَراباً فبالَ في محرابه ، وفي المسجد قِردٌ

---

٣٥٦ الأجوبة المسكتة رقم : ١٣٥٠ .
٣٥٧ محاضرات الراغب ٢ : ٧٠٧ ونزهة المسامر ، الورقة : ٦٧ ب والتذكرة الحمدونية : ٢٣٤ (رئيس الكتّاب : ٧٧٠) .

....

١ ل : بسكر ولوز وعصافير .
٢ ل : يسير . وفي الحاشية : المشهور على طبق تطير .

نائمٌ ، فقال للكلب : أَما تستحيي أن تبولَ في المحراب ؟ فقال الكلب : ما أحسن ما صَوَّرَك حتى تتعصَّبَ له[1] !

٣٥٨ – رأى كلب[2] رغيفاً يتدحرجُ فتبعَهُ فقال له : إلى أين ؟ قال : إلى النَّهْروان ، قال الكلب : قُلْ إلى عُمَان إنْ تركتُكَ .

٣٥٩ – قيل للكلب : لماذا إذا رأيتَ السَّبُعَ تَنْبح ؟ قال : أُفْزِعُهُ ، قيل : فلِمَ تضْرط ؟ قال : من فَزَعهِ .

٣٦٠ – قيل لرجلٍ : ما بالُ الكَلْبِ إذا بالَ رَفَعَ رِجْلَهُ ؟[3] قال : يَخافُ أن تتلوَّثَ دُرَّاعَتُهُ ، فهو يتوهَّمُ أنه بدُرَّاعَة .

٣٦١ – أنشد عبد الصمد : [الرمل المجزوء]

يا غزالاً لَحْظُ عَيْنَيْـ	ـهِ لَنَا سُمٌّ ذُبَاحُ
ما تَرُدُّ الطَّرْفَ[4] إلّا	وبـنـا منكَ جِراحُ
أنت للحُسْنِ مَصُونٌ	ولك الحُسْنُ مُبَاحُ

٣٦٢ – أنشد ثعلب : [الكامل]

---

٣٦٠ محاضرات الراغب ١ : ١٣٦ وربيع الأبرار : ٤٢٢ ب (٤ : ٤٢٤) والأجوبة المسكتة رقم : ١٣٢٣ .
٣٦١ لم يرد في ما جمع من شعر عبد الصمد بن المعذل ، ولعله من إنشاداته وليس من شعره .
٣٦٢ مجالس ثعلب : ٢٣٩ واللسان (رخم) .

....

١ ل : فأحسن معه أدبك .
٢ سقطت هذه الفقرة من ل .
٣ ل : شال زجله ؛ ربيع : يشغر إذا بال .
٤ ل : ما رنا بالطرف .

كيفَ السُّلُوُّ ولا أزالُ أرى لَهَا رَسْماً[1] كَحاشِيَةِ اليَمَاني المُخلقِ
رَبْعاً لِواضحةِ الجَبينِ غَريرةٍ كالشمسِ طالِعَةً[2] رخيمِ المَنْطقِ
قد كنتُ أعهدُها به في غِرَّةٍ والعيشُ صافٍ والعِدَى لم تَنْطقِ
حتى إذا نَطَقُوا وأذَّنَ فيهمُ داعي الشَّتَاتِ برِحْلَةٍ وتَفرُّق
خَلَتِ الدِّيارُ فَزُرْتُها وكأنَّني ذو حَيَّةٍ من سُمِّها لم يُفْرَق[3]

٣٦٣ – قال ثعلب : العرب تقول : خُذْ على رِسْلِكَ ، أي على هِينَتِكَ .

٣٦٤ – قال ابن أبي الرعد : لَقِيَ أبو علي البصير عليَّ بن الجَهْم ، فتجَهَّمهُ عليٌّ في بعضِ ما جَرَى بينهما ، فقال له أبو عليّ : لا تزِدْ يا أبا الحسن في أعدائك فلعله أن يَقَعَ عليك[4] مَطْبُوعٌ من الشعراءِ يسهلُ عليه من حَوْكِ القَريض ما يعسرُ على غيرهِ ، واعلم أنَّ مع الملوك مَلالةً فلا تأْتِهم من حيث لا يُحبُّون فَيَنْبُو بك منهمُ المطمئنُّ ، فقال ابن الجَهْم : نصيحةٌ ، وإنْ كان مخرجُ الكلام مخرجَ تَهَدُّد .

٣٦٥ – قال ابن المعتزّ : قال لي ابن أبي فَنَن : لمّا قال عليُّ بن الجَهْم وهو محبوس في تشبيهِ نفسهِ بالسَّيْف : [الكامل]

قالتْ حُبِسْتَ فقلتُ ليسَ بِضَائري حَبْسي وأيُّ مُهَنَّدٍ لا يُغْمَدُ

أذعَنَ له شُعراءُ زمانه .

---

٣٦٥ البيت في ديوان ابن الجهم : ٤١ والشريشي ٥ : ٢٦٧ وطبقات ابن المعتز : ٣٢١ .

....

١ مجالس : ربعاً .
٢ مجالس واللسان : كالشمس إذ طلعت .
٣ لم يفرق : لم يتم برؤه .
٤ عليك : سقطت من ل .

٣٦٦ – قال محمد بن موسى البربري : سمعتُ عليَّ بن الجَهْم يصفُ أبا تمَّام ويمدحه ، فقال له رجل : لوكان أخاك ما زاد على هذا ، فقال عليّ : إلّا يَكُنْ أخاً بالنسبِ فإنَّهُ أَخٌ بالأدب ، أما سمعتَ ما خاطَبَني به : [الكامل]

إن يُكْدِ مطّرف الإخاءِ فإنّنا   نغدو ونَسري[1] في إخاءٍ تالدِ
أو يختلفْ ماءُ الوِصالِ فَمَاؤنا   عَذْبٌ تَحَدَّرَ من غَمامٍ واحدِ
أو يفترقْ نَسَبٌ يُؤَلِّفْ بيننا   أَدَبٌ أَقَمْنَاه مَقامَ الوَالدِ[2]

٣٦٧ – قيلَ للأعْمَش أيامَ[3] زيد بن عليّ : ألا تخرج ؟ فقال : أما واللهِ ما أعرفُ أحَداً أجْعَلُ عِرْضي دُونه ، فكيف دَمي ؟!

٣٦٨ – أَهدى ملكٌ هديَّةً إلى فيلسوفٍ فَرَدَّها إليه فقال : لِمَ رَدَدْتَ هديَّتي ؟ قالَ : لأنَّ بَذْلَ الموجود وتَرْكَ طَلَبٍ[4] المفقود يكونانِ عن غنى النفس وعِزّها ، وأخذَ الموجودِ وطلبَ المفقودِ يكونان عن فَقْرِ النفس وشُحِّها ، فمَا أُحبُّ أنْ تَسْخُوَ وأشحَّ ، وتَغنَى وأَفتقِر .

٣٦٩ – أَهدى ملكٌ آخرُ إلى فيلسوفٍ هديَّةً فردَّها ولم يَقْبَلْها ، فتنكَّدَ

---

٣٦٦ أخبار أبي تمام للصولي : ٦١ – ٦٢ والشريشي ٤ : ١٩٧ – ١٩٨ والجليس الصالح ١ : ٤٣٨ ومطالع البدور ١ : ١٧٦ ، وانظر ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٧ وزهر الآداب : ٧٥٤ – ٧٥٥ . ومنها بيتان في العقد ٢ : ٣٢٩ . ومحمد بن موسى بن حماد البربري أبو أحمد كان أخباريًّا صاحب معرفة بأيام الناس ، وتوفي سنة ٢٩٤ ؛ ترجمته في تاريخ بغداد ٣ : ٢٤٣ والوافي ٥ : ٩٢ (رقم : ٢١٠٢) .

٣٦٨ منتخب صوان الحكمة : ١١٦ (فيثاغورس) . والنصّ هنالك مضطرب .

....

١ ل : ونسرب .
٢ لم يرد البيت في ل .
٣ ل : قام .
٤ ل : وطلب .

الملكُ من ذلك وقال : لِمَ فعلْتَ هذا ؟ قال : لم أفعله لحالٍ رَفَعَتْ نفسي عن الملك ، ولا لجهلٍ عَرَضَ بمعرفة الحَظِّ وحُسْنِ مَوْضعه ، ولكنّني قَفَوْتُ في الفَضْل فضْلَكَ ، وحَثَّني على المكارمِ كَرَمُكَ ، فآثرتُك بمَا آثرتَني به ، وسَخَتْ نفسي لك بمَا سَخَتْ نفسُك به ، ولم أحبَّ أن أكونَ مَظِنَّةَ فضلٍ ، ورهينَ إحسان .

٣٧٠ – أَنشد المأمون : [الرجز]

واللهِ لا تختلفُ النُّجومُ وتغرُبُ الشمسُ فلا تقومُ
وقمرٌ في فَلَكٍ يَعُومُ إلّا لأمرٍ شأنهُ عظيمُ
تقصُرُ دُونَ عِلْمِهِ العُلومُ

٣٧١ – طرد أعرابيٌّ الطيرَ عن زَرْعِهِ[1] في جَدْبٍ وقال : [الرجز]

عَجِبْتُ من نَفْسي ومن إشفاقها ومن طرادي الطيرَ عن أرزاقِها
في سنةٍ قد كشَّفت عن ساقِها حمراءَ تَبْري اللَّحْمَ عن عُراقها
والموتُ في عُنْقي وفي أَعْناقِها

٣٧٢ – قال ابن دُرُستُوَيْه ، قِيلَ للمبرِّد : أكنتَ أنتَ وأحمد بن يحيى جميعاً مع محمد بن عبد الله بن طاهر؟ قال : نعم ، كنتُ معه جليساً ونديماً ، وكان معه مُعَلِّماً ومؤدِّباً .

---

٣٧١ الشريشي ١ : ٨٢ .
٣٧٢ أحمد بن يحيى هو ثعلب .

....

١ ل : زرع .

٣٧٣ – قال رجل للمبرِّد : أَسمعني فلانٌ في نفسي مكروهاً[1] فاحتملتُه ، ثم أَسمعَني فيك فجَعلْتُكَ أُسْوَتي فاحتملتُه[2] ، فقال له : لسنا بِسَواءٍ[3] ، احتمالُك في نفسك حِلْمٌ وفي صَديقك غَدْرٌ .

٣٧٤ – كتبَ المبرِّدُ إلى بِشْر بن سَعْد المَرْثَدي[4] : اقتضائي إيَّاكَ – جعلني اللهُ فداك – اقتضاءُ مَنْ تَجِبُ مطالبتُهُ لضروبٍ : أحدُها لاعتمادي[5] عليك في الحاجة ، وقصدي إيّاك بها مع كثرة الصَّديق وإمكان الشَّفيع ، وقد قلتُ : [الوافر]

وَقاكَ اللهُ من إخلافِ[6] وعدٍ وهَضمِ أُخُوَّةٍ أو نَقْضِ عَهدِ
فأنْتَ المُرْتَضَى أدباً وعِلْماً وبَيْتُكَ في الذُّؤابةِ من مَعَدِّ
وتجمعُنا أواصرُ لازماتٌ شِدادُ الأسْرِ من سَبَبٍ ووُدِّ
إذا لم تأتِ حاجاتي سِراعاً وقد ضَمَّنْتُها بشْرَ بنَ سَعْدِ
فأيُّ النَّاسِ آمُلُهُ لِنفعٍ وأرجوهُ لحلٍّ أو لِعَقْدِ

وما كنتُ أخافُ خُلْفاً ممّن كَرُمَ[7] أَدَبُهُ ، وشَرُفَ مركبُهُ ، وطاب حَسَبُهُ ، وإنْ كان قد أحوجَ إلى أن يُعَاتبَ بقولِ الشاعر : [الخفيف]

أتناسَيْتَ أم نَسيتَ إخائي والتناسي شرٌّ من النِّسْيانِ

---

٣٧٣ التذكرة الحمدونية (عمومية ، الورقة : ١٧٤) ورحلة النهروالي : ١٥٥ .

....

١ مكروهاً : زيادة من النهروالي .
٢ النهروالي : فاحتملتَ .
٣ النهروالي : سواء .
٤ ل : المزيدي .
٥ ل : اعتمادي .
٦ ل : إخلاق .
٧ ل : ممن كنت أكره .

ولقد كان ظَنِّي فيك عِلْمي بك أنه لو تُوسِّلَ بي إليك لأضعاف ما سألتُكَ لما احتيجَ فيه إلّا إلى الخِطاب اليَسير ، فلا تُنْكِرْ هذا الإطنابَ في العِتاب ، فإنّما يُهزُّ الصَّارمُ ويُذَكَّرُ المؤْمن ، وقد قال الشاعر : [الطويل]

أُعاتِبُ ليلى إنّما الهَجْرُ أن تَرَى صديقَكَ يأتي ما أتى لا تعاتِبُهْ

وأعاذني اللهُ فيك أَن تعتقِدَ فيَّ قولَ الشاعر : [المنسرح]

إذا مَطَلْتَ امرءاً لحاجتِهِ فامضِ على مَطْلِهِ ولا تَجُدِ

قد أكثرتُ هازلاً في التَّوْبيخ ، واستحييتُ عائباً من التأنيب ، والذي عندي في الحقيقة قولُ أبي العتاهية : [البسيط]

لا تكربنَّك حاجاتي أبا عُمَرٍ فأنتَ منهنَّ بين النُّجح والعُذُرِ
ما يُقْضَ منها فإنَّ الله يَسَّرَهُ وما تَعَذَّرَ فاحمِلْهُ على القَدَرِ

٣٧٥ - احتيجَ أن يُكتَبَ على المُعْتَضِد كتابٌ ويَشْهَدَ فيه عليه العُدُول ، فكتب ابنُ ثَوابَة : في صحةٍ من عَقْلِهِ ، وجَوازِ أمرٍ لَهُ وعليهِ ؛ فلمَّا عُرِضَتِ النسخةُ على عبيد الله بن سليمان قال : هذا لا يجبُ أن يُقالَ للخليفة ، فضربَ عليه وكتب : في سَلامةٍ من جسمه وأَصالةٍ من رأيِهِ .

٣٧٦ - وَقَّعَ عليٌّ بن أبي طالب إلى الحسن ابنهِ : رأيُ الشيخ خيرٌ من مَشْهَدِ الغلام .

٣٧٧ - كتب عمرو بن العاص إلى معاويةَ يسألهُ أن يعطيَ عبد الله بن

---

٣٧٥ نثر الدرّ ٥ : ٣٨ ومحاضرات الراغب ١ : ٤٧٣ - ٤٧٤ وربيع الأبرار : ٢٦٩/أ - ب (٣ : ٢٣٣) ولقاح الخواطر : ٣٥ب ونشوار المحاضرة ٣ : ٣٨ .

٣٧٦ نهج البلاغة : ٤٨٢ (رقم : ٨٦) وبهجة المجالس ١ : ٤٥٠ ، ونسب لعبد الملك في رسائل الجاحظ ١ : ٢٧٣ .

كريب نَهْرَ مَعْقل فإنه قد سأله ، فوقَّعَ : ﴿ قَدْ سَأَلَها قَومٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِها كافِرِينَ ﴾ (المائدة : ١٠٢) .

٣٧٨ – قُرِىءَ للمأمون توقيعٌ بنقطةٍ ، وذلك أنَّ رجلاً كان سابَقَ الحاجّ فوردَ مرةً بعدما وَرَد غيرُهُ وكتب قصةً يطلب رزقه ، فلمّا قرأ المأمونُ وقّع بنقطةٍ ثانيةٍ تحت الباء فصار : « سايق الحاج » .

٣٧٩ – اشتكى الأسدُ عِلّةً شديدةً ، فعادَهُ جميع السِّباع إلّا الثعلب ، فدخل عليه الذئبُ فقال : أَصلحَ اللهُ الملك ، إنَّ السِّباعَ كُلَّها قد زَارَتْكَ وعادَتْكَ ما خلا الثعلبَ فإنَّهُ مُستَخِفٌّ بك ، فبلغ ذلك الثعلب فاغتمَّ به ، فلمّا جاءه قال له الأسد : ما لي لم أرَكَ يا أبا الحُصَيْن ؟ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، بلغني وَجَعُكَ فلم أزل أطوفُ في البلدانِ أطلبُ دواءً لكَ حتى وجدتُه ، فقال له : وأيُّ شيءٍ هو ؟ قال : مَرارةُ الذِّئب ، قال الأسد : وكيف لي بذاك ؟ قال : أَرسلِ السَّاعةَ إلى الذئبِ حتى يجيءَ ، فإذا حَضَرَ فَشُدَّ عليه واقتُلْهُ وخُذْ مَرارَتَهُ وكُلْها ؛ فأرسَلَ إليه والثعلبُ عنده ، فأَتى الذئبُ فوَثبَ الأسدُ عليه ، وكان ضعيفاً من وجعِهِ فلم يَتمكَّنْ منه وسَلَخَ جِلدَ اَستِه وأَفلت الذئبُ ، وخَرج الثعلبُ يصيحُ به : يا صاحبَ السراويل الأحمر ، إذا جلستَ عند الملوكِ فاعقلْ كيف تتكلم ؛ فعلمَ الذئبُ أنّ الثعلبَ دَلَّ عليه .

٣٨٠ – لقيَ ثعلبٌ عراقيٌّ ثعلباً شاميًّا فقال : عَرِّفْني ما عندَكَ من حِيَلِ ثعالبِ الشام ، فقال : عندي مائةُ حيلةٍ ودستان[1] ، فقال العراقي : والله لأصحبنَّهُ حتى أستفيدَ منه ، فَلَزِمَهُ ؛ فبينما هما كذلك وقد اصطحبا في سَفَرٍ حتى قال له العراقي : يا أخي ، إنْ لَقينا الأسدَ كيف الحيلةُ في التخلُّص منه ؟ قال : لا يهمَّنَّكَ

---

٣٧٨ نثر الدرّ ٥ : ٤٢ (٣ : ١١٦ ط) وربيع الأبرار ٣ : ٢٣٣ .
٣٧٩ الأذكياء : ٢٤١ ومحاضرات الراغب ٢ : ٧٠٧ والجليس الصالح ٢ : ١٦٢ .

١ من معاني الدست : الحيلة ؛ يقال : تمَّ عليه الدست .

أمرُهُ فإنّ عندي حِيَلاً ؛ فما انقضى كلامُه حتى طلع الأسد ، فقال العراقيُّ للشاميّ : خُذْ في الحيلة ، قال : واللهِ ما عندي حيلةٌ في هذا الوقت ، قال : إنّا لله ، وَلِمَ أَخطَرتَ نفسَكَ وغَررتَ أَخاك ؟ الآنَ لا تَنْطِقْ بحرفٍ ، فلمَّا دنا الأسدُ قال لهما : من أين أَقبلتُما ؟ قال العراقيُّ : إيَّاكَ أَرَدْنا وإليكَ قَصَدْنا ، قال : في ماذا ؟ قال : إنَّ أخي هذا يكونُ بالشام وأنا بالعراق في مالي ، وإن أَبانا ماتَ وورَّثنا شُوَيْهاتٍ ، فجاء أخي هذا يريدُ أن يَذهبَ بها فقلتُ له : هَلُمَّ إلى سيِّدِ السِّباع ليحْكُمَ بيننا ، فهما قال التزمناهُ ؛ وكان الأسدُ جائعاً فقال في نفسهِ : لا أعجل في أَكْلِ هَذيْن لكنْ أَصبرُ عليهما ساعةً حتَّى أَقِفَ على أَمرِ الغَنَم وهما في قَبْضَتي ؛ قال : أين الشَّاءُ ؟ قالا : في هذا البستان ، وأشارا إلى بستانٍ حَصينٍ له مَجْرى ماءٍ ضيِّقٍ ، وقال أحدُهما : أَرسِلْ أخي حتى يُخرِجَ الغنمَ فيقسمَها الملك ، قال : نعم ، فقال للشَّاميّ : ادخُل وأَخْرِجِ الغَنَمَ وعَجِّل ، فدخل الشاميُّ وأقبلَ يأكُلُ من الثِّمار ، فلما أَبطأَ قال العراقيُّ : قد قلتُ للملك إنَّهُ ظالمٌ ، فتأذن لي حتى أدخلَ خَلْفَهُ وأُخرجه إليك مع الشَّاءِ قَميئاً ذَليلاً ؟ قال : ادخُلْ وعجِّلْ ، فدخل الثعلبُ البستانَ وأقبل يأكُل من[1] الثِّمارِ حتى شَبعَ ، ثمَّ أشرفَ من الحائط على الأسدِ فقال له : يا أبا الحارث ، اعلمْ أنَّا قد اصطلَحْنا فامضِ في دَعَةِ الله ، فجعل الأسدُ يضربُ بذنَبه الأرضَ ويستشيطُ ، فقال له الثعلب : إنَّما أنتَ قاضٍ وما رأيتُ قاضياً يغضبُ من الصلح غيركَ .

٣٨١ – قالت ماجنةٌ لجارةٍ لها : اعلمي أَن صديقي يُوافي غداً ، قالت : ومن أينَ علمتِ ؟ قالت : حِري يَخْتَلِجُ ، قالت : ومتى صار حِرِكِ يَعْبُرُ الرؤيا ؟

---

١ من : سقطت من ل .

٣٨٢ – قال رجلٌ لامرأةٍ : غطّي[1] صَدْرك ، قالت : سبحانَ الله ، تُجمّشُ بالتقوى ؟!

٣٨٣ – قال الجمّاز : سمعتُ ماجنةً تقول : إذا دخلتُ جهنّمَ فقال لي مالكٌ : كُلي من هذا الزّقوم واشْربي من هذا المُهْل ، قلتُ : لا وَحَياتِكَ يا أبا نصر ما أَشْتَهيهِ وأَخافُ يُغثي نفسي ، فيقول : الشأنُ في معرفتها بِكُنْيَتي .

٣٨٤ – دخل عمارة بن حمزة على المنصور فجلسَ مَجْلسَهُ ، فقام رجلٌ فصاحَ فقال : مظلومٌ يا أميرَ المؤمنين ، قال : ومَن ظلمك ؟ قال : عمارة بن حمزة ظلمَني وغَصبَ ضَيْعتي ، فقال المنصور : قُمْ يا عمارة فاقعُدْ مع خَصْمك ، فقال عمارة : ما هو لي بخصمٍ ، قال : وكيف ؟ قال : إنْ كانتِ الضّيعةُ له فلستُ أُنازِعُهُ ، وإن كانت لي فقد جعلتُها له ، ولا أقومُ من مكانٍ شرّفَني به أميرُ المؤمنين لأجلِ ضيعةٍ .

٣٨٥ – هَجمَ قومٌ على زنجيٍّ ينيكُ شيخاً ، فهرب الزنجيُّ وعلقوا الشيخ ، فقال : ما لكم؟ قالوا : يا عدوَّ الله ، تتكلم ؟! قال : ما لي لا أتكلّم ؟ ما لنا لا نُناك ؟ من أَجلِ أَنّا فقراء ؟ احتسبوا على الفَضْل بن الرَّبيع وعلى الحارث

---

٣٨٢ قارن بما في لطائف الظرفاء : ٧٤ – ٧٥ (لطائف اللطف : ٩٨) : وقد رأى بعض القراء امرأة حسنة الوجه مسفرة فقال : (وليضربن بخمرهن) فقالت : يا بغيض ، تجمشني بالقرآن ؟!

٣٨٤ الأذكياء : ٧٧ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٦٥ وربيع الأبرار : ٢٩٣ ب (وقد جاء الرقم : ٢٩٣ لورقتين متتاليتين) ولقاح الخواطر : ٦٢ ب والمستجاد : ١٩٣ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٧٨ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ١٥) وغرر الخصائص : ٦٩ والشهب اللامعة : ١٢ – ١٣ والمستطرف ١ : ١٣٤ ونهاية الأرب ٣ : ٣٧٣ ، وقارن بما في معجم الأدباء ١٥ : ٢٤٧ (ط. دار المأمون) .

....

١ ل : علا

ابن زياد وعلى غطريف[1] بن أحمد – وعَدَّ قوماً من العسكر – إنّمَا يَحْتَسِبُون علينا لأنَّا فقراء .

٣٨٦ – دخل رجلٌ على محمد بن سليمان فقال له محمد : أين كنتَ فإنّي لم أرَكَ منذ أيام ، فأراد أن يقول « التَّواني » فقال : التَّهاون ، فقال محمد : أنت علينا أهونُ .

٣٨٧ – قيل لأعرابيّ : صِفْ نفسك ، قال : إنْ كان أكْلٌ فَقَرِّبْ ، وإن كان نبيذٌ فجرِّبْ ، [وإن كان قتال فغرِّبْ] .

٣٨٨ – قال المبرَّد : كنت أغشَى مجلسَ جعفر بن القاسم ، وكان يتقلّد إمارة البَصْرة للواثق ، وأنا حَدَثُ السِّنّ ، ليس في المجلس أصغرُ منّي سِنًّا ، وكان يخلطني بِحَداثتي ويُخاطبني ، ثم تأخرتُ عنه لأسبابٍ ، فلمّا عُدْتُ قال لي : ما أخرَّكَ عنَّا ؟ قلتُ : عِلَّةٌ مَرَّةً وغَيْبَةٌ مَرَّة ، قال : وتَوانٍ مَرَّةً وتقصيرٌ مَرَّة ، فقلت : واللهِ ما أغيبُ عن الأميرِ إلّا بوُدٍّ حَاضر ، ولا أعصيهِ إلَّا بنيَّةٍ طائع ، فضحِكَ ثم أنْشَدَ بيتَيْن لإبراهيم بن المهدي ، أحدُهُما : [الكامل]

ما إنْ عَصَيْتُكَ والغُواةُ تُمِدُّني ... أسبابُها إلَّا بنيَّةِ طائعِ

فقلتُ : أَعزَّ اللهُ الأمير ، إذا كان سارقُ لفظٍ لا يفوتكَ فكيف يفوتُكَ سارقُ مالٍ[2] ؟ فضحكَ وقال : أنا أحبُّ حُضُورَكَ .

---

٣٨٧ ربيع الأبرار ٢ : ٧١١ .
٣٨٨ بعضه في ربيع الأبرار ٢ : ٣٠١ . وجعفر بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي ولي إمارة البصرة للواثق ، وكان فصيحاً خطيباً ، وهو قليل الشعر ؛ ترجمته في الوافي ١١ : ١٢٣ .

[1] ل : طريف .
[2] مال : سقطت من ل .

٣٨٩ – قال المبرِّد : وقال لي يوماً وقد استحسنَ كلامي : أنت اليومَ عالمٌ ، ثم قال : لا تظنَّ أنّ قولي لك : أنت اليوم[1] عالمٌ أنَّكَ لم تكُنْ عندي قبلُ كذلك ، إنَّ اللهَ تعالى يقول : ﴿والأمرُ يَوْمَئِذٍ للهِ﴾ (الانفطار : ١٩) ، وقد كان له الأمرُ قبلَ ذلك .

٣٩٠ – دخل رجلٌ على عبد الملك بن مروان فقال : إنِّي قد تزوجتُ امرأةً وَزَوَّجْتُ ابني أُمَّها ، ولا غنىً لي عن رِفْدِ أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : إنْ أَخبَرتني ما قَرابةُ ما بين أولادكما إذَا وَلدتا فعلتُ ذلك ، فغلب ذلك الرجل فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا حُميدٌ قد قلَّدْتَهُ سيفَكَ ، ووَلَّيْتَهُ ما وراءَ بابك ، فَسَلْهُ عنها فإنْ أَجابَ لزمني الحِرْمان[2] ، فَسأل حُميداً فقال حميد : يا أمير المؤمنين ، إنَّك ما[3] قدَّمْتني على العِلْمِ ولا نصَّبْتَني له ، بل قَدَّمتني على العَمَل بالسَّيفِ والطَّعنِ بالرُّمْح ، إلَّا أنّي أُجيبُهُ ، ثم أَقبل على الرجل وقال له : يا ابنَ المعروكة[4] ، يكونُ أحدُهما عمًّا للآخر والآخرُ خالاً له ، فانخزلَ الرجل ، فقال عبد الملك : أجابَ وأصاب ، وسكتَّ وجهلْتَ ، ولكنَّك[5] تستحقُّ ما طلبتَ منّا بامتحاننا إيَّاك وصَبْرك علينا .

٣٩١ – جاء رجلٌ إلى سيفويه القاص[6] فقال : إنّي أُريدُ أن أَتوبَ فأيش

---

٣٩٠ نور القبس : ١٨٥ – ١٨٦ وبهجة المجالس ٢ : ١٧٤ وربيع الأبرار ١ : ٦٨٤ والشريشي ٢ : ١٨٠ ، وقارن بالفقرة رقم : ٥٤٥ من البصائر الثامن .

....

١ اليوم : سقطت من ل .
٢ ل : أرمني بالحرمان .
٣ ل : قد .
٤ ل : المعتر .
٥ ل : ولكن .
٦ ل : سيبويه بن العاص .

تُشير عليَّ ؟ أَحلقُ رأْسي ولحيتي أو أشتري سُلّماً أو أَنحدرُ إلى واسط ؟!

٣٩٢ – فَرَّ مُزَبِّد[١] من والي المدينة وتَوارى ، وطلبَهُ الوالي ، فَبَيْنَما هو في الطَّلَب إذْ سمعَ من المَقابرِ صوتَ طُنْبُور ، فأقبلَ حتى وقفَ على قبرٍ محفورٍ وفيه سِراج ، وفوق القبر بَواريّ[٢] ، فكشفَ فإذا مزبِّد قائمٌ وبيدهِ طُنْبورٌ في جوف القبر وعنده نبيذ ، فقال له : اخرُجْ يا عدوَّ الله ، قال مزبِّد : لا واللهِ لا أخرجُ إليك ولا هذا من عَملِكَ ، إنما عملُكَ في العِمارة ، وليس لك عَليَّ سلطان .

٣٩٣ – كتبَ يزيد بن معاوية إلى أَهل المدينة : أمَّا بعدُ يا أَهْلَ المدينة ، فواللهِ لقد رَفَقْتُ بكم حتى أَخرَقْتُكم ، ولَبِسْتُكُمْ حتَّى أخْلَقْتُكُمْ ، والله لَأبو سفيان أحْلَمُ من حَرْب ، ولمعاويةُ أحْلَمُ من أبي سفيان ، ولَيزيدُ أحلَمُ من مُعاوية ، ثم أنشد : [الطويل]

إذا ما حَلِمْنا كان آخرَ حِلْمِنا   زيادةُ باعٍ عن يَدِ المُتَطاولِ

وقد كتبَ إليكم أميرُ المؤمنين كتاباً فاسمعوهُ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله يزيد أميرِ المؤمنين : سلامٌ عليكم ، أمّا بعدُ يا أهلَ المدينة ، فواللهِ[٣] لقد حملتُكُمْ على رأسي ثمَّ على عَيْني ثمَّ على أنفي ثمَّ على نَحْري[٤] ، وواللهِ لئن جعلتكُم تَحْتَ قَدَمي لأطأَنَّكم وَطْأَةً[٥]

---

٣٩٣ أنساب الأشراف ٤/١ : ٣٢١ (ف : ٨٣٢) والطبري ٢ : ٤٠٤ وابن الأثير ٤ : ٨٨ والموفقيات : ١٩٧ والإمامة والسياسة ١ : ٣٢٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٠٢ والعقد ٤ : ٣٨٨ وصبح الأعشى ٦ : ٣٩٠ .

١ ل : مزيد .
٢ البواري : الحصر .
٣ فوالله : لم ترد في ل .
٤ ل : غيري .
٥ ل : وطأ .

المُتثاقِل ، ولأُشرِّدَنَّكُمْ عن أوطانكم ، ولأترُكَنَّكُمْ أحاديثَ وأيادِيَ سَبا ، تُنْسَخُ فيها كتبكم ككُتُبِ[1] عادٍ وثَمود ، ثم أنشد[2] : [الوافر]

أظنُّ الحِلْمَ دلَّ عليَّ قَوْمي ... وقد يُسْتَجْهَلُ الرَّجلُ الحليمُ
ومَارَسْتُ الرِّجالَ ومَارسُوني ... فَمُعْوَجٌّ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمُ

٣٩٤ — كتب مُويسُ بنُ عِمْران إلى الجاحظ يدعوهُ : عندي قِدْران[3] طبختُها بيدي يحكيانِ المِسْكَ الأذْفَر ، فإنْ رأيتَ أن تصير إليَّ متفضِّلاً[4] فعلتَ . فكتب إليه الجاحظ : مجلسُكَ المجلسُ الذي يَمْنَعُ المُصِرَّ من التَّوْبَة ، ويَنقضُ عَزْمَةَ الأوَّاهِ الحليم ، وأنا علَّةٌ من قرني إلى قَدَمي مِنْ حَمْلي على نفسي ما ليس من عادتها ، فَهَبْ لي نفسي هذا الأسبوع ثم أنا بَيْنَ يَدَيْك تقتادُني حيثُ شئتَ ، فعلتَ إن شاء الله .

٣٩٥ — قام رجلٌ إلى عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا فلان بن فلان ، شهد أبي بَدْراً وأُحُداً والخَنْدَق وحُنَيناً — وجعَلَ يُعَدِّدُ المشاهدَ — ولم أَلبَسِ الخزَّ ولم أَركبْ ولم أتزوَّج ، فقال عمر : مَشاهدُ واللهِ ما تُشبهُ مَرْجَ راهط ولا دَيْرَ الجماجم ، واللهِ لأكْسُوَنَّكَ ولأُزوِّجَنَّكَ ولأحمِلَنَّك ، فكَساهُ وزوَّجَهُ وحَمَلَهُ وأثبتَ اسمه في شَرَفِ العَطاء ، وقال : بمِثْلِ هذا فَلْيَمُتَّ إلينا المُتَوَسِّلون .

---

٣٩٤ مويس بن عمران متكلم معاصر للجاحظ ، وكان شديد البخل حريصاً على الصدق ، وكان من أصحاب النظام ؛ انظر البخلاء : ٢٨٦ وفهرسه أيضاً والحيوان ٥ : ٤٦٨ .

....

١ ل : مع كتب .
٢ البيتان لقيس بن زهير في النقائض : ٩٧ والموفقيات : ١٩٨ والحماسة ١ : ٢٢١ وعيون الأخبار ١ : ٢٠٢ والأغاني ١٧ : ١٣٨ ومعجم المرزباني : ١٩٨ وأمالي القالي ١ : ٢٦١ وأنساب الأشراف ٤/١ : ٣٢١ (ف : ٨٣٢) .
٣ ل : قلتان .
٤ ل : مفضلاً .

٣٩٦ - قال مالك بن عمارة : كنْتُ ربَّمَا جالستُ عبدَ الملك بن مروان وقَبيصَة بن ذؤيب وعروة بن الزُّبَير في ظلِّ الكعبة أيامَ الموسم ، فنخوضُ مرةً في الفقه ومرةً في المُذاكَرة[1] ومرةً في أخبار النَّاس وأَشعارِ العرب ، فكنتُ لا أجدُ عند أحدٍ ما أجدُ عند عبدِ الملك ، من اتِّساعه في المعرفة ، وتصرُّفِهِ في فُنون العِلْم ، وحسنِ استماعهِ إذا حُدِّث ، وحلاوتهِ إذا حَدَّث ؛ قال : فتفرَّقَ أصحابُنا ذاتَ ليلةٍ وبقيتُ أنا وهو ، فقلت : واللهِ إنّي بك لَمَسْرورٌ لِما أرى مِنْ كثرةِ تصرُّفِك ، وحُسْنِ حديثك ، وإقبالكَ على جَليسك ، فقال لي : إنَّكَ إنْ تعِشْ قليلاً فسوف تَرى العُيونَ إليَّ طامِحَةً ، والأعناقَ إليَّ قاصِرَةً[2] ، فإذا كان ذلك فلا عليكَ أن تعملَ إليَّ[3] فلأَمْلأَنَّ يَدَيْك ؛ فلما أفضتِ الخلافةُ إليهِ أتيتُهُ ، فكان أول ما وقعتْ عينُهُ عليَّ وهو على المنبر ، كَشَرَ في وجهي وبَسَرَ ، فقلت : لم يثبتني معرفةً ، أو عرفني فأظهر لي نُكْرَهُ ، لكني لم أبرحْ من مَكاني حتى قَضى الصلاةَ ودخل المقصورة ، فلم يلبثْ إلّا ريثمَا دخل إذ خرج آذِنُهُ فقال : أين مالك بن عمارة ؟ قلتُ : ها أنا ذا ، فأخذ بيدي فأدخلني إليه ، فلمَّا رآني مَدَّ يَدَهُ إليَّ ثم قال : تراءَيْتَ في موضعٍ لم يَجُزْ فيه إلّا ما رأيتَ من الإعراضِ والانقباض ، فأمَّا الآنَ فحيَّ هَلَا بك ، كيف كنتَ بَعْدي وكيف كان مسيرُكَ ؟ قلت : خيرٌ ، وعلى ما يُحبُّ أميرُ المؤمنين ، فقال : أتذكرُ ما كنتُ قلتُ لك ؟

---

٣٩٦ الموفقيات : ٢١٠ والإمتاع والمؤانسة ٢ : ٧٠ ، وبعضه في نور القبس : ٢٤٦ ومحاضرات الراغب ١ : ٤٥٥ وعيون الأخبار ١ : ٢٥٨ والتذكرة الحمدونية (عمومية ، الورقة : ١٦٩) والجليس الصالح ٢ : ٣٠٦ . وقبيصة بن ذؤيب الخزاعي أبو سعيد ويقال أبو إسحاق المدني تابعي ولد عام الفتح وروى الحديث وروي عنه ، وكان عالماً ثقة صالحاً ، توفي في خلافة عبد الملك ؛ انظر الإصابة ٣ : ٢٦٦ (رقم : ٧٢٧١) وتهذيب التهذيب ٨ : ٣٤٦ .

....

١ ل : الذكر .

٢ ل : قاصدة .

٣ ل : عليّ .

قلت : أجَلْ ، هو أعْمَلَني إليكَ يا أمير المؤمنين ، قال : واللهِ ما هو ميراثٌ ادَّعَيْناهُ ، ولكنّي أُخبِرُكَ عن نفسي بشيءٍ سَمَت بي إلى موضعي هذا : ما داهَنْتُ ذا وُدٍّ ولا قَرابةٍ قطُّ ، ولا شَمِتُّ بمصيبةِ عدوٍّ ، ولا أعْرَضتُ عن مُحَدِّثٍ حتى ينتهيَ ، ولا قَصَدْتُ لكبيرةٍ من مَحارمِ اللهِ تلذُّذاً بها ولا واثباً عليها ، وكنتُ من عبدِ مناف في بيتها ، ومن بيتها في واسِطَةِ قلادتها ، وكنتُ أَرجو بهذه أن يرفعَ اللهُ تعالى منّي وقد فَعَل ، ثم قال : يا غُلام بَوِّئْهُ منزلاً في منزلي ؛ فأخذ الغلام بيدي وقال : انطلقْ ، فكنتُ في أخفَضِ حالٍ وأَلْيَنِ بال ، حيث يسمعُ كلامي وأَسْمَعُ كلامَهُ ، فإذا حضرَ طعامُهُ أو قعدَ لأصحابهِ أتاني الغلامُ فقال : إن شِئْتَ صِرْتَ إلى أمير المؤمنين فإنَّه قاعدٌ لِبطانتهِ ، فأمشي بلا حِذاءٍ ولا رِداء[1] ، فيرفعُ من مجلسي ، ويُقْبِلُ عَليَّ ويُحادِثُني ويسألُني عن الحجازِ مرّةً وعن العراقِ مرةً ، حتى إذا مَضتْ عشرون ليلة ، تعشَّيْتُ في آخِرِها معه وقامَ مَنْ حَضَر ، ونهضتُ لأقومَ فقال : على رِسْلِك أيُّها الرجلُ ، فقعدتُ ، فقال : أيُّ الأمرين أَحَبُّ إليك ؟ المُقام قِبَلَنا ، فَلَكَ النَّصَفَةُ في المحافظةِ والمُخالطةِ والمُعاشرةِ ، أم الشُّخوصُ فَلكَ الحِباءُ والكرامة ؟ فقلتُ : خرجتُ من أهلي على أَني زائرٌ لأمير المؤمنين – أكرمَهُ الله – وعائدٌ إليهم ، فإنْ أَمرني بالمُقام اخترتُ فِناءَهُ على المالِ والأهلِ والولد ، قال : بل أرى لك الرجوعَ إلى أهلك فإنّهم مُتطلّعُونَ إلى قُدُومك ، فتُحْدِثُ بهم عهداً ويُحْدِثون بك مثله ، والخيارُ في زيارتنا والمُقام فيهم إليك ، وقد أَمرتُ لك بعشرين ألف دينار وحملتك وكسوتك ، أَتراني مَلأْتُ يدَيْك ؟ فقلت : أراكَ يا أميرَ المؤمنين ذاكراً ما قلتَ ؟ قال : أَجَل ، ولا خيرَ فيمَن لا يذكرُ إذا وعَد ، ولا يَنْسَى[2] إذا أَوْعَد ، وَدِّعْ إذا شئتَ صَحِبَتْكَ السلامةُ ؛ قال : فودعتهُ وقبضتُ المالَ وانصرفتُ ، فكان آخِرَ العهدِ به .

[1] ل : بلا رداء ولا حذاء .
[2] ل : وينسى .

٣٩٧ - خرج إسماعيل[1] بنُ إبراهيم إلى أَخيه إسحاق بن إبراهيم ، عليهم السلام ، يطالبُه بميراثهِ عن أبيه إبراهيم عليه السلام فقال : أما ترضى وأنتَ ابن أَمَتِنا أن لا نَسْتَعْبِدَكَ حتى تأتيَ وتطلبَ ميراثاً ؟ ! فأوحى اللهُ إلى إسماعيل : وعِزَّتي وجَلالي لأُخرِجَنَّ من صُلْبك مَنْ يستعبدُ أولادَ إسحاقَ إلى يوم القيامة .

٣٩٨ - قيلَ لجمعةَ الإيادية : أيُّ الرِّجال أحبُّ إليكِ ؟ قالت : أُحِبُّ الحرَّ[2] النجيب ، السَّهْلَ القريب ، السخيَّ الأريب ، المِصْقَعَ الخطيب ، الشُّجاعَ المَهيب .

٣٩٩ - شاعر : [الطويل]

أريبٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ لا مِنْ غَضاضةٍ ولكنَّ كِبْراً أنْ يُقالَ بهِ كِبْرُ

٤٠٠ - قيل للكلب : أنتَ تأكلُ عِظاماً وتَخْرا عِظاماً ، فأيشْ رِبْحُك[3] ؟ قال : أُدَوْلِبُ !

٤٠١ - قال فُضَيْل بن عياض : مَن لم يَصْلُحْ على تدبيرِ الله لم يَصْلُح على تدبير نفسه .

٤٠٢ - قيل لمالك بن دينار : لو تزوَّجْتَ ، قال : لو استطعتُ لطلَّقْتُ نفسي .

---

٤٠٢ العقد ٦ : ١٢٠ (لأعرابي) والإمتاع والمؤانسة ٢ : ١٢١ وزهر الآداب : ٨١٠ وربيع الأبرار : ٣٨٨/أ (٤ : ٢٨٣) .

....

١ إزاء هذه القصة في حاشية ل بخط غير خط الأصل : هذه الحكاية كذب ، لعن الله مفتريها على الله عزّ وجلّ .
٢ ل : الخير .
٣ فأيش ربحك : سقط من ل .

٤٠٣ – قال عبد الملك بن مروان : الهديَّةُ السِّحْر الحَلال .

٤٠٤ – دعا أعرابيٌّ على آخرَ فقال : صَرَّدَ الله عليك المَشْرَب ، وأفقدكَ الأقْرَب .

٤٠٥ – ودعا أَعرابيٌّ[١] فقال : إنْ كنتَ كاذباً فلا سُقيتَ هاطِلَ الدَّرّ ، ولا وُقيتَ حادثةَ الدَّهْر .

٤٠٦ – قال أعرابيٌّ لآخَرَ : لا جادَتْكَ السماءُ بِقَطْرَة ، ولا باتَتْ بِفِنائِكَ ذاتُ بَعْرَة ، ولا حَلَبْتَ ذاتَ خفٌ دَرَّة ، فأَماتَكَ اللهُ بهمٍّ وحسرة[٢] ، باذلاً خيار الأُسْرة[٣] ، ولا درأ عنك من ذي شرٍّ شَرَّه : إنْ كنتَ ظلمتني مُدَّ شَعيرٍ أو صاعَ بُرّ .

٤٠٧ – قيلَ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحيمِ ﴾ (النّمل : ٣٠) ، أي أنّه مَنْ تَعْلَمُونَ ؛ وقيلَ في قوله تعالى : ﴿ وَتَرى النَّاسَ سُكَارَى وما هُمْ بِسُكَارَى ﴾ (الحج : ٢) ، فلما عُرِفَ المَعْنى حُمِلَ على أن قوله : « تَراهُمْ سُكَارَى » من الهَوْلِ وليسُوا بسُكارى من الشُّرب ؛ وقوله : ﴿ لا يَمُوتُ فيها ولا يَحْيَا ﴾ (طه : ٧٤) ، لا يموتُ مَوْتَ الراحة ، ولا يَحْيا حياةَ المَنْفَعَة .

٤٠٨ – وقال بعضُ العلماء : يقومُ الشيءُ مَقامَ الشيء ، منه قولُهُم : إسْحاقُ ذَبيحُ اللهِ ولم يُذْبَح قال : ﴿ واللهُ وَرَسُولُهُ أحقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ (التوبة : ٦٢) ، ولم يَقُلْ يُرْضوهُما إذْ كان في رضاهُ رضَى رسوله .

---

١ ل : ودعا آخر .
٢ ل : وأثابك الله بالهم والحسرة .
٣ باذلاً . . . الأسرة : سقط من ل .

٤٠٩ - سُئل عمرو بن عُبَيْد عن النَّبيذِ فقال : إنَّ الأشياءَ المألوفةَ والمعروفةَ والمأكولةَ والمشروبةَ وجميعَ الأغذيةِ حلالٌ حتى يجيءَ ما يُحَرِّمُها ، وليستْ بحرامٍ حتى يجيءَ ما يُحَلِّلُها ، وكانتِ الخمرُ حَلالاً حتى جاءَ ما حَرَّمَها ، فإنْ وجدنا في غيرها مثلَ ما وجدنا فيها فسبيلُه سبيلُها ، وإلّا فالحرامُ حرامٌ والحَلالُ حَلالٌ ؛ إنَّ اللهَ تعالى حَرَّم الخمرَ لِعِلَلٍ مَعْروفةٍ وعِلَلٍ مجهولة ، فلذلك صار تحريمُها تعبُّداً ، وقد وجدنا مُسْكرةً في وقتٍ هي فيه حلالٌ ومُسْكرة في الوقت الذي يَليه وهي فيه حرام ، ولم يُحِسُّوا[1] من طبائعهم تغيُّراً ، ولو كانتِ العلَّةُ الإسكارَ وما يصنعُ السُّكْرُ في الأموالِ وما يُحْدِثُ منَ الشّغل عن الصلاةِ والذِّكْر لكان هذا[2] موجوداً في طَبْعِها[3] وطبائعِ شاربيها قبل تحريمها ، فدلَّ ذلك على أنَّها حُرِّمَتْ لِعِلَلٍ مجهولةٍ كما حُرِّمتْ لِعِلَلٍ مَعْلومة ، ولا يَقيسُ على المجهول إلَّا جاهلٌ .

٤١٠ - وقال : الحرامُ حَرامان : حَرامٌ في حجةِ العَقْلِ[4] وحرامٌ في حجَّة السَّمْع ، فالذي في حجّة العقل على[5] ضَرْبَيْن : أَحَدُهُما حرامٌ بعَيْنِه وفي عَيْنِه فقط ، والآخَرُ حَرامٌ لعلَّةٍ مركَّبَةٍ فيه ؛ فالحرامُ في عَيْنِه كالكذبِ والظُّلْمِ وما لا يجوزُ أن نَنْتقِلَ عنه أبداً ، والحرامُ الآخرُ كذَبْحِ البَهائم وذبح إبراهيمَ لإسحاق ، لأنّ الذي حرَّمه[6] على الإنسان عَجْزُهُ عن تعويض المذبوح وأنه ليس له امتحانٌ غَيره بشيءٍ يُحدثه[7] ، ولا نعرفُ مقاديرَ الامتحان ومصالحه ، فلمّا أمر به مالكُ التعويض والذي له أن يَمْتَحِنَ ويعرفَ ظاهرَ المصلحة وباطِنَها حَسُنَ ذلك وجازَ .

---

١ ل : يخشوا .
٢ ل : قصداً .
٣ ل : طبائعها .
٤ ل : الفعل .
٥ ل : وهو على .
٦ ل : جرَّه .
٧ ل : يجده .

قال : والحرامُ في السَّمْع على ضَرْبَيْن : منصوصٌ ومُسْتَخرَجٌ ، فالمنصوصُ على ضربَيْن : منه حَرامٌ [لغير علّةٍ ومنه حَرامٌ] لِعِلَّةٍ ، فما كان مِنْهما [لغير علّةٍ] لم يكن لأحدٍ أن يقيسَ عليه ، وليس فيه متعلّق ، وما كان ذا علَّةٍ فالقياس أنّ كُلَّ شيءٍ فيه تلك العلَّةُ أنَّه حرامٌ مثله .

٤١١ – قيل لهِند[١] : أيُّ الرجال أحبُّ إليك ؟ قالت : أُحِبُّ الرَّحْبَ الذِّراع ، الطويلَ الباع ، السَّخيَّ النفَّاع ، المُمْتَنِعَ الدفَّاع ، الدَّهْثَمَ[٢] المُطاع ، البطلَ الشُّجاع .

٤١٢ – قال الهَيْثَم بن عَديّ : زار رجلٌ عمرَ بنَ عُبَيْدِ[٣] الله بن معمر القرشي وهو على فارس فلم يَحْلَ منه بطائلٍ ، فأنشد يقول : [الطويل]

رأيْتُ أبا حَفْصٍ تجهَّم[٤] مَقْدَمي ⁂ ولَطَّ بقولي عذرةً أو مُواربا
فلا تَحْسَبَنِّي إن تجهَّمْتَ مَقْدمي ⁂ أرى ذاكَ عاراً أو أرى الخيرَ ذاهبا
ومثلي إذا ما بلدةٌ لم تُواتِه ⁂ تَرَحَّلَ عنها واستدامَ المَعاتِبا

ثم مَضى ، فبلغتِ الأبياتُ ابنَ مَعْمَر ، فردَّه وقال له : ما حَمَلَكَ على هذه الأبيات ؟ أبيني وبينَكَ قَرابة ؟ قال : لا ، قال : فَصِهرٌ ؟ قال : لا ، قال :

---

٤١٢ وردت الأبيات والقصة في الجليس الصالح ٢ : ٤٣٣ . والمقصود هو عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي أحد كبار القوّاد ممن حارب الخوارج . توفي سنة ٨٢ (انظر أخباره في تاريخ الطبري) ؛ وقاصده هنالك هو أنس بن زنيم وقوله له : «كنت أجلس بين يديك فأسمع حديثك وأنشر محاسنه وأطوي مساويه . . .» الخ كما جاء هنا .

---

١ ل : لهندي .
٢ الدهثم : ذو الأخلاق الدمثة .
٣ ل : عبد .
٤ ل : عشية .

فجِوارٌ؟ قال : لا ، قال : فذِمامٌ؟ قال : نعم ، قال : ما هو؟ قال : كنتُ أدخلُ المسجد كلَّ جمعةٍ فأتخلَّلُ الصفوفَ حتى آتيَ صَفَّكَ فأجلسُ إلى جانبك ، قال : لقد مَتَتَّ بمَا يُحْفَظ ، كم أقمتَ ببابي؟ قال : أربعينَ ليلةً ، فأمر له بأربعينَ ألفِ درهمٍ وكَساه وحَمَلَهُ ، فقال : [الطويل]

جزى اللهُ خيراً والجزاءُ يكفُّهُ   عن الزّورِ يأتيه الجوادُ ابنُ مَعْمَرِ
تذمَّمَ إذ عاتبتُهُ ثم نالني   بمَا شئتُ من مالٍ وبُرْدٍ مُحَبَّرِ

٤١٣ – قيل لجمعة : أَيُّ السَّحاب أحسن؟ قالت : زَجِلٌ ركام ملتفّ ، أسْحمُ وحافٌ مُسِفّ ، يَكادُ يَمسُّه من قامَ بالكفّ .

٤١٤ – شاعر : [البسيط]

أما ترى الأرضَ قد أَعْطَتْكَ عُذْرَتها   مُخْضَرَّةً[1] واكتسى بالنَّوْر عاريها
فللسماءِ بُكاءٌ في جَوانبها   وللربيعِ ابتسامٌ في نَواحيها[2]

٤١٥ – مضرِّسُ بن رِبْعي : [الوافر]

وفِتْيانٍ بَنَيْتُ لَهُمْ خِباءً[3]   على قوسَينِ طمَّاحاً نَزُوحا
كأنَّا رابطُون به فَلُوًّا   شديدَ النَّزْوِ قمَّاصاً رَمُوحا
تُبَوِّئُهُ وتَهتكُهُ علينا   سَمُومٌ تَسْفَعُ الوَجْه الوَضوحا
فلمّا أن تَمَشّى النَّوْمُ فيهمْ   وكانَ النَّوْمُ عندهُمُ رَبيحا

---

٤١٣ بلاغات النساء : ٦١ .
٤١٤ ورد البيتان في الجزء الثاني من البصائر ، الفقرة : ٣٥٨ .

....

١ ل : بخضرة .
٢ البصائر (٢) : في حدائقها . . . في حواشيها .
٣ ل : بنيت تهز منا .

هتكتُ سَماءهُ والظلُّ آزٍ[1] وما أنْظَرْتُهُ حتى يَسيحا

آزٍ : أي مرتفع .

٤١٦ – قال ابن المعتزّ في مُخاطبة بعض أصحابه : لو كُنْتُ أعلمُ أنَّك تحبُّ معرفةَ خَبَري لم أبخَلْ به عليك ، ولو طمعتُ في جَوابك لسألتُ عن خبرك ، ولو رجوتُ العُتْبى منك لأكثرتُ عتابك ، ولو ملكتُ الخواطرَ لم آذن لنفسي في ذكرك ، ولولا أنْ يضيعَ وصفُ الشوق لأطلتُ به كتابي ، ولولا أنَّ عزَّ السُّلطان يشغلكَ عنّي لشَغَلْتُ سُروري به ، والسلام .

٤١٧ – أنشد المرزباني : [الوافر]

فَلَوْ أنّي اَستَزَدْتُك فوْقَ ما بي من البَلْوى لأعْوَزَكَ المزيدُ
ولو عُرِضَتْ على المَوْتَى حَياتي بعَيْشٍ مِثْلِ عَيْشي لمْ يريدوا

٤١٨ – قيل لهند[2] : أيُّ السحاب أَحَبُّ إليك ؟ قالتْ : أحِبُّ كلَّ صَبيبٍ دَلّاح[3] ، مُثْعَنْجِرٍ[4] نَضّاح ، متجاوبٍ نَوّاح ، كأنَّ بَرْقَهُ مصباح .

٤١٩ – قال المفجَّع : تفاخَرَ رجلانِ من بني هلال فقال أَحَدهما : واللهِ الذي لا إله إلّا هُوَ ما اتخذتُ في إبلي قطُّ عصاً غير هذه مُذْ كنتُ فيها ، فقال الآخر : تعسْتَ ، والذي لا إله إلّا هُوَ ما اتخذتُ في إبلي عَصاً قطُّ . وأمّا قولُ

---

٤١٦ نثر الدرّ ٣ : ٥٣ (٣ : ١٤٧ ط) ورحلة النهروالي : ١٥٥ .
٤١٨ بلاغات النساء : ٦١ .

....

١ ل : آن .
٢ ل : لهندي .
٣ السحابة تدلح في مسيرها من كثرة مائها .
٤ المثعنجر : المنصبّ .

الشاعر[1] : [الرجز]

صُلْبُ العَصَا بالنَّخْسِ قد دَمَّاها إذا أرادَتْ رَشَداً أغواها

تحسبُهُ من إلفهِ أخاها

فإنه يَعْني بالعَصَا ها هُنا نَفْسَهُ ، يُقال : فلانٌ صُلْبُ العَصَا إذا كانت فيه بقيَّةٌ من قوة ، وقال : الرَّشيدُ والغَويُّ ضَرْبان من النبت ، فيقول : إذا رَعَتْ هذا عطفَها إلى هذا مخافةَ أن تبشم .

٤٢٠ – قال المفجَّع : يُقال : بَعيرٌ جَذَعٌ – بالجيم والذال – الذي رُكِبَ صغيراً فقطعه ذلك عن النّماء وأَوْهَنَهُ ، ولا يكادُ جِسْمُه ينمي .

٤٢١ – ويقالُ : مَحْوىً وحِواء[2] ، مثل حَوىً وأَحْوِيَة للموضع الذي يجتمعون فيه .

٤٢٢ – وكان يُقال : اثنانِ لا يجتمِعان : القُنُوع والحَسَد ، واثنان لا يفترقان أبداً : الحرصُ والفُجُور .

٤٢٣ – قيل لجمعة : أيُّ الخيل أحبُّ إليك ؟ قالت : أُبغضُ كلَّ بليد ، وَارِمِ الوَريد ، لا يُنْجيك هارباً ، ولا يُظفرك طالباً ، ولا يسرُّك شاهداً ولا غائباً .

٤٢٤ – وقيل لها : أيُّ النُّوق أحبُّ إليك ؟ قالت : كلُّ ناقةٍ عُلْكُومٍ[3] ،

---

٤٢٣ بلاغات النساء : ٦٠ .

٤٢٤ بلاغات النساء : ٥٩ .

....

١ ورد الرجز في كتاب العصا : ١١٨ منسوباً للراعي .

٢ ل : ومحاه .

٣ ل : علكوت ، والعلكوم من الإبل : الصلب الشديد .

عَلَنْداةٍ كتومٍ[1] ، مثلِ البَازِل المجْجومِ[2] ، القَطِم العَيْهُومِ[3] .

٤٢٥ – كاتب : الوعدُ نافلةٌ والإنجازُ فريضة ، فلا تفرضَنْ[4] على نفسكَ وعداً لا تَنْوي إنجازَهُ ، فيعودَ ما طلبتَ مِنَ المحمدةِ ذَمًّا ، ومن المُصَافاةِ مُعاداةً ، فإنَّ الأول يقول : وفُورُ العِرْضِ خَلَفٌ من اكتسابِ المالِ والذمّ ، وقد تعرَّضَ للذَمِّ مَنْ تَبَرَّعَ بالمواعيد .

٤٢٦ – قال رجلٌ لأعرابيٍّ من بني عُذرة : ما بالُ قلوبكم كأنَّها قُلوبُ طيرٍ تَنْماثُ في الهَوى كما يَذوبُ المِلْح في الماء ؟ قال : لأنَّا واللهِ نَرى محاجرَ أعيُنٍ لا تَرَوْنَها .

٤٢٧ – وقيل لبخيل : مَن أشجعُ الناس ؟ قال : مَنْ يَسْمعُ وَقْعَ أضراسِ النّاسِ على طَعامه ولا تَنْشَقُّ مَرارَتُهُ .

٤٢٨ – كاتب : عَزِّ نفسَكَ بمَا تُعزِّي به غيرَك ، واستقبحْ مِنْ فِعْلكَ ما تستَقْبِحُهُ مِنْ مِثْلك ، وتناولْ حَظَّكَ إذا قَرُبَ منكَ قبل أن تطلبَهُ وقد نأى عنك ، واعلمْ أنَّ أَمَضَّ المصائبِ فَقْدُ سُرورٍ وحِرْمانُ أجْر ، فكيف إذا اجتَمعا معَ اكتسابِ وِزْر؟

---

٤٢٦ عيون الأخبار ٤ : ١٣١ .
٤٢٧ ربيع الأبرار : ٣٢٦ ب (٣ : ٧١١) والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ١٠٠٢ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ١٦٢) ولقاح الخواطر : ٦١ ب والمستطرف ١ : ١٧٢ .

....

١ ل : كوت (دون إعجام للتاء) ؛ والعلنداة : الناقة الضخمة الطويلة ؛ والكتوم : التي لا تشول بذنبها عند اللقاح ولا يعلم بحملها .
٢ المجوم : الجسيم .
٣ العيهوم : الجمل السريع .
٤ ل : تعرض .

٤٢٩ – كاتب : الصبرُ يُنْجِزُ لكَ المَوْعود ، والجزَعُ لا يَرُدُّ عليكَ المَفْقود ، فَلْيَسبقْ صبرُك جزَعَكَ ، تَسْلمْ من المصيبةِ بالأجر ، وإلّا رجعتَ[١] إليه بعد الفَوْت حَسيراً .

٤٣٠ – قال بعضُ الحكماء : العلومُ ثلاثة : علمٌ يَرفع ، وعِلْمٌ يَنفع ، وعلمٌ يُزَيِّن ؛ الرافعُ الفِقْه ، والنَّافِعُ الطِّبّ ، والمزيِّنُ الأدب .

٤٣١ – كان بمَرْوَ قاصٌّ جيّدُ الكلام ، فكان إذا طالَ مجلسهُ بالبكاء يُخرِجُ من كُمِّهِ طُنْبُوراً صغيراً وينقرهُ ويقول : مع هذا الغمِّ الطويل يُحتاجُ إلى فَرَحِ[٢] ساعة .

٤٣٢ – سمعتُ بعضَ المشايخ يقول : فَعِيل يكون بمعنى فاعل ، وربّما اشتركا فيه وربّمَا غَلَبَ فَعيل ؛ فممّا يشتركانِ فيه : ضَمِنَ فهو ضامِنٌ وضَمينٌ ، ورشدَ فهو راشِدٌ ورشيدٌ ، وعَلِمَ فهو عالمٌ وعليمٌ ؛ وربّمَا غلبَ عليه فقيل : كثُر فهو كثير ، وقلَّ فهو قَليل ، وصَحَّ فهو صَحيح ، ومرضَ فهو مَريض ، وعتقَ فهو عَتيقٌ .

ويكون فَعِيل بمعنى مَفْعُول : فهو خضِيبٌ ودَهِينٌ وكَحِيلٌ وقَتِيلٌ ولَدِيغ ، فأمّا السَّليمُ فليس من هذا . وهذا الجنسُ إذا كان فيه نعتُ المؤنث لم تَلْحقْهُ الهاءُ ، وإنّمَا لم يُلحقوها به لأنّهم عَدَلُوهُ عن مكحولة ومَدْهونة . وقد كانتِ الهاء سبقت إلى فَعيل الذي يشاركُ فاعلاً ، في مثل مَريضة وضَمينة ، فَحَذفوها ،

---

٤٣١ عيون الأخبار ٤ : ٩١ والمستطرف ١ : ١٠٠ ، وهذا الذي يقوله هو ترجمة لما يغنيه بالفارسية : « با إين تيمار بايد أندكي شادي » ، وربيع الأبرار : ٣١٢ ب (٣ : ٥٩٣)

....

١ ل : رجعنا .
٢ ل : فرحة .

وهذا لِيُفرِّقوا بينهما ، فإنْ لم يُذكَّر المؤنث قيلَ : هذه قبيلة بني فُلانٍ ، فلحقَتْها الهاءُ وقد جاء بغير هاء . ويكونُ اسماً غيرَ مشتقٍّ مثل : شَعير وقَفير وبَعير وجَريب ونَصيب ، ويقع فيه ما أصله مشتقّ فيجري مجرَى الاسم المَحْض مثل : قَليب ، كأنها سُمّيَتْ لأنه قلب ما أُخرجَ منها ، ثم صار اسماً لازماً[1] . ويكون مصدراً في الأصواتِ وغيرها مثل : نَهيق وشَحيج وصَهيل وصَريف وخَبير ورَجيب . ويكون بمعنى الجمع وهو قليل مثل : حَمير ونَفير ومَعير . ويكون بمعنى مفاعل ، وهو من المعارضة في مثل : شَبيه ونَظير وعَديل وقَرين ، ومنه : شَريك وأَكيل وشَريب وقَسيم .

ويكون بمعنى مُفْعِل نحو قوله : ﴿ بديعُ السَّماوات ﴾ (البقرة : ١١٧) يعني : مُبدِعُ ، وكقول عمرو بن مَعْدي كَرِب[2] : [الوافر]

* أَمِنْ رَيْحانَةَ الداعي السَّميعُ *

قال أهلُ اللغة : أَراد المُسْمِع ، وقال أبو عُبَيْدة في ﴿ عذابٍ أليم ﴾ (البقرة : ١٠٤) : أي مُؤْلم .

ويكون بمعنى مُفْعَل مثل : عَقيد ، فإنهم يقولون : أعقدتُ العَسَلَ فهو مُعْقَدٌ ، وحَبْلٌ بَريمٌ أي مُبْرَمٌ ، وعَتيد أي مُعتَد .

ويكون بمعنى مُفَعَّل مثل : وكلتُهُ فهو وَكيلٌ ومُوَكَّلٌ ، ومن هذا قيل : موسى كليمُ الله ، وكذلك جَرِيءٌ في معنى وَكيل ، لأنَّك جَرَّأْتَهُ على خَصْمه .

ويكون بمعنى مُسْتَفْعَل ، مثل : استُوزِر فهو وَزِير ، واستُشْهِدَ فهو شَهيد ، واستأجرتُ أجيراً فهو أَجير .

ويكون بمعنى مُفْتَعَل مثل : صَفيّ من مُصْطَفَى ، وعميد من مُعْتَمَد .

....

١ ل : لاضقاً .

٢ صدر بيت ، وعجزه : يؤرقني وأصحابي هجوع ، انظر ديوان عمرو : ١٣٦

ويكون بمعنى مفعول اسماً لازماً مثل : فَريسَةُ السَّبُع ، وأَكيلَةُ الذئب ، والذَّبيحةُ : الشَّاةُ تُعَدُّ للذَّبْح ، والبَكيلةُ : تَمْر يُخْلَطُ بلبنٍ ، والرَّبيكَةُ : دقيقٌ يُخْلَطُ مع لبنٍ وتَمر ، والسَّبيخَةُ : القطعةُ الملفوفةُ من القطن المَنْدوفة ، ومثلها من الشَّعر القليلة . ويجوز أن تكون فَريسة بمعنى مُفْتَرَس ومُفْتَرَسَة كالذخيرة بمعنى مُدَّخرة .

ويكون بمعنى فعال مثل : عَقيم وعَقام ، وبَخيل وبَخال ، وكَهيم وكَهَام .

ويكون مُشاركاً لِفَعِل مثل : لسانٌ ذَلِقٌ وذَليق ، وبَهِجٌ وبَهيج ، ولَبِقٌ ولَبيق ، وشَنِعٌ وشَنيع .

ويقع موقع المَصْدر : كالحَريق والوَعيد .

ويكون واحداً وجمعاً في الصِّفات مثل : صَديق ورَفيق ، وقد يُجْمَع ، قال اللهُ تعالى : ﴿وحَسُنَ أولئكَ رَفيقاً﴾ (النساء : ٦٨) .

ويكونُ نَعتاً ، فإذا أخبرتَ أنَّكَ قد دخلتَ تَحْتَهُ ولحقتَ بأهله ضَمَمْتَ عَيْنَ الفعل ، تقول : فقُهْتُ وعَلُمْتُ ؛ وإذا أخبرتَ أنَّك علمتَ شيئاً بعينهِ أو أشياءَ قلتَ : قد علمتُ ذلك .

ويكونُ بمعنى جَمْعٍ مشتقٍّ من اسمهِ مثل : عَدِيٍّ وذَكيٍّ وعَرِيٍّ[1] ونَجِيٍّ ، قال اللهُ تعالى : ﴿خَلَصُوا نَجيًّا﴾ (يوسف : ٨٠) .

٤٣٣ — مَرَّ الفرزدق بخالد بن صَفْوان فقال : يا خالد ، لو رأَتْكَ بنتُ شُعَيْب ما قالت : ﴿يا أَبَتِ استأجِرْهُ ، إنَّ خيرَ مَنِ استأجَرْتَ القويُّ الأَمين﴾ (القصص : ٢٦) ، قال : وأنت يا أبا فراس ، لو رَأَيْنَكَ صُوَيْحِبات[2] يُوسف

---

٤٣٣ عيون الأخبار ١ : ٣١٦ والعقد ٤ : ٤٢ والإمتاع والمؤانسة ٣ : ١٦٨ ونور القبس : ٢٠٤ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٨٣ وغرر الخصائص : ٢٠٤ .

....

١ ل : وغوي .
٢ ل : رأتك صواحبات .

لما أكبَرْنَكَ ولا قَطَّعْنَ أَيدِيَهُنّ .

٤٣٤ – لجميل بن مَعْمَر : [الطويل]

هواكِ بقلبي يا بُثَينَةُ كالذي أناخَ فأحْيا العِرْقَ وهو دَفينُ

الذي أَناخَ المطر ، والعِرْقُ : عِرْقُ النَّخْلَةِ والشجرِ والزَّرْعِ وغير ذلك .

٤٣٥ – قيلَ لحمَّاد الرَّاوية : أما تشبَعُ من هذه العلوم ؟ فقال : استفرغنا المَجْهود ، فلمَّا بلغنا المحدود ، كُنَّا كما قال الشاعر : [الرجز]

* إذا قَطَعْنا عَلَماً بدا عَلَمْ *

٤٣٦ – ابنُ الأعرابيّ قال : قِيلَ لبعض أعْرابِ بَلْحارث بن كَعْب : ما البلاغة ؟ قال : السَّلاطَةُ والإِصابةُ والجزالة ؛ أراد بالسَّلاطة : الجرأة على الكلام .

٤٣٧ – وأنشد : [الطويل]

ولمّا[1] عَصَيْتُ العاذِلِينَ ولم أُبَل مقالَتَهُمْ أَلقَوْا على غارِبي حَبْلي

وهازِئَةٍ منّي تَوَدُّ لَوِ ٱبنُها[2] على شِيمَتي أو أنَّ قَيِّمَها مِثْلي

٤٣٨ – ويقال : شيئانِ لا يَتَّفقان أبداً : الحِرْصُ والقِحَةُ . ولستُ أعرفُ معنى هذا الكلام لأني لا أرى حريصاً إلّا وقحاً .

٤٣٩ – ويقال : المقدَّمُ في الحِذْق مُتَأخِّرٌ في الرِّزْق .

---

٤٣٨ قارن بما تقدم رقم : ٤٢٢ .

....

١ ل : فلما .
٢ ل : لو انها .

٤٤٠ – قيل لحكيم : ما البلاغة ؟ قال : تصحيحُ الأَقسام واختيارُ الكَلام .

٤٤١ – كان أبو حَيَّةَ النُّمَيْريّ كذّاباً ، قال مرةً : رميتُ ظَبْيَةً فلمَّا نَفَذَ السهمُ ذكرتُ حبيبةً لي شبَّهْتُها[1] بها فتبعتُ السَّهْمَ فأخذتُهُ .

٤٤٢ – وقال مرةً أخرى : عَنَّ لي ظَبْيٌ فرميتُهُ فراغَ عن سَهْمي فعارَضَهُ ، فراغَ ثانيةً فلم يزَلِ السَّهْمُ يُراوِغُهُ حتى صرعَهُ ببعض الخَبارات[2] .

٤٤٣ – شاعر : [الكامل]

بَانَ الشَّبابُ وكلُّ شيءٍ بائنُ ... والمرءُ مُرْتَهَنٌ بما هُوَ كائنُ
ظَعَنَتْ به أيّامُهُ وشُهورُهُ ... إنَّ المقيمَ على الحَوادِثِ ظاعِنُ
ذَهَبَ الشبابُ وغاضَ ماءُ فِرِنْدِهِ ... فاليومَ منهُ كلُّ صافٍ آجِنُ
دَرَسَتْ مَحَاسِنُهُ وطارَ غُرابُهُ[3] ... ولقد تكونُ لهُ عليكَ مَحاسِنُ
خانَ الزّمانُ أخاكَ في لَذّاتِهِ ... إنَّ الزّمانَ لكلِّ حُرٍّ خائنُ

٤٤٤ – قال يونس : لو أُمِرْنا بالجزَع لصَبَرْنا ، واعلم أنّ هذه الأمور لا

---

٤٤١ البيان والتبيين ٢ : ٢٢٩ وعيون الأخبار ٢ : ٢٧ .
٤٤٢ البيان والتبيين ٢ : ٢٢٩ وعيون الأخبار ٢ : ٢٧ ومحاضرات الراغب ١ : ١٢٤ .
٤٤٤ ربيع الأبرار ٢ : ٥٢٠ (ليونس بن عبيد) .

....

١ ل : فشبهتها .
٢ الخبار : الأرض اللينة .
٣ في طيران غراب الشباب معنيان : أولها أن الغراب أسود فطيرانه يعني ذهاب الشعر الأسود وحلول الشيب محلّه ، والثاني أن وقوع الغربان إنما يكون على الأشجار والآجام ، وهذا يدلُّ على الخصب ، فطيران غراب الشباب بحسب هذا التصوّر يفيد الذبول والتصوّح ، وعلى حسب المعنى الأول قال الآخر : طار عن لمتي غراب شبابي ، انظر الفقرة : ٥٥٦ في ما يلي .

تُمْلَكُ ولا تُدْرَكُ إلّا برحبِ الذِّراع .

٤٤٥ – ويقال : لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما تباينوا ، فإذا تَساوَوْا هلَكوا .

٤٤٦ – يقال : إنَّ مع الثَّرْوَةِ التَّحاسُدَ والتَّخاذُل ، ومع القِلَّةِ التَّحَاشُدَ والتَّناصُر .

٤٤٧ – قال طُرَيْح : [البسيط]

إنْ يَعْلموا الخيرَ يُخْفُوهُ وإنْ عَلِموا ... شرًّا أُذيعَ وإنْ لَمْ يَعْلموا كذَبُوا

٤٤٨ – قال أعرابي : مَنْ عابَ سِفْلَةً فقد رفَعَهُ ، ومن عابَ شَريفاً فقد وَضَعَ مِنْ نفسِهِ .

٤٤٩ – شاعر : [المتقارب]

يُؤَمِّلُ حُسْنَ الثَّناءِ البَخيلُ ... ولم يَرْزُقِ اللهُ ذاكَ البَخيلا
وكيفَ يَسُودُ أَخُو بِطْنَةٍ ... يَمُنُّ كثيراً ويُعطي قَليلا

٤٥٠ – شاعر : [الكامل]

نُعْماكَ في عُنُقِ الزَّمانِ قِلادةٌ ... وعلى يَمينِ الجُودِ مِنْكَ سِوارُ
رَسَخَ امتداحُكَ في ثَرَى أكبادِنا ... وكأنَّ مَدْحَكَ بَيْنَنا اسْتِغْفارُ

---

٤٤٥ عيون الأخبار ٢ : ٢ وبهجة المجالس ١ : ٦٤٩ .

٤٤٦ نثر الدرّ ٦ : ٢١ : « مع القرابة والثروة يكون التناكر والتحاسد ، ومع الغربة والخلة يكون التناصر والتحاشد » .

٤٤٧ هو طريح بن إسماعيل الثقفي ، من شعراء العصر الأموي ، وله ترجمة في الأغاني ٤ : ٣٠٤ ومعجم الأدباء ١٢ : ٢٢ (ط. دار المأمون) والشعر والشعراء : ٥٦٨ والسمط : ٧٠٥ ؛ وبيته هذا في الأغاني والشعر والشعراء وربيع الأبرار ٣ : ٣٨٦ .

٤٥١ – أصابَ رجلٌ رغيفَيْن وعراقين فأكلَ رغيفاً وعراقاً ، وأدركه بَنُوه وكانوا ثلاثة ، وكلهم طلبَ ما بقي وذكر حاجتَهُ ، فقال : ليصفْ كلُّ واحدٍ منكم كيف يأكلُه ، فأيُّكُم كان أعْرَفَ بأكلهِ فهو أحقُّ به . فقال الأوّل : أنا آكلُهُ حتى لا أدَعَ فيه للذَّرَّةِ مَقِيلا ، وقال الثاني : أنا آكلُهُ حتى يمرَّ به المارُّ فلا يَدْري أعَظْمُ العَامِ هو أم عَظْمُ العامِ الأوّل ، وقال الثالث : أمّا أنا فأجعل عَظْمَهُ إداماً للحمهِ ، فقال له : أنت صاحبُهُ .

٤٥٢ – قال أعرابيّ : الجلل[1] الذاهبُ عن المقدار صِغَراً أو كِبَراً[2] .

٤٥٣ – شاعر يمدح الفضل بن يحيى : [الطويل]

مَضَى الفَضْلُ والإسلامُ والبأسُ والنّدَى ... غداةَ غَدا الفضلُ بنُ يَحْيَى إلى الحُفْرَهْ
فَصِرْنَ له في قَبْرِهِ مُؤْنساتِهِ ... كما كُنَّ أيّامَ الحياةِ له حَبْرَهْ
وأُلْبِسَتِ الدُّنيا قَتَاماً لِفَقْدِهِ ... وكانتْ بوجهِ الفَضْلِ ظاهرةَ النَّضْرَهْ
فقُلْ للذي يَسْعَى لِيُدْرِكَ شأْوَهُ ... لقد رُمْتَ أمْراً دونه تَحْسَرُ القُدْرَهْ

٤٥٤ – يقال : خَوّتِ النُّجومُ تَخْوِيَةً إذا انصبَّتْ لِتَغُور .

٤٥٥ – لعُتْبَةَ بن أبي لَهَب : [الكامل]

إنَّا أُناسٌ من سَجِيَّتِنا ... صِدْقُ الكلامِ ورأْيُنا حَتْمُ

---

٤٥١ قارن بما في عيون الأخبار ٣ : ٢١٤ والعقد ٣ : ٤٨٥ .
٤٥٥ عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبيّ . شهد حنيناً مع الرسول ، وكان فيمن ثبت . وتوفي في خلافة أبي بكر أو عمر (انظر الإصابة ٤ : ٢١٦ ، رقم ٥٤٠٥ ، ط. الخانجي) .

....

[1] ل : الحال .
[2] ل : وكبيراً .

٤٥٦ – شاعر : [الكامل المجزوء]

حَسْبُ الكَذُوبِ من البليَّـ ـةِ بعضُ ما يُحْكَى عليهِ
فمتى سَمِعْتَ بِكِذْبَةٍ من غيرِهِ نُسِبَتْ إليهِ

٤٥٧ – وقال الرشيد للفضل بن الرَّبيع في بعض ما كَلَّمَهُ به : كذبتَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، وَجْهُ الكذَّاب لا يُقابلُكَ ، ولسانُه لا يُقَاوِلُكَ .

٤٥٨ – قال ابن الأعرابي : يقال : قد سَوَّمَ فلانٌ غُلامَهُ تَسْوِيماً ، إذا تَرَكَه يَصنعُ ما يشاء ، وسَوَّمَ نَفْسَهُ ، وأسَامَ الرجلُ ماشِيَتَهُ ، وفلانٌ يأبَى أن يُسَامَ خُطَّةَ الضَّيْم .

٤٥٩ – ويُقال : ارْتَثَا على الرجل رأْيُهُ إذا اختلط ، أصلُهُ من رَثيئةِ اللبن ؛ وفي المثل : إنَّ الرَّثيئةَ ممّا يَفْثأُ[1] الغَضب .

٤٦٠ – قال كسرى : الرأيُ الحزمُ[2] ، فإذا وَضَحَ الحزمُ فاعزم .

٤٦١ – قيل للشَّامِ شَامٌ لأنه شَام[3] الكَعْبَة ، وبكَّة[4] ، قيل إنَّ الأصل هو الباء لأنَّ النَاس يَبُكُّ بعْضُهُم بَعْضاً ، يقالُ : ابتكَّ القومُ : إذا ازدحموا ، ومنىً

---

٤٥٦ البيتان في ربيع الأبرار ٣ : ٦٤٥ .
٤٥٧ محاضرات الراغب ١ : ١٢١ وربيع الأبرار : ٣١٨ ب ونزهة الظرفاء : ٤/أ .
٤٥٩ ورد المثل : ان الرثيئة تفثأ الغضب في فصل المقال : ٢٤٩ وجمهرة العسكري ١ : ٤٧٧ .
٤٦١ في الحديث عن تجمير المسلمين انظر مسند أحمد ١ : ٤١ وفيه : «لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمّروهم فتفتنوهم . . .» .

....

١ ل : ما بعد .
٢ ل : روى تخرم .
٣ ل : لأنها شامة .
٤ ل : ومكة .

لما يُمْنَى فيه من الدم ، والجمرات : لما يُجْمَعُ فيها من الحَصَى ، والتَّجْميرُ : الاجتماعُ ، ومنه : لا تُجَمِّروا المسلمينَ فتفتِنُوهُم وتَفْتِنوا نساءهم ، أي لا تجمعُوهم في المَغازي ، ولكن ليخلفْ قومٌ قوماً .

٤٦٢ - قال أبو عُبَيْدة في قوله : ﴿إنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأرْض﴾ (الإسراء : ٣٧) : أي لن تقطعَ الأرض ، والخَرْقُ : القطع[1] .

٤٦٣ - وأنشد : [الكامل المجزوء]

لله قومي معشراً أفنَوْا عَدُوَّهُمُ اَصطِلاما
لا يتركونَ لوارثٍ إلَّا سِناناً أو حُساما
أو مُقْرَباتٍ بالقَنا تَمْريهمُ عاماً فعاما
ما ذاكَ من عُدْمٍ بهم لكنَّهُمْ خُلِقوا كِراما

٤٦٤ - وَلَّى الحجّاجُ بن يوسف وهرامَ بن يَزداد[2] أصْفهان ، وكان ابنَ عمِّ كاتبه زاذان فرّوخ[3] المجوسي ، فكتب من أصفهان إلى الحجّاج كتاباً وَصَفَ له فيه اختلالَ حالِ أصفهان ، وسَأله النَّظَرَ إليهم بنَقْصِ خَراجهم[4] ، فكتب إليه الحجّاج : أمّا بعد ، فإني استعملْتُكَ يا وَهْرام على أصفهان ، أوسعِ المملكةِ

---

٤٦٤ في لطائف المعارف : ١٨١ وثمار القلوب : ٤٢٧ ومعجم البلدان (أصبهان) أن الحجاج قال في كتابه لعامله : قد وليتك بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران . وزاذان فروخ بن بيرى كاتب الحجاج ، كان يكتب بين يديه بالفارسية والعربية ، وكان خفيفاً على قلب الحجاج ، انظر الفهرست : ٣٠٣ .

---

١ أي . . . القطع : موضعها في ل « من الخرق » .
٢ ل : وهزان بن فرداد (وهزان حيثما ورد) .
٣ ل : بن فريع .
٤ ل : حوائجهم .

رُقْعَةً وعَمَلاً ، وأكثرها خَراجاً بعد فارس والأهواز ، وأزكاها أرضاً ، حَشيشُها الزَّعْفرانُ والوَرْد ، وجَبَلُها الفضَّةُ والإِثْمد ، وأشجارُها الجَوْزُ واللَّوْزُ والكرومُ الكريمةُ والفواكِهُ العَذْبَة ، ذُبابُها عواملُ العَسَل ، وماؤها فُرات ، وخَيْلُها الماذياتُ[1] الجِياد ، أَنظفُ بلادِ اللهِ طَعاماً ، وألطفها شراباً ، وأَصحُّها تُراباً ، وأوفقُها هَواءً ، وأَرخصُها لحماً ، وأَطْوَعُها أهلاً ، وأَكثرُها صَيْداً ، فأَنَخْتَ يا وهرامُ عليها بكَلْكَلِكَ حتى اضطرَّ أهلُها إلى مَسْأَلَتِكَ ما سألتَ لهم ، لتفوزَ بمَا[2] يوضعُ عنهم ، فإنْ كانَ ذلك باطلاً – ولا أُبْعِدُكَ عن ظَنِّ السوءِ – فزدْ وتعلَّم[3] ، وإنْ صَدَقْتَ في بعضهِ فقد أَخْربتَ البلاد ؛ أتظن[4] يا وهرام أنّا نُنْفِذُ لك ما[5] مَوَّهْتَ وسخرتَ من القولِ وقعدت تُشير علينا به ؟ فعضَّ يا وهرام على هَنِ أبيك[6] وحرِ أُمِّك ، وَايْمُ الله لتبعثنَّ إليَّ خَراجَ أَصفهان كُلَّهُ وإلّا جعلتُكَ طَوابيقَ على أبوابِ مدينتها ، فاْخْتَرْ لنفسك أوْفَقَ الأَمْرَيْن أو رُدَّ ، والسلام .

٤٦٥ – قال ابن أبي فَنَن ، قال لي المتوكل : ثيابُك يا أحمد في رُزْمَةٍ أو تَخْتٍ ؟ قلتُ : في رُزْمَةٍ ، قال : لا تفعلْ فهي في التختِ أبقَى وأَنْقَى .

٤٦٦ – وقال المتوكل : ابن أبي فَنَن فأرةُ مِسْك .

---

٤٦٥ ربيع الأبرار : ٣٣١ ب (٤ : ١٤) .

....

١ ل : المادنانات (دون إعجام) .
٢ ل : ما .
٣ ل : فهو دق يعلم .
٤ ل : انظر .
٥ ل : بما .
٦ ل : حر أبيك .

٤٦٧ – قال الحسين بن الضَّحَّاك : عتبَ عليّ المعتصم فقال : واللهِ لأؤدِّبَنَّهُ ، فحَجَبَني[1] ، فكتبتُ إليه : [الكامل]

غَضَبُ الإمامِ أشَدُّ من أدَبِهْ ... وبه استعَذْتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ
أصبحتُ مُعْتَصِماً بمعتصِمٍ ... أثنى الإلهُ عليه في كُتُبِهْ
لا والذي لم يُبْقِ لي سبباً ... أرجو النجاةَ به سِوَى سَبَبِهْ
ما لي شفيعٌ غيرُ رَحمَتِهِ ... ولكُلِّ مَنْ أشْفَى على عَطَبِهْ

فالتفت إلى هارون الواثق فقال : بمثلِ هذا الكلامِ يُسْتَعْطَفُ الكِرَام .

٤٦٨ – قال محمد بن محمد بن عبَّادٍ البَصْري ، قال لي المأمون : بَلَغَني أنَّ فيك سَرَفاً ، فقلتُ : مَنْعُ المَوْجود سوءُ ظنٍّ بالمَعْبود .

٤٦٩ – لأشْجَع : [المتقارب]

تريدُ الملوكُ مَدى جعفرٍ ... ولا يَصْنَعونَ كما يَصْنَعُ
وليس بأوسعِهِم[2] في الغِنَى ... ولكنَّ معروفَهُ أوسَعُ
وكيفَ يَنالونَ غاياتِهِ ... وَهُمْ يَجْمَعونَ ولا يَجْمَعُ

---

٤٦٧ قطب السرور : ٣١٥ والأغاني ٧ : ١٦٤ ومعجم الأدباء ١٠ : ٢٢ (ط. دار المأمون) والفرج بعد الشدّة ١ : ٣٣١ وأشعار الخليع : ٣١ .

٤٦٨ التذكرة الحمدونية ٢ رقم : ٨١٨ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ١٣٢) ، وانظر تخريجه في البصائر ٥ : الفقرة ٦١٩ . وقوله : « منع الموجود سوء ظنّ المعبود » في المختار من شعر بشّار : ١٩٦ وربيع الأبرار ٣ : ٧٠٣ .

٤٦٩ الجهشياري : ٢١٥ وديوان المعاني ١ : ٦٤ والإيجاز والإعجاز : ٥٠ والشريشي ١ : ١٢٢ وأشجع السلمي : ٢٢٩ (وفيه مزيد من التخريج) .

....

١ ل : لحتني (دون إعجام للنون) .
٢ ل : لموسعهم .

٤٧٠ – آخر : [المتقارب]

وقائلةٍ لِمَ عَرَتْكَ الهمُومُ وأمْرُكَ مُمْتَثَلٌ في الأُمَمْ
فقلتُ دَعيني على غصَّتي فإنَّ الهمومَ بقدْرِ الهِمَمْ

رأيتُ هذين البيتَيْن في دفترٍ في جُلُودٍ كُتِبَ أيام بني[1] مروان ، ورأيتُ بعضَ الرؤساء[2] يَدَّعيهما ويُعْجَبُ بهما ويعجبُ له من ذلك ، فقلتُ لبعض الشُّيوخ من نُدَمائه : إنّ الحالَ فيمَا أنْشَدَ كَيْتَ وكَيْت ، فقال لي : لا تتكلَّمْ ، فإنَّا ما وَقَفْنا موقفَنا هذا قَطُّ إلّا أُسْعِطْنا المكروه ، وَحُمِلْنا على الكذب ، وَكُلِّفْنا تحسينَ القَبيحِ وتحقيقَ الباطل ، وما عَيْبُ الرئاسة إلَّا ما يَشُوبُها من هذه الخِلال الحائفةِ عليها النّاقصةِ منها ، ولو عَرَفْتَ يا بُنيَّ ما نعرفُ لما خَفَفْتَ إلى ما نَخفُّ إليه ؛ احمدِ اللهَ على ما انطَوَى عنك ، وسَلْهُ السَّلامة فيمَا بَدا لك ، واعلمْ أنَّ من أرادَ فِناءَ الرؤساءِ صبرَ على الخَشْناءِ والعَوْصاءِ .

٤٧١ – كاتب : أَظَلَّني من مَوْلاي عارضُ غَيْثٍ أخلَفَ وَدْقُهُ ، وشاقَني لائحُ غَوْثٍ[3] كذب بَرْقُهُ ، فَقُل[4] في حَرَّان مُمْحِلٍ أخطأَهُ النَّوْء ، وحيران مظلمٍ خَذَلَهُ الضَّوءُ .

هذا نَمَطٌ متكلَّفٌ .

٤٧٢ – قال أعرابيٌّ للحسن بن سهل : لا تَدَعْ إحسانَكَ عندي خِداجاً ،

---

٤٧١ نثر الدرّ ٥ : ٣٤ .

....

١ بني : سقطت من ل .
٢ هو ابن عباد ، والبيتان له في اليتيمة ٣ : ٢٧٨ .
٣ ل : غرب .
٤ ل : قشا .

ولا تخلجْ معروفَكَ إليَّ خِلاجاً ، ولا تسمني أنْ ألتَمِسَ ما قِبَلَكَ علاجاً .

٤٧٣ – قال بعض السَّلَف : أربعةُ أشياء من الدَّناءَة : إقبالُك على السِّفْلة من أجل غِناه ، وإعراضُك عن الشَّريف من أجل فقره .

٤٧٤ – قال بعض العلماء : الدلالةُ على أَنَّ اللهَ تعالى أَمَرَ إبراهيمَ بما لا يريدُهُ أنَّهُ فَداهُ بذبحٍ عَظيم .

٤٧٥ – قال أبو زيد البَلْخي في «كتاب السِّيَاسة»[1] : إنّ السِّيَاسَةَ صِناعةٌ ، ثم هي من أَجَلِّ الصِّناعاتِ قَدْراً وأَعْلاها خَطَراً ، إذ كانتْ صناعةً بها تتهيأ[2] عمارةُ البلاد ، وحمايةُ مَنْ فيها منَ العِباد ، وكلُّ صانعٍ من النّاسِ فليس يَسْتغني في إظهارِ مَصْنوعِهِ عن خمسةِ أشياءَ تكونُ عِلَلاً لها : أَحدُها مادّةٌ له آلة ومادةٌ يعمل بها ؛ والثاني صورةٌ يَنْحُو بفعلِهِ نَحْوَها ؛ والثالث حركةٌ يَسْتعينُ بها في توحيدِ تلكَ الصُّورةِ بالمادة ؛ والرابع غَرَضٌ ينصبُه[3] في وَهْمِهِ من أَجلهِ يفعلُ ما يفعلُ ؛ والخامسُ آلةٌ يستعملُها في تَحْريك المادة . ومثالُ ذلك من صناعةِ البِنَاءِ أنَّ المادةَ التي يُعْمل منها البناءُ هي التُّرابُ والطِّينُ والحجارةُ والخَشَبُ ، والصُّورةُ التي يَنْحُوها بَوَهْمِهِ صورةُ البيت ، والفاعلُ هو البَنّاءُ ، والغَرَضُ الذي من أَجْله يفعلُ سُكْنى البيت وإحرازُ ما يُحْرز فيه ، والآلةُ التي بها يعملُ هي آلاتُ البِنَاء . ومثالُ ذلك من صناعةِ الطِّبِّ أنَّ المادة التي يفعلُ بها الطبيبُ إنّما هي أجسادُ الناسِ المحتملةُ الصِّحَّةَ والسَّقمَ ، والصورةُ التي ينحوها الطبيبُ بَوَهْمِهِ إنّما هي

---

٤٧٣ من الواضح أن في النص نقصاً لأنه عدَّ شيئين وحسب من الأربعة .

....

١ ل : في كتابه في السياسة .

٢ ل : تتهوا .

٣ ل : نصبه .

الصحَّةُ ، والفاعِلُ هو الطَّبيب المُعَالِجُ ، والغَرَضُ الذي بسببهِ يفعلُ الطبيبُ إنّما هو بقاءُ[1] جسمِ المُعَالج المدةَ التي تَتَهيّأ لهُ أَنْ يَبْقاها ، والشيءُ الذي يتخذهُ الطبيب آلةً في المعالجةِ وإفادةِ الصِّحَّةِ هو كالفَصْد وسَقي[2] الأدوية . فإذا نُقِلَ هذا المثالُ إلى صِناعةِ السِّياسة قلنا : إنَّ المادةَ فيها أمورُ الرَّعية التي يَتَوَلّى الملكُ القيامَ بها ، والصورةُ فيها إنّما هي المَصْلَحَةُ التي يَنْحو نَحْوَها وهي نظيرُ الصِّحَّةِ ، لأنَّ المَصْلَحَةَ هي صِحَّةٌ ما ، والصِّحَّةُ مصلحةٌ ما ، وكذلك المَفْسَدَةُ سُقْمٌ ما ، والسّقمُ مَفْسدةٌ ما ، والفاعل هو عنايةُ المَلِكِ بمَا يُباشِرهُ من أُمورِ الرعيَّةِ ، وغَرَضُهُ فيما يفعلُهُ هو بقاءُ المصلحةِ ودَوامُها ، والشيءُ الذي يقومُ له مقامَ الآلةِ في صِناعتهِ إنّما هو التَّرْغيبُ والتَّرْهيب . وفعلُ السَّائس الذي هو نَظيرُ المعالجةِ من الطَّبيبِ ينقسمُ بكُلِّيَّتِهِ إلى قِسْمَيْن : أحدُهُما التَّعَهُّدُ والآخرُ الاسْتِصْلاحُ ؛ أما التَّعَهُّدُ فحِفْظُ المستَقيمِ وأمورِ الرَّعيَّةِ على استقامةٍ وانتظامٍ[3] من الهُدوءِ والسُّكُونِ حتى لا يزولَ عنِ الصُّورةِ الفاضلة ؛ وأما الاستصلاحُ فَرَدُّ ما عارَضَهُ منها الفسادُ والاختلالُ إلى الصَّلاحِ والالتئام . ونَظيرُ هذا التَّعَهُّدِ والاستصلاحِ في صِناعة السِّياسة مِنْ صناعةِ الطِّبِّ – التي هي سياسةُ الأجسادِ – حِفْظُ الصِّحَّةِ وإعادةُ الصحة ،وكما أنَّ الطِّبَّ كُلَّهُ مُدْرَجٌ في هذَيْن البابَيْن ، كذلك السِّياسةُ كلُّها مُدْرَجَةٌ في نظيرَيْها ، يعني التَّعَهُّد والاستصلاح .

٤٧٦ – وصف أعرابيٌّ نفسَه بالحِفْظِ فقال : كنتُ كالرَّملةِ لا يقطرُ عليها شيءٌ إلّا شَرِبَتْهُ .

---

٤٧٦ ربيع الأبرار ٣ : ٢٨٨ .

....

١ ل : بناء .
٢ ل : وشرب .
٣ ل : وانتظار .

٤٧٧ – قال بعض العلماء : المُجَادِلُ يُعْرَفُ بأحَدِ الوجوهِ السَّبْعَة : بأنْ لاَ يَذْكر العِلَّة ، ومنها أنْ يَنْقُضَ العِلَّة ، ومنها أنْ يُنْهي الكلامَ إلى مُحَالٍ ، ومنها أن يَتنقَّلَ [في الكلام] ، و [منها أن] يقولَ شيئاً يَلْزَمُهُ القولُ بمثله فيمتنعُ ، وأنْ يُجيبَ عن غيرِ ما يُسألُ عنهُ ، وأن يسكتَ لِلْعَجْزِ .

٤٧٨ – العَتَّابي : أما بعدُ ، فقد دَلَفَ إليكَ أَمَلي مُسْتجيراً بك من الإعدام ، على راحلةٍ من الرَّجاء ، يُحْدَى بِيُمْنِ الطَّائر ، حتى أناخَ بِفِناءِ جُودِك ، فتعجَّلْ شُكْرَ ما أَمَّلْتُهُ منك ، تَجْنِ حُلْوَ ما استَغْرَسْتُ لك .

٤٧٩ – قال الفرزدق لزياد الأَعْجَم : يا أَقْلَفُ ، فقال زياد : يا ابنَ النَّمَّامَة ، أُمُّكَ أَخبَرَتْكَ بهذا ! !

٤٨٠ – قال رجلٌ للفرزدق : متى عهدُك بالزِّنا ؟ قال : مُذْ ماتَتْ عَجُوزُك ، لا رضيَ اللهُ عنها .

٤٨١ – يقالُ : غَشَمَ الليلُ وأَغْشَمَ ، وعَتَمَ وأعْتَمَ ، ودَجا وأَدْجَى ، وغَسَقَ وأغسَقَ ، وجَنَحَ وأجْنَحَ ، وغطَشَ وأغطَشَ ، وغَبَشَ وأغْبَشَ ، كلُّ هذا إذا أظْلَمَ .

٤٨٢ – قال أبو الحسن العامري[1] : التَّعاوُنُ على البرِّ داعيةٌ لاتّفاقِ[2] الآراء ، واتفاقُ الآراءِ مَجْلَبَةٌ لإيجادِ المُراد[3] ، مَكْسَبَةٌ للوداد ، وكما أَنَّ شرَّ النَّاسِ

---

٤٧٩ نثر الدرّ ٢ : ١٩٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٤٠ والتذكرة الحمدونية : ٢٢٨ (رئيس الكتّاب : ٧٧٠) .

٤٨٠ عيون الأخبار ٤ : ١١٠ وبهجة المجالس ١ : ٩٧ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٤٠ ، وفي كتاب البرصان : ١٩٢ أنّ الأحوص هو الذي سأل الفرزدق .

....

١ العامري : سقطت من ل .

٢ ل : لآراء .

٣ ل : لاتحاد الكلم .

مَنْ أَبْغَضَ الناس ، كذلك[1] خيرُ النَّاسِ مَنْ نَفعَ النَّاس . ولا نَفْعَ معَ السِّبابِ والتَّباغي ، وأرفعُ الناسِ نيَّةً أقْدَرُهُم على استصلاحِ البَرِيَّة ، ومَنْ عجزَ عن تقويم نَفْسهِ الخاصَّةِ فهو عن تَقْويمِ غَيْرِه أَعْجَزُ ، والتَّسرُّع إلى تكذيبِ الأقوالِ آفةٌ من آفاتِ التَّفس ، والطُّمأنينةُ بها قبلَ الاختبارِ مُضادَّةٌ لطريقِ الحَزْم ، والإصرارُ على التوقُّف مَذَلَّةٌ[2] لسُلْطانِ العقل ، ومَنْ لم يُخْلِصْ لسانُهُ لضميرِهِ لم يُخْلِصْ ضميرُ غيرِهِ له ، ومَنْ صَبرَ على استبراءِ حَقائقِ الأحوالِ فقد أيَّدَ نَفْسَهُ بالسَّلامةِ من الضَّلال ، ومَنْ خَفيَ موقعُ الطلبةِ قِبَلَهُ لم يَنْفَعْهُ قُرْبُ المَطْلوبِ منه . ومَنِ اهتمَّ لغيرِ ما خُلِقَ له فقد بَدَّلَ جوهَرَهُ بجوهر سِواهُ ، وكما أنَّ نُورَ الحقِّ أشْرَقُ وأَجْلَى ، فهو للعُقولِ الرَّمِدَةِ أضَرُّ وأَعْشَى ، والمفلوجُ شخْصُهُ لا تَستقيمُ حركاتُهُ . وهيهات من نَيْلِ السعادةِ مع الهُوَيْنا والبطالة .

٤٨٣ – يقال : ثلاثةُ أشياءَ تُستَحَبُّ من الصَّغيرِ وتُكْرَهُ مِنَ الكبير : البُخْلُ والجُبْنُ والحَسَد ، يَدُلُّ الحسدُ من[3] الصَّغيرِ على هِمَّةٍ وهو قبيحٌ من الكَبير . والبخلُ يَدُلُّ منه على حَزْمٍ لأنه فيه حِفْظ[4] وهو عيبٌ ممَّن فوقه . والجُبْنُ يدلُّ على عقلٍ لأن فيه حراسةَ نَفْسِهِ .

٤٨٤ – قيل لبزرجمهر : ما بالُ تعظيمك لمؤدِّبِكِ أشَدُّ من تعظيمك لأبيك ؟ قال : لأنَّ أبي كان سببَ حَياتي الفانية ، ومؤدِّبي سببَ حياتي الباقية .

---

٤٨٤ ربيع الأبرار : ٢٧٣/أ . وينسب للإسكندر في زهر الآداب : ٢١٢ وبهجة المجالس ٢ : ٢٠٠ ومنتخب صوان الحكمة : ١٥٨ – ١٥٩ ومختصر صوان الحكمة : ٢٠ ب ومحاضرات الراغب ١ : ٤٥ والشريشي ٥ : ٢٥٧ ولقاح الخواطر : ٥٥/أ .

....

١ ل : كذا .
٢ ل : مثكلة .
٣ ل : أن .
٤ ل : لأنّ فيه حفظاً .

٤٨٥ – شاعر : [الطويل]

وما المرءُ إلّا اثنانِ عَقلٌ ومَنْطِقٌ فَمَنْ فاتَهُ هذا وذاكَ فقد كَفَرْ
ولا سيَّمَا إنْ كان مِمَّنْ نَصيبُهُ منَ الدِّينِ والدُّنيا قليلاً إذا حَضَرْ

٤٨٦ – كتبَ عليُّ بن عيسى الوزير في توقيعٍ له : قد بَلَغْتُ لك أقْصى مُرادِك ، وأنَلْتُكَ غاية بُغْيَتِك ، وسامَحْتُكَ مُسامَحَةَ مُحَابٍ لكَ مَعْنيٍّ بك ، وأنتَ مَعَ ذلك تستقِلُّ كثيري لَك ، وتستقْبِحُ حُسْني فيك ، فكيف وأنتَ كما قال رُؤْبَة : [الرجز]

كالحُوتِ لا يَكْفيهِ شيءٌ يَلْهَمُهْ يُصْبِحُ ظمْآنَ وفي البَحْرِ فَمُهْ

وإذا تأملْتَ حقيقةَ أمركَ علمتَ أني عامَلْتُكَ بمَا لا أُجيبُ إليه غيرك ، ولا أُعاملُ بمثلِهِ سِواك .

٤٨٧ – شاعر : [الرجز]

العالِمُ العاقِلُ إبنُ نَفْسِهِ أَغْناهُ جنسُ علمهِ عن جِنْسِهِ
مَنْ إنَّما[1] حَياتُهُ لنفسِهِ فيَوْمُهُ أوْلَى بهِ مِنْ أَمْسِهِ
كمْ بين مَنْ تُكرِمُهُ لِغَيْرِهِ وَبَيْنَ مَنْ تُكرِمُهُ لِنَفْسِهِ[2]

هذه الأبياتُ يرويها أصحابُنا لابن مَعْروف القاضي ، وما سمعناها منه .

٤٨٨ – قال الزُّبَيْر بن بَكَّار ، حدَّثنا العُتْبي قال ، حدَّثني الحسن بن

٤٨٧ وردت الأبيات في تاريخ بغداد ١٠ : ٣٦٥ منسوبة لابن معروف القاضي ، كما ذكر أبو حيان في هذه الفقرة . وهي في الفهرست : ٢١٨ (الحاشية) .

٤٨٨ قارن بربيع الأبرار ١ : ١٥٣ ونثر الدرّ ٣ : ٩٣ (ط) . والحسن بن وصيف هو مولى علي ابن الجهم ، وقد ربّاه مولاه وروّاه شعره . وروى عنه محمد بن داود بن الجراح (انظر الوافي ١٢ : ٢٩٦) .

١ ل : وإنما .
٢ سقط البيت من ل .

وَصيف قال : أَصابَتْنا ريحٌ ببغداد جاءتْ بما لم تأتِ به ريحٌ قَطُّ حتى ظَنَنَّا أنَّها تُؤدّي بنا[1] إلى القيامة ، قال : فجعلتُ أَطلبُ المَهْديَّ خوفاً من أن يَسْقطَ عليه شيءٌ ، فألْفَيْتُهُ ساجداً وهو يقول : اللهُمَّ احفظْ فينا نبيَّكَ عليه السلام ، ولا تُشْمِتْ بنا أعداءَنا من الأمم ، وإنْ كنتَ يا ربّ أخذتَ العَوامَّ بذَنْبي فهذه ناصيتي بين يَدَيْكَ يا أرحمَ الراحمين ، مع دعاءٍ كثيرٍ حفظتُ هذا منه . فلمَّا أصبحَ تَصدَّقَ بألفِ ألفِ درهم وأَعْتَقَ مائةَ رَقَبَةٍ وأَحَجَّ مائةَ رجل ، قال : ففعلَ جِلَّةُ قُوّاده وَبِطَانتهِ والخَيْزُرانُ ومَنْ أشبهَ هؤلاءِ في خاصِّ مالِهم كنَحْوِ ما فَعل ، فكان النَّاسُ بعدَ ذلك إذا ذكروا الخِصْبَ قالوا في أَمثالهم : أخصبُ من صَبيحةِ ليلةِ الظُّلْمَةِ .

٤٨٩ – شاعر[2] : [الوافر]

وما شيءٌ أردتَ به اكتساباً ... بأجمعَ لِلْمَعِيشَةِ من بَيانِ

٤٩٠ – للأبرص الحاسب : [الكامل المجزوء]

ما خَمْسَةٌ في سَبْعةٍ ... مع سُبْعِ ذلكَ في مايَهْ
وكمثلِ ذاكَ إذا أضفْـ ... ـتَ إليه جزءَ ثَمانيَهْ
ما نِصْفُ ألفٍ في القيا ... سِ ورُبْعِ ألفٍ لا مِيَهْ
ألـقـيتَ رُبْـعَ ثلاثةٍ ... مـنه فصحَّ حسابيَهْ
وضربتَ مـا حَصَّـلْتَهُ ... في نِصفِ ثُلْثِ ثَمانيَهْ
فـأتتهُ صُورةُ طَبْعِهِ ... بِكمـالِـه مُـتَوالـيَـهْ

٤٩١ – آخر : [السريع]

---

١ ل : تؤدينا .
٢ سقطت هذه الفقرة وعنوان التالية من ل .

إنَّ غيرَ الذي سِواكَ كريمُ وسِوَى مَنْ سوى سِواكَ لئيمُ

٤٩٢ – يقالُ : بَرَكَ الجَمَلُ ، ورَبَضَتِ الشاةُ ، وجَثَمَتِ الأرنبُ ، وجَثَّمْتُها أنا إذا صَبَرْتُها . أي حَبَسْتُها على الموت .

٤٩٣ – قال الزُّهري[1] : يحكى أَنَّ عَرْفَجَةَ بن أسعد أُصيبَ أَنْفُهُ يَوْمَ الكُلَاب فاتَّخَذَ أَنفاً من وَرَقٍ فأَنتنَ ، فأمره النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم أن يتخذَ أنفاً من ذَهَب ؛ قال الأصمعي : اتخذ أنفاً من الوَرَق[2] أي وَرَق الشجر . فأمَّا الوَرَقُ فإنه لا يُنْتن ؛ قيلَ : إنَّ الأصمعي عَنَى بالوَرَقِ الرَّقَّ الذي يكتب[3] عليه ؛ قال ابن قتيبة : كُنتُ أحسبُ قولَ الأصمعي صحيحاً أنَّه لا يُنتنُ حتى خبَّرني خَبيرٌ[4] أنَّ الذهبَ لا يُبليه الثَّرى ولا يُصْدئه النَّدى ولا تغلبه[5] الأرضُ ولا يأكله التُّراب[6] ولا يَتَغَيَّرُ ريحُهُ على الدُّوَل[7] . وأَنَّهُ ألطفُ شيءٍ شخصاً وأثقلُ شيءٍ وَزْناً ، وقليلُهُ يُلْقَى في الزِّئبَقِ فيرسُب ، وكثيرُ غيره يُلْقَى فيه فَيَطْفو ؛ وقال : الفِضَّةُ تصْدأُ وتُنْتِنُ وتَبْلى في الحَرارة[8] ؛ وكتبَ عمر بن عبد العزيز في اليَدِ إذا قُطِعَتْ أنْ تُختَم[9] بالذهب فإنّه لا يقيّحُ .

---

٤٩٣ عرفجة بن أسعد بن كريب وقيل ابن صفوان التّميمي العطاردي . له صحبة . وفي إسناد حديثه اختلاف ، وقصة أنفه تتردد في مصادر ترجمته ؛ انظر أسد الغابة ٣ : ٤٠٠ والإصابة ٤ : ٢٣٥ (رقم : ٥٤٩٨ – ط. الخانجي) وتهذيب التهذيب ٧ : ١٧٦ .

....

١ ل : الزبير .
٢ ل : قال الأصمعي عنى الورق .
٣ ل : كتب .
٤ ل : لحينه (دون إعجام) .
٥ ل : تفنيه .
٦ ل : ولا تأكله النار .
٧ ل : العرك .
٨ ل : الجملة .
٩ ل : تحسم .

٤٩٤ – سُئِلَ الحسن البصري عن السَّلَف في الزَّعْفران فقال : إذا نَقِيَ .

٤٩٥ – قال دَغْفَل : يُفَضَّلُ العَرَبُ على العجم[1] بثلاثٍ : بحفظِ الأنْسابِ وضياعِ أَنْسابهم . وعِفّتنا عن حُرَمِنا إذْ نكحوا حُرَمَهُم من الأمّهاتِ والأخَوات . والفَصَاحَةُ طبيعتُنا[2] والبيانُ سَجِيَّتُنا .

٤٩٦ – شاعر : [الطويل]

لَعَلَّ له عُذْراً وأَنْتَ تَلُومُ ... وكَمْ لائمٍ قد لامَ وهو مَليمُ

٤٩٧ – قال ابن الأعرابيّ : النَّغَفُ : دودٌ يكونُ في أنوف الإبل والغنم ، ولا يكون في البَقَر . الواحدُ منها نَغَفَةٌ .

٤٩٨ – قال : والعربُ تقول للشيءِ المختلَف فيه : مُحْلِفٌ ومُحْنِثٌ[3] .

٤٩٩ – شاعر : [الطويل]

أراني سأُنْدي عندَ أَوَّلِ سكرةٍ ... هوايَ لهندٍ في خَفاءٍ وفي سِتْرِ
فإنْ رَضِيَتْ كان الرِّضا سببَ الهوى ... وإنْ غضبتْ حَمَّلْتُ أمري على السُّكْرِ

٥٠٠ – نَهَى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن كَسْب المُومِسَة والحجّام . المُومِسَة : الزَّانية .

---

٤٩٦ البيت لمنصور النمري كما في طبقات ابن المعتز : ٢٤٧ والمنصف لابن وكيع : ٢٠٢ .
٤٩٩ البيتان في قطب السرور : ٤٢٣ بيعض اختلاف في الرواية .
٥٠٠ في النهي عن كسب الحجام انظر الجامع الصغير ٢ : ١٩٣ . وفي كنز العمال ٤ : ٣٧ صور مختلفة من النهي عن كسب الحجام ومهر البغي وثمن الكلب

....

١ ل : يفضل العجم .
٢ ل : طبعنا .
٣ ل : مخلف ومخيب .

٥٠١ – يقال : النَّضْنضةُ بطرَفِ اللِّسان والشَّفَتيْن . والمَضْمَضةُ بالفَم كلِّه ، والنَّضحُ كالرَّشِّ . والنَّضْخُ كالتَّبليلِ . والقَضْمُ بالأسْنان ، والخَضْمُ بالفَمِ كلِّه .

٥٠٢ – قيلَ لأعرابيّ : لِمَ تَسَمَّى الغُرابُ غُراباً ؟ قال : لأنَّه نأى واغْتَرَب .

٥٠٣ – قال الأصمعي ، قلتُ لأبي عمرو : الذِّفْرَى من الذَّفَر ؟ قال : نعم ، والمِعْزَى من المَعَز ؛ والذَّفَرُ : الرائحة الطيِّبة ، فأمَّا الذَّفْرُ – بتسكين الفاء – فإنَّهُ النَّتْنُ خاصةً .

٥٠٤ – سأل المنصورُ عمرَو بن عُبَيْد عن قوله عليه السَّلام[1] فيمنِ اقْتَنى كَلْباً لغير زَرْعٍ ولا حِراسةٍ أَنَّهُ ينقصُ كلَّ يومٍ من أجْرِهِ قيراط ؛ قال : كذا جاء ، ولا أدري لِمَ قال ذلك .

٥٠٥ – قال النبيُّ صلَّى الله عليه وعلى آله : لا زِمَامَ [ولا خِزامَ][2] ولا رَهْبانيَّةَ ولا تَبتُّلَ ولا سياحةَ في الإسلام ، وهو معنى قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وما جَعَلَ علَيْكُمْ في الدِّين مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج : ٧٨) .

٥٠٦ – قال عبد الله بن عمر : دخل يحيى بن زكريا بيتَ المَقْدِس وهو ابنُ ثَماني حججٍ فنظرَ إلى عُبَّادها وقد لبسوا مَدارع[3] الشَّعر وبرانسَ الصُّوف ، وقد

---

٥٠٣ انظر اللسان (ذفر) .
٥٠٥ الجامع الصغير ٢ : ٢٠٣ .
٥٠٦ عيون الأخبار ٢ : ٢٩٤ .

---

١ ل : عن القول .
٢ خزام : زيادة من الجامع الصغير .
٣ ل : فنظر إلى عباد قد لبسوا مدارج .

ثقبوا التَّراقي وسَلَكُوا فيها السَّلاسِلَ وشدُّوها إلى سَواري المَسْجد ، فهالَهُ ذلك ورجع إلى أبَوَيْهِ ، فَمرَّ بصِبيانٍ يلعبون فقالوا : يا يحيى ، هَلُمَّ فلْنَلْعَبْ ، فقال : ما خُلِقْنا[1] للَّعب ، فأتى أبَوَيْهِ فقال لهما : درِّعاني الشَّعَرَ ، ففَعَلا ، ثم رجع إلى البَيْتِ المُقَدّسِ فكانَ يخدمُهُ نهاراً وليلاً حتى أتَتْ له خمسٌ وعشرون حجَّةً ، وأتاهُ الخوفُ فساحَ ولزمَ أَطرافَ[2] الأرض ، في[3] حديثٍ طويل .

٥٠٧ – كان من حديث يَسار الكَواعِبِ أنّه كان عَبْداً لبعض العرب ، وكان لمولاهُ بناتٌ ، فجعل يَتَعرَّض لهنَّ ويُريدُهُنَّ على أنفُسِهنّ ، فَقُلْنَ : يا يسار ، اشرَبْ أَلْبانَ هذا اللقاح ، ونَمْ في ظلالِ هذه الخيام ، وإيَّاك والتَّعرُّضَ لبناتِ الأحرار ، فأبَى ، فلما أَكْثَرَ واعَدْنَهُ ليلاً فأتاهُنَّ وقد أعدَدْنَ له مُوسَى ، فلما خلا بِهِنَّ قَبَضْنَ عليه فَجَبَبْنَ مذاكيرَهُ .

٥٠٨ – شاعر : [السريع]

شاتَمَني عَبْدُ بني مسمعٍ فَصُنْتُ عنه النَّفْسَ والعِرْضا
ولم أُجِبْهُ لاحتقاري بهِ مَنْ ذا يعضُّ الكلبَ إنْ عَضَّا

٥٠٩ – سَمِعَ مُطرِّف بن عبد الله ضجيجَ الناس بالدُّعاءِ فقال : لقد

---

٥٠٧ حديث يسار في مجمع الميداني ١ : ٢٦٦ والمستقصى ٢ : ١٣٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٣١ والأذكياء : ٢٢٨ وسرح العيون : ٣٨٧ تحت المثل : « صبراً على مجامر الكرام » .

٥٠٨ تَمثّل بهما ثعلب حين بلغه أن المبرّد يقدح فيه ، انظر نور القبس : ٣٢٧ والإنباه ١ : ١٤٠ و ٣ : ٢٤٨ وطبقات الزبيدي : ١٠٦ ومعجم الأدباء ٥ : ١٣٧ (ط. دار المأمون) . وقد مرَّت القصة في البصائر ، وانظر محاضرات الراغب ١ : ٣٩٣ .

٥٠٩ ربيع الأبرار ٢ : ٢١٤ وفيه : « لقد هممت أن أحلف أن الله غفر لهم . . . » .

---

١ ل : خلقت .
٢ ل : وله في أطراف .
٣ في : سقطت من ل .

ظَنَنْتُ أنّ اللهَ قد غفرَ لهم . ثم ذَكَرْتُ أَنّي فيهم فكَفَفْتُ .

٥١٠ — قال بعض السَلَف : إنَّ الدُّنيا قد استَوْدَقتْ ، وإنَّ الناسَ قد أنعظوا . فما ظَنُّك بعد هَذَيْن ؟

٥١١ — كان للحَكَم ابنٌ يتعاطى الشراب فقال : يا بُنيَّ دَعِ الشَّراب ، فإنَّمَا هُو قَيْءٌ في شِدْقِكَ ، أو سَلْحٌ في عَقِبكَ ، أو حَدٌّ في ظَهْرِك .

٥١٢ — قال ابن عبَّاس : ما انتفعتُ بكلامِ أحَدٍ بعدَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وعلى آله كانتفاعي بكلام عليّ بن أبي طالب رضي اللهُ عنه[1] ؛ كتب إليَّ : أمَّا بعدُ ، فإنَّ المرءَ يَسُرُّهُ دَرْكُ ما يفوتُه ، ويسُوؤهُ فَوْتُ ما لمْ يُدْرِكْه . فليكن سُرورُك بمَا نِلْتَ من أمرِ آخِرتِكَ ، وليكُنْ أَسَفُكَ على ما فاتكَ منها ، وما أتاكَ من الدُّنيا فلا تكُنْ به فَرِحاً ، وما فاتَكَ منها فلا تكُنْ عليه جَزِعاً . ولْيكُنْ هَمُّكَ لما بعدَ الموت .

٥١٣ — لمَّا استُقْضِيَ يَحيى بن أكثم جاءه رجلٌ فقال : إني نَذَرْتُ أن أتصدَّقَ بجُزْءِ مالي ، قال : تصدَّقْ برُبْعِ مالِكَ لقول اللهِ تعالى : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ على كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ﴾ (البقرة : ٢٦٠) .

٥١٤ — نَذَرَ المتوكِّل في عِلَّةٍ إنْ وَهَبَ اللهُ تعالى له العافيةَ أن يتصدَّقَ بمالٍ

---

٥١٠ عيون الأخبار ٢ : ٣٣٠ وبهجة المجالس ٢ : ٢٩٤ .

٥١١ ربيع الأبرار : ٣٣٧/أ (٤ : ٥٦) ومحاضرات الراغب ١ : ٦٧٨ .

٥١٢ نهج البلاغة : ٣٧٨ ونثر الدرّ ١ : ٢٨١ وأدب الدنيا والدين : ١٠٧ والحكمة الخالدة : ١٧٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٤٠٤ والتذكرة الحمدونية ١ : رقم ٨٧ وعين الأدب والسياسة : ٢٠٢ .

٥١٤ نثر الدرّ ١ : ٣٦٥ ولقاح الخواطر : ٧٣/أ .

---

[1] ل : انتفعت بكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ومن بعده بكلام علي بن أبي طالب عليه السلام .

كثير ، فَعُوفِيَ ، فأحْضَرَ[1] الفقهاءَ فاسْتَفْتاهُمْ فقال قائل : تَصَدَّقْ بمائتيْ درهم لأنَّ الزَّكاةَ فيها تَجِبُ ، وقال آخرُ شيئاً آخَرَ ، فقال رجلٌ من آلِ الرسول صلّى الله عليه وعلى آله : إنْ كنتَ نَوَيْتَ الدنانيرَ فتصدَّق بثمانينَ ديناراً ، فقال الفقهاءُ : ما نعرفُ هذا في كتابِ اللهِ تعالى ولا سُنَّةِ رسولِهِ صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : بلى ، قال اللهُ تعالى : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ في مَواطِنَ كثيرةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ (التوبة : ٢٥) ، فَعَدُّوا وقائعَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ فإذا هي ثمانون .

٥١٥ — شاعر : [الوافر]

يلجُّ بيَ الهوى وتلجُّ نَفْسي وفيما بَيْننا كَبِدٌ تَذُوبُ

٥١٦ — استقرضَ كوفيٌّ من جارٍ له شيئاً فطلبَ رهْناً ، فكتبَ إليه : لو كان الرَّهْنُ حاضراً لكان بَيْعُهُ أهْوَنَ علينا من استيجاب حمدك .

٥١٧ — قال الأوّل : فَقْرٌ يُوجِعُكَ خيرٌ من غِنىً يُطْغيك ، وغِنىً يَحْجُزُكَ عن الإِثْمِ خيرٌ من فقرٍ يَحْمِلُكَ على الإِثْم .

٥١٨ — قال ابن السَّمَّاك : مَنْ لم يتحرَّزْ من عقلهِ بعقلهِ ، هَلَكَ من قِبَلِ عقله .

٥١٩ — أطعَمَ الناسَ أبو سُفْيان في حِجَّةِ الوَداع فقصَّرَ طعامُهُ فاستعانَ برسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليه وعلى آلِه فأعانَهُ بألفِ شاةٍ ، فقال أبو سُفْيان : بأبي

---

٥١٨ نثر الدرّ ٤ : ٧٩ .
٥١٩ نثر الدرّ ٣ : ٥٩ (٣ : ١٦٣ ط) .

....

١ ل : وأحضر .

أنتَ وأمي ، حارَبْناكَ فمَا أجبنَّاك ، وسألناك فمَا أبْخَلْناك .

٥٢٠ – قال لقمان لابْنِهِ : يا بُنَيَّ ، ارحم الفقراءَ لقلَّةِ صَبْرِهم ، وارحمِ الأغنياءَ[1] لقلَّةِ شُكْرِهم ، وارْحمِ الجميعَ لطُولِ غَفْلَتِهم .

٥٢١ – مرَّ بخالد بن صَفْوان صديقان ، فَعَرَّجَ أَحدُهُما عليه وطواهُ الآخر ، فقيلَ له في ذلك ، فقال : عَرَّجَ علينا هذا لِفَضْله ، وطوانَا ذاكَ لثقتِهِ بالمودَّة .

٥٢٢ – قال ابن شِهاب : مَنْ قَدِمَ أرضاً فأخَذَ من تُرابها فجعله في مائها ثم شَرِبَهُ عُوفيَ من وَبائها .

٥٢٣ – قيل لزاهد : ما جزاءُ منْ إذا سُئِلَ أعْطَى ؟ قال : أنْ يُطاعَ فلا يُعْصى .

٥٢٤ – قال ابن عبّاس : أبهمتِ البهائمُ إلَّا عن أربعٍ : عن مَعْرِفَةِ الرَّب ، وابتغاءِ النَّسْل ، وطلبِ المَعاش ، وحَذَرِ الموت .

قال القاضي أبو حامد : الرَّبُّ ها هُنا سائسُها ومالكُها ، فأمّا معرفةُ الله تعالى فإنَّ الكبارَ من العُقَلاءِ يمُوجُون فيها ويضجُّون بسَبَبِها ، فإنّ[2] أصلَ المعرفةِ هو العَقْل[3] ، والبهائم لا عقولَ لها ، وإنَّمَا هي ذواتُ حَواسَّ تُصادِفُ بحواسِّها ما

---

٥٢٠ ربيع الأبرار ٣٩٦/أ .
٥٢١ الصداقة والصديق : ٣٨ – ٣٩ وربيع الأبرار ١ : ٤٤٩ ومطالع البدور ١ : ١٧٦ .
٥٢٢ العقد ٦ : ٢٥١ وربيع الأبرار : ٣٤٣/أ .

....

١ ل : الرعية (وفوقها لفظة : الأغنياء) .
٢ ل : قال .
٣ ل : بالعقل .

لاءمها ، فإذا توالتِ المصادقةُ حَدثَتِ الأُلْفَةُ بينها وبين الأشياء ، وأمَّا ما ارتفعَ عن الحِسِّ فإنَّها منه في جانبٍ بعيدٍ ، ومكانٍ سَحيق .

٥٢٥ – مرَّ أَنو شروانُ بشيخٍ يغرسُ شجرةَ جَوْز ، فوقفَ عليهِ وقال : يا شيخ ، أَتطمعُ أن تأكلَ من هذه الشجرة التي قد تولَّيْتَ غَرْسَها وسَقْيَها وتَعَهُّدَها ؟ قال : لا أَيُّها الملك ، ولكنَّ الدّنيا دُفعَتْ إلينا عامرةً فإنّي أحبُّ أنْ أَرُدَّها وهي عامرة ، فأُعْجِبَ الملكُ بكلامه وقال : زِهْ ! وأعطاهُ أربعةَ آلاف درهم ، فقال : أيُّها الملك ، ما أسْرَعَ ما أثمَرَتْ هذه الشجرةُ ، فقال كسرى : زِهْ ! وأعطاهُ أربعةَ آلاف درهم أخرى ، فقال : أيُّها الملك ، لكلِّ شجرةٍ في كلِّ سَنَةٍ حَمْلٌ واحدٌ وهذه قد حملتْ مَرَّتين ، فقال : زِهْ ! وأَعطاهُ أَربعة آلاف درهم ، وسَدُّوا فَمَهُ ، وانصرف .

٥٢٦ – قيل لفَتْح المَوْصِليّ : ادْعُ اللهَ لنا ، فقال : اللّهُمَّ هَنِّئْنا عَطاءك ، ولا تكشفْ عنّا غطاءك .

٥٢٧ – مدح بعض الشعراء الجُنَيْد ، وكان من كبار العُمّال ، فأجازَهُ ، فقال الشاعر : ما أكرمَكَ لولا ثلاثُ خصال ، قال : وَيْلَكَ وما هي ؟ وهل بعدَ ثلاثٍ من خير؟ قال : تأمُرُ للرَّجلِ بالجائزة السَّنِيَّة ثم تشتمهُ فتكدِّر ذلك عليه ، قال : ثم ماذا؟ قال : وتضعُ الطعامَ فيدخلُ الناسُ فلا تُنْزِلُهُمْ مَنازِلَهُمْ ، ولو أنزلتَ كان أشرفَ لك ، قال : ثم ماذا ؟ قال : جواريك يُخْتَرقن الصُّفوفَ فلا تأخُذُكَ لذلك غَيْرةٌ ، قال : فبكم أمَرْنا لك ؟ قال : بعشرة آلاف درهم ، قال : يا

---

٥٢٥ محاضرات الراغب ١ : ٤٨٩ .
٥٢٦ ربيع الأبرار ٢ : ٢١٤ .
٥٢٧ ربيع الأبرار ٢ : ١٦٦ (بإيجاز) .

غلام ادفعْ إلى هذا الماصّ[1] بظرَ أُمِّهِ عشرةَ آلاف أخرى ، ثم أعادَها حتى بلغتْ تسعين ألفاً أخرى ، فوُضعتْ بين يديه ؛ ثم أقبل عليه فقال : أمَّا قولُكَ إنّي أضعُ الطعامَ ولا أُنْزِلُ الناسَ منازِلَهُم فلقد فكَّرْتُ[2] فرأيتُ في الناس مَنْ له هِمَّةٌ وفيهم غيرُ ذلك ، فَوَكَلْتُهُم إلى أنْفُسهم ، لأنَّ مَنِ[3] انحطَّ عن أعلى غايةٍ كان النَّقْصُ أَوْلَى بهِ ، فَهُمْ بأنفسهم أَخْبَرُ منّي بهم ؛ وأمّا قولُك إنَّ جواريَّ يَخْتَرِقْنَ الصفوفَ فلا تأْخُذُني لذلك غَيْرةٌ ، فلو أنّ واحدةً رأَتْ في عينها مَنْ هو أحسنُ منّي فٱختارَتْهُ وَهَبْتُها له ؛ وأمّا العَطيَّةُ مع الشَّتْم فكيف رَأَيْتَها[4] ؟ فأنشأ الشاعر يقول : [المنسرح]

إنّ الجُنَيْدَ الكريمَ أَوَّلُهُ يزين[5] منه قَديمُهُ كَرَمَهْ
يُعْطي على شَتْمةٍ وإن صَغُرَتْ تسعين ألفاً طُوبَى لمنْ شَتَمَهْ
وحُسْنُ وَجْهِ الجُنَيْد قد عرفُوا يَمْنَعُ من كلِّ رِيبَةٍ خَدَمَهْ
وما يُبالي إذا بلا هِمَمَه[6] طَبَّاخهُ بالطعام مَنْ طَعِمَهْ

٥٢٨ – كان سليمان بن عبد الملك إذا حَضَرَ طعامُهُ فُتحتِ الأبوابُ

---

٥٢٨ ربيع الأبرار ٢ : ١٦٦ – ١٦٧ .

....

١ ل : للماص .
٢ ل : أنزلت .
٣ ل : فمن .
٤ هنا تعليق بخط غير خط الأصل في ل وهو : والله يا جنيد لقد أخطأت في الثلاث ، أما الاوله فقد رأينا في زماننا وشاهدنا بالعيان وقبل زماننا سمعناه أن في أطراف الناس وسفلها من فيه وقاحة الوجه وبلاطة الحدقة ممن يأتي ويجلس فوق الأشراف والسادة حتى ينكر عليه في بعض الأوقات ويحرّق به ويحط عن مكانه ، وأما أن الجواري وهبتهم لمن يستحسنهم فإنها « التعريض » المحض والقيادة الظاهرة ، وأما الشتم والعطاء فكلمة طيبة خير من صدقة يتبعها أذى .
٥ ل : ومن .
٦ ل : تيممه .

ورُفِعَتِ السُّتُورُ ودخلَ الناس ، فإذا انقضى ذلك نادى مُناديه : إنَّ أَمير المؤمنين مرتفعٌ من مجلسه ، فهل لأحَدٍ منكم حاجة ؟ فقام رجلٌ ذاتَ يومٍ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنَّ لي في بيت مالك مائتي دينار ، وأنا الآن مُمْلِكٌ بابنةِ عَمٍّ لي ، وقد ضُرِبَ عليَّ أجَلٌ إن جُزْتُهُ فُرِّقَ بَيْني وبَيْنها ، فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أسْلَفَني هذه المائتين فأقضيَ عنّي ، فقال : يا ابنَ اللَّخْناء ، أَقَسْطَارٌ[1] أنا حتى أُسْلِفَك ؟ بل أهبُ لك مائتي دينارٍ ومائتي دينارٍ ، وجعل يكرِّرها حتى انقطعَ نَفَسُه على ثَلاثةِ آلاف دينار ، فقبضَها الرجل ، فأتاهُ الناسُ يُهَنِّئُونَهُ قال : فأينَ قولُهُ يا ابنَ اللَّخْناء ؟ فبلغَ ذلك سليمانَ فقال : صدَق ، وَدِدْتُ أني افتديتُها بأضعافِ ذلك ولم أقُلْها .

٥٢٩ — قال ابن عبَّاس : لَعَنَ اللهُ القَدَريَّة ، ما قالوا كما قال الله ، ولا كما قالتِ الملائكة ، ولا كما قالتِ الأنبياءُ ، ولا كما قال لوط ، ولا كما قال أهلُ الجنَّة ، ولا كما قال أهلُ النّار ، ولا كما قال الشَّيْطانُ الرجيم ؛ قال اللهُ تعالى : ﴿وما تَشاؤونَ إلَّا أنْ يَشاءَ اللهُ﴾ (الإنسان : ٣٠) ، وقالتِ الملائكةُ : ﴿لا عِلْم لنا إلَّا ما علَّمْتَنا﴾ (البقرة : ٣٢) ، وقال الأنبياء : ﴿ولا يَنْفَعُكُمْ نُصْحي إنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إنْ كانَ اللهُ يُريدُ أنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ (هود : ٣٤) ، وقال لوط : ﴿لَوْ أَنَّ لي بِكُمْ قُوَّةً أو آوي إلى رُكْنٍ شَديد﴾ (هود : ٨٠) ، وقال أهلُ الجَنَّةِ : ﴿وما كُنَّا لِنَهْتديَ لَوْلا أَنْ هَدَانا اللهُ﴾ (الأعراف : ٤٣) ، وقال أَهلُ النَّارِ : ﴿غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ (المؤمنون : ١٠٦) . وقال الشيطان : ﴿رَبِّ بمَا أغْوَيْتَني﴾ (الحجر : ٣٩) .

٥٣٠ — شاعر : [الطويل]

---

٥٣٠ البيتان في ربيع الأبرار ٤ : ٢٥ .

....

١ القسطار (questor) : القيّم بشؤون المال .

لَعَمْرِيَ لئنْ بَيَّعْتُ في أرضِ غُرْبةٍ — ثيابِيَ إذْ ضاقَتْ عليَّ المآكلُ
فما أنا إلَّا السيفُ يأكلُ جَفْنَهُ — له حِلْيَة[1] من نَفْسهِ وهو عاطِلُ

٥٣١ – كان رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وعلى آله إذا دَعا لمتَزَوِّجٍ قال : على اليُمْنِ والسَّعادةِ والطَّيْرِ[2] الصَّالح ، والرزقِ الواسع ، والمودَّةِ عند الرَّحِم .

٥٣٢ – وكان صلّى اللهُ عليه يَنْهَى أَن يُقال « بالرفاءِ والبَنِين » ويقول : بأوفى التَّحِيَّاتِ وأعذبِ الكَلام .

٥٣٣ – كتب رجلٌ إلى صديقٍ له : بلغني ما يَسَّرَ اللهُ لكَ من اجتماعِ الشَّمْل ، وضَمِّ الأَهْلِ والإِلْف ، فَشَرِكْتُكَ في النِّعْمَة ، وساهَمْتُكَ في السُّرور ، وشاهدتُك بقلبي ، وتَمَثَّلْتُ ما أنتَ فيه بِعَيْني ، فهنَّاك اللهُ تعالى ما أنتَ فيه بما قسمَ لكَ بالسُّرورِ والحُبور ، ودفْعِ المَحْذُور ، على مرِّ الأَزْمِنَةِ والدُّهُور .

٥٣٤ – قال الحجَّاج لابن القِرِّيَّة : اخْطُبْ عليَّ هِنْداً بنتَ أسماءَ ولا تزدْ على ثلاثِ كلماتٍ ، فأتاهم فقال : أَتَيْتُكم من عند مَنْ تعلمون ، والأمير يُعْطيكم ما تَسألون ، أَفَتجيبونَ أَم تَرُدُّون؟ فقالوا : بل نُجيب ، فرجع إلى الحجَّاج فقال : أقرَّ اللهُ عَيْنَك ، وجمعَ شَمْلَكَ بالسرور والغِنى على أسْعَدِ السُّعود ، وأيْمَنِ الجُدود ، وأبركِ العُقود ، جعلها اللهُ تعالى ولُوداً وَدُوداً ، وجمعَ بينكما على البركة والخير .

٥٣٥ – قال جعفر بن محمد الفاطمي عن أبيه عن جدِّه قال : حَجَجْتُ

---

٥٣٢ عيون الأخبار ٣ : ٦٨ ومحاضرات الراغب ١ : ٤١١ .
٥٣٣ عيون الأخبار ٣ : ٦٩ .
٥٣٤ عيون الأخبار ٣ : ٦٩

١ ب : لرحلته
٢ ب : والطائر .

ومعي جماعةٌ من أصحابنا ، فأتينا المدينةَ ، فأفردوا لنا مَكاناً بنزلُهُ[1] ، فاستقبلَنا غُلامٌ لأبي الحسن موسى بن جعفر[2] على حمارٍ له حَضَرَ يَتْبَعُهُ الطَّعام ، فنزلنا بين النَّخل ، وجاءَ هو فنزل ، وأُتِيَ بالطَّسْتِ والماء ، فبدأ[3] فغسلَ يَدَيه ، وأُدِيرَ الطَّسْتُ عن يمينِهِ حتى بلغ آخِرَنا ، ثم أُعيدَ إلى مَنْ عَنْ يَسارِهِ حتى أتى على آخِرِنا ، ثم قُدِّمَ[4] الطعامُ فبدأ بالمِلْحِ وقال[5] : كُلُوا بِاْسم ِ الله ، ثم ثَنّى بالخَلّ ، ثم أُتِي بكَتِفٍ مَشْوِيَّةٍ[6] فقال : كُلُوا باسم ِ الله فإنَّ هذا الطعام[7] كان يعجبُ رسولَ الله صلّى الله عليه وعلى آلهِ ، ثم أُتِيَ بِسِكْباجٍ فقال : كُلُوا باسم ِ الله فهذا طعامٌ كان يُعجِبُ[8] أميرَ المؤمنين رضيَ الله عنه ، ثم أُتِي بلحم ٍ مَقْلي[9] فيه باذنجان فقال : كُلُوا بسم ِ الله فهذا طعامٌ كان يُعجبُ الحَسَن بن علي رضي الله عنهما ، ثم أُتِيَ بلَبَنٍ حامضٍ قد ثُردَ فيه فقال : كُلُوا بسم ِ الله فإنَّ هذا الطعامَ[10] كان يُعجب الحُسَيْن بن علي رضي الله عنهما ، ثم أُتيَ بأضلاعٍ باردةٍ فقال : كُلُوا بسم ِ الله فإنَّ هذا طعامٌ كان يعجب عليّ بن الحسين رضي الله عنهما ، ثم أُتِيَ بجَنْبٍ مُبَرَّدٍ فقال : كُلُوا بسم ِ الله فإنّ هذا طعامٌ كان يعجب محمد بن علي ، ثم أُتيَ بلونٍ فيه بَيْضٌ كالعُجَّةِ فقال : كُلُوا بسم ِ الله فإنَّ هذا طعامٌ كان يعجبُ جعفراً ، ثم أُتيَ بحَلْواء فقال[11] : كُلُوا بسم ِ الله فإنّ هذا طعامٌ كان يعجبني . ورُفِعَتِ المائدةُ

....

١ ل : له . . . ينزله .
٢ ل : جعفر بن موسى .
٣ فبدأ : سقطت من ل .
٤ ل : وقدم .
٥ ل : ثم قال .
٦ ل : مشوي .
٧ ل : هذا طعام .
٨ رسول . . . يعجب : سقط من ل .
٩ ل : مقلو .
١٠ ل : كلوا فهذا طعام .
١١ فإن هذا طعام كان يعجب علي . . . فقال : سقط من ل .

فذهبَ أحدُنا ليلتقطَ ما كان تَحْتَها فقال : مَهْ ، إنَّ ذلك يكونُ في المنازل تحتَ السُّقوف ، فأمّا في مثل هذا المكان فهو لعافِيَةِ الطَّيْر والبَهائم . ثم أُتيَ بالخِلال فقال : إنَّ من حَقِّ الخِلال أن تُدير لِسانَك في فمك ، فما أجابَكَ ابتَلَعْتَهُ ، وما امتَنَعَ فالخِلال . وأُتيَ بالطَّسْتِ والماء ، فابتدأ بأوَّلِ مَنْ على يَسارِه حتى انتهى إليه فغَسل ، ثم غَسَلَ مَنْ عن يمينهِ إلى آخِرهم ، ثم قال : يا عاصم ، كيف أنتم في التَّواصل والتَّبارّ[1] ؟ قال : على أفضل ما كان عليه أحَدٌ ، قال[2] : أيأتي أحدُكُمْ إلى كُمِّ أخيه أو منزِله عند الضِّيقَة فيستخرج كيسَهُ ويأخُذُ ما يحتاجُ إليه فلا يُنْكِرُ عليه؟ قال : لا ، قال : فلستم على ما أُحِبُّ من التَّواصُل .

٥٣٦ – قال بعض السَّلَف : لصانعِ المعروفِ إجلالُ القُلُوب ، وثَناءُ الألْسُن ، وحُسْنُ الأُحْدُوثة ، وذُخرُ[3] العاقبة ، وفَخْرُ الأعقاب .

٥٣٧ – شاعر : [الطويل]

وَلَمْ أرَ كالمعروفِ أمَّا مَذاقُهُ ... فَحُلْوٌ وأمَّا وَجْهُهُ فجميلُ

٥٣٨ – آخر : [الهزج]

سَقاني مِنْ كُمَيْتِ اللَّوْ ... نِ صِرْفاً غَيْرَ مَمْزُوجِ
فلمَّا دارتِ الكاسُ ... على نايٍ وتَصْنيجِ
جَعَلْنَا القُمْصَ في اللَّبَّا ... تِ أَمثالَ الدَّواويجِ[4]

٥٣٩ – كاتب : الحمدُ للهِ على عامر مُهاجرتك ، وسلامةِ بدأتِك[5]

---

١ ل : والتباين .
٢ ورد هذا القول وحده في نثر الدرّ ١ : ٣٤٣ .
٣ ل : وذكر .
٤ الدواويج : جمع دواج ، وهو لحاف يلبس .
٥ ل : بدنك .

ورَجْعَتِك ، وعِظَمِ المِنَّةِ بأوْبَتِك ، فشكرَ اللهُ سَعْيك ، وتقبّل نُسُكَك ، وجَعَلَكَ ممَّنِ انقلبَ مفلحاً منجحاً ، قد ربحتْ صفقتُهُ ، ولم تَبُرْ تجارتُهُ ، ولا أَعْدَمَكَ تقبُّلَ عملك[1] ، وتوفيقاً يحوطُ دينَك ، وشُكْراً يرتبطُ نعمتك[2] ، وهنَّاك اللهُ تعالى ذلك ، وطَيَّبَهُ لكَ في الدُّنْيا مع الأهلِ وجمعِ الشَّمْلِ ، ولا أعْدَمَك مَزيداً منه .

٥٤٠ – قال أعرابيٌّ في ذَمِّ الدُّنيا : جَمَّةُ المصائب ، كَدِرَةُ المَشارب ، لا تُمَتِّعُكَ بصاحب .

٥٤١ – قال أعرابيّ : مَنْ عَلِمَ أنَّ رِزْقَهُ طالبُهُ أَراحَ بدَنهُ من الدُّؤوب ، ونَفْسَهُ[3] من الذُّنوب .

٥٤٢ – نَظَرَتْ أعْرابيَّةٌ إلى قومٍ يدفنون مَيْتاً فقالت : جَافَى[4] اللهُ عن مَيِّتكم ثقلَ الثَّرَى ، وأعانهُ على طُولِ البِلَى .

٥٤٣ – ومَدحَ أعرابيٌّ رجلاً فقال : ذاك واللهِ مُضْغَةٌ مَنْ ذاقها لَفَظها ، وإنَّه[5] مع ذلك عَذْبٌ في أفْواهِ الأصدقاء .

٥٤٤ – وقال أعرابيٌّ في آخَر : لم يزل يُنْهِبُ الدَّهرَ ما له حتى مالَ له الدهر ، فبخل الدَّهرُ عليه ولم يبخلْ على الدَّهر .

---

٥٤٢ ربيع الأبرار : ٣٦٥/أ (٤ : ١٩٥) .

....

١ ل : نيته بفضل عملك .
٢ ل : بنعمتك .
٣ ل : ونصيبه .
٤ ل : خفف .
٥ ل : وله .

٥٤٥ – نظر أعرابيٌّ إلى فارسٍ فقال : كأنَّهُ واللهِ بازٍ على مَرْقَب ، بيدهِ رمحٌ طويلٌ يُقَصِّرُ به الآجال .

٥٤٦ – وقال أعرابيّ : هو واللهِ إذا لُوينَ أَحْلَى من الجَنَى[1] ، وإذا خُوشِنَ أَمَرُّ من الألاء[2] .

٥٤٧ – وذكر أعرابيٌّ مَودَّةَ رجلٍ فقال : مَوَدَّتُهُ مَشُوبَةُ[3] الفعال ، وسماؤه قليلةُ البلال ، وأَرضهُ دائمةُ الإمحال ، هو اليدُ الجَذَّاءُ ، والأَزْمَةُ الحَصْداء ، أَبعدُ مقالهِ قَريب ، وأقربُ فَعالِهِ بعيد ، يقولُ ما لا يَفْعَل ، ويفعلُ ما لا يقول .

٥٤٨ – كاتب[4] : مَنِ اتَّسَعَ في الإفضالِ اتَّسَعَتْ فيه الأقوال ، من شاكرٍ مُثْنٍ ، ومادحٍ مُطْرٍ[5] ، ولسْنا نَصِفُك بمَا يَعِنُّ لنا ويبدو على أَلْسِنَتِنا ، ممّا يتقرَّب به ذو الرَّغْبَة ، ويَفْزَع إليه ذو الرَّهْبة ، لاشْتِراكِ[6] مَرْغوب ، واسْتِجلابِ مَطْلوب ، ولكنّا نَنْطقُ عن سيرتكَ[7] بإفصاح ، ونُبين عنها بإيضاح ، يكفُّ شغَبَ الكائد ، ويُطيل غَمَّ الحاسد .

٥٤٩ – قال أَعرابيّ : طالبُ الفَلاحِ كالضَّاربِ بالقِداح ، سَهْمٌ له وسَهْمٌ عليه .

٥٥٠ – شاعر : [السريع]

---

٥٥٠ الأبيات لابن لنكك في ديوان المعاني ١ : ١٨٠ .

....

١ ل : الحسنى .
٢ ل : أخشن من اللواء .
٣ ل : رديّة .
٤ كاتب : سقطت من ل .
٥ ل : مبين ومازح مطير .
٦ ل : لاستمال .
٧ ل : سفرتك .

وعُصْبَةٍ لمَّا تَوسَّطْتُهُمْ[1] ضاقَتْ عليَّ الأرضُ كالخاتَمِ
كأنَّهُمْ مِنْ بُعْدِ أفْهامِهِمْ لم يَخْرجوا بَعْدُ إلى العالَمِ
يَضْحكُ إبليسُ سروراً بهم لأنَّهم عارٌ على آدَمِ

٥٥١ – قيل لأعرابيّ : أتعرفُ رَبَّك ؟ قال : إنْ عَرَفْناهُ أَبْلانا ، وإن أنكرناهُ أَصْلانا .

٥٥٢ – قال مسلم : ما زِلْتُ أستجفي عائشةَ في قولها : بمنِّ الله لا بمنّك ، حتى سألتُ أبا زُرْعَةَ الرَّازي فقال : وَلَّتِ الحمدَ أَهْلَهُ .

٥٥٣ – حُمِلَ إلى حمّاد القُرَشي دنانير فَرَدَّها فقال[2] له أَصحابه ، وكانوا أضيافَه على كِسَرٍ قد باعَ بها كُبَّة غَزْل : ما وَجبَ أن تردّ ، فقال : إنّي لم أختَرِ الفقرَ للغِنى ، إنّما اخترتُ الفَقْرَ للفَقْر .

٥٥٤ – كان العتَّابي واقفاً ببابِ المأمون ، فوافى يحيى بن أكْثَم . فقال له العتَّابي : إنْ رأَيْتَ أنْ تُعْلِمَ أَميرَ المؤمنين مَكاني فافْعَلْ . فقال : لستَ بحاجبٍ . فقال : قد علمتُ ، ولكنَّك ذو فَضْل ، وذو الفضل[3] مِعْوانٌ . قال : سلكتَ بي غيرَ طريقي ، قال : إنّ الله أتحفَكَ منه بجاهٍ ونعمة ، وهو مقبلٌ عليك بالزِّيادةِ

---

٥٥٢ ربيع الأبرار : ٣٩٧/أ (٤ : ٣١٩) . وأبو زرعة الرازي اسمه عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ المخزومي مولاهم ، وهو أحد الأئمة الحفاظ . توفي سنة ٢٦٨ (انظر تهذيب التهذيب ٧ : ٣٠ - ٣٤) .

٥٥٤ أدب النديم : ٣١ وديوان المعاني ١ : ١٥٣ وربيع الأبرار : ١٨٨/أ وشرح النهج ١٨ : ١٣٥ .

....

١ ل : قوم إذا جالستهم خلتني .
٢ ل : وقالوا .
٣ وذو الفضل : سقط من ل .

إنْ شكرتَ ، وبالتغيير إنْ كفرْتَ ، وأنا لك اليوم خيرٌ منك لنفسك ، لأنّي أدعوكَ إلى ما فيه ازديادُ نعمتكَ وأَنْتَ تأبى عليَّ ، ولكلّ شيءٍ زيادةٌ وزَكاة ، وزكاةُ الجاهِ رِفْدُ المُسْتعين ؛ فدَخَلَ على المأمون فأخبره الخبر ، فأمر للعتّابي بثلاثينَ ألف درهم .

٥٥٥ – بَلَغَ عمر بن عبد العزيز أنَّ ابنَهُ بالمدينةِ اشترى خاتماً قيمةُ فَصِّهِ ألفُ دِرْهم ، فكتب عمر رضي الله عنه : عزمتُ عليكَ لما بعتَ خاتمكَ بألفِ درهم ، وجعلتها في ألفِ بطنٍ جائعٍ فقير ، واستعملتَ خاتماً من وَرَقٍ وجعلتَ فَصَّهُ منه ونقَشتَ عليه : « رحمَ اللهُ امرءاً عَرَفَ[١] قَدْرَهُ » .

٥٥٦ – شاعر : [الخفيف]

شَعَراتٌ في الرأْسِ بِيضٌ وَدُعْجُ[٢] حَلَ[٣] رأسي خَيْلانِ : رومٌ وَزَنْجُ
طارَ[٤] عن لمَّتي غُرابُ شَبابي وعَلاني من بعدِهِ شاهُ مُرْجُ[٥]
أيُّها الشَّيْبُ لِمْ وَلعْتَ برأسي إنَّما لي عَشْرٌ وعَشْرٌ وبَنْجُ

٥٥٧ – قال أعرابيٌّ في رجل : ذاك واللهِ رَضيعُ الجُودِ والمفطومُ به ، عقيمٌ من الخَنا[٦] ، مُعْتصِمٌ بالتَّقْوى ، إذا خَرِسَتِ الألْسُنُ عن الرأْيِ حَذَفَ

---

٥٥٥ ربيع الأبرار ٤ : ٢٥ .
٥٥٦ التوفيق للتلفيق : ٩٦ وثمار القلوب : ٣٦٤ .

....

١ ل : عرف الله .
٢ ل : بيض دعج .
٣ ل : كل .
٤ ل : طاب .
٥ ل : شاه برح ؛ وشاه مرج : من الفارسية ، شاهمرك أو شاهمرغ ، ومعناها ملك الطير (الدميري والحيوان ١ : ٢٨) .
٦ ل : الحيا .

بالصَّوابِ كما تحذف الأرنب[1] ، فإنّ طالتِ الغاية[2] ، ولم يكن دونها نهاية ، تَمهَّلَ أمامَ القوم سابقاً .

٥٥٨ – قال بعض الأطبَّاء : إذا أُخِذَ زِبْلُ العَصافير ودِيفَ[3] بلُعابِ الإنسان وَطُلِيَ على الثُّؤلُول قَلَعَهُ .

٥٥٩ – قال الحجّاجُ لِعَنْبَسةَ بن سَعيد : يا عَنْبَسة ، بلغني أنَّك تُشْبِهُ إبليسَ في قُبْحِ وَجْهك ، قال : وما يُنْكِرُ الأميرُ أن يكونَ سيِّدُ الإِنْسِ يُشْبِهُ سيّدَ الجنّ ؟!

٥٦٠ – لما نزل قولُهُ تعالى : ﴿ وأَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الأقْرَبينَ ﴾ (الشعراء : ٢١٤) ، أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وعلى آلهِ قمة جَبَلٍ فَعلا أعلاها ونادى : يا آلَ عبدِ مَناف ، إنّي نَذير ، وإنّما مَثَلي ومَثَلُكم كمَثَلِ رجلٍ يَرْبأُ أهلَهُ[4] . فرأى العدوَّ فخشيَ أن يَسْبقُوه[5] فجعلَ يهتف وينادي : يا صَباحاه !

٥٦١ – الدُّبُول : الجَداول ، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تُدْبِلُ أي تُصْلح ، قال

---

٥٥٩ بهجة المجالس ١ : ٩٦ وربيع الأبرار ١ : ٣٨٤ – ٣٨٥ .

٥٦٠ لهذا الحديث صور مختلفة ، فقد جاء في مسند أحمد ١ : ٢٨١ قال : صعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً الصفا ، فقال : يا صباحاه يا صباحاه . قال : فاجتمعت إليه قريش فقالت له : ما لك ؟ فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني ؟ فقالوا : بلى ، فقال : إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد . . . الخ ، وانظر أيضاً الترمذي ٥ : ١٩ – ٢٠ وكتب التفسير في آية (وأنذر عشيرتك الأقربين) سورة الشعراء : ٢١٤ .

---

١ ل : حدث . . . كما يحدث الأريب .
٢ ل : العناية .
٣ ديف : خُلِطَ .
٤ ل : مر بأهله .
٥ ل : يسبوه .

الكسائي : أرض مَدْبولةٌ : إذا أُصْلِحَتْ بالسِّرْجين ، وكلُّ شيء دَبلْتَهُ ودَمَلْتَهُ فقد أَصْلَحْتَهُ ، ومنه[1] يُقال : دامَلْتُ[2] الصديقَ إذا استَصْلَحْتَهُ . ومدفَنُ المدينة يسمى بقيعَ الغَرْقَد ، والغَرْقَدُ : شجرُ الغَضَا وكلُّ شجرٍ له شَوْكٌ ، مثل الطَّلْحِ والسَّلَمِ والسِّدْرِ والسَّمُر .

٥٦٢ – قال أعرابيّ : إنَّ اللهَ تعالى أَفْرَحُ بتوبةِ العبدِ من المضلِّ الواجد ، والظمآنِ الوارد ، والعَقيمِ الوالد .

٥٦٣ – قال أعرابيّ : رُبَّ حَرْبٍ أَنفعُ من سِلْم ، وجهلٍ خيرٌ من عِلْم .

٥٦٤ – كاتب : قد سَرَّني ردُّك لي عما التَمَستُهُ منك ليكونَ ذلك عقوبةً لي على سُوءِ اختياري لك ، وتأْديباً على قَصْدي بأملي[3] إيَّاك .

٥٦٥ – قال أَعرابيّ : رُبَّ صَبابةٍ غُرِسَتْ من لَحْظَة ، ورُبَّ حربٍ جُنِيَتْ من لَفْظة .

٥٦٦ – قال أعرابي[4] : رُبَّ وحْدَةٍ خيرٌ من جَليس ، ووحشةٍ أحَسنُ من أَنيس .

---

٥٦٢ قارن بنثر الدرّ ٦ : ١٦ حيث ورد : هو أفرح من المضل الواجد والظمآن الوارد . وكذلك نشوة الطرب : ٦٨٠ .
٥٦٥ لقاح الخواطر : ٧٧ ب .
٥٦٦ قطب السرور : ٣٦٥ «رب وحشة أمتع من جليس ، ووحدة أنفع من أنيس» . وقارن بالإيجاز والإعجاز : ١٧ حيث ورد : الوحدةُ خير من جليس السوء (لابن الزبير) .

....

١ ومنه : سقطت من ل .
٢ ل : دابلت .
٣ ل : تأملي .
٤ سقطت هذه الفقرة من ل .

٥٦٧ – قال أعرابيّ : رُبَّما أَخْطَأَ البَصيرُ قَصْدَه ، وأَصابَ الغَويُّ رُشْدَه ، وشَدَّ الأَشَلُّ زَنْدَه[١] .

٥٦٨ – قيل لكُثَيِّر : كيف تصنعُ إذا عزَّ عليك قَوْلُ الشِّعْر ؟ قال : أَطوفُ في الرِّباعِ المُحيلة ، والرِّياضِ المُعْشِبَة[٢] ، فيَسْهُلُ عليَّ أرْصَنُه . ويُسْرِعُ إليَّ أَحسنُه .

٥٦٩ – قال بعض السَّلَف : ما استُدْعِيَ شارِدُ الشِّعْر بمثل المكان الخالي ، والمُسْتَشرفِ العالي ، والماءِ الجاري ، وله أوقاتٌ يُسْرِعُ فيها أَتِيُّهُ ، ويُسْمِحُ فيها أَبِيُّهُ .

٥٧٠ – كاتب : كتبتُ عن عافيةٍ في البَدَن ، وسُقْمٍ في الحال ، فأنا بين شُكْرٍ وشَكْوَى ، وبلاءٍ جميلٍ وبَلْوَى ، أَستحقُّ بالشكرِ الزيادة ، وبالسُّقْمِ العيادَة ، أما استخبارُك عن أمري فظاهرُ أمري بالسَّلامةِ يَسرُّك[٣] ، وأما باطنُ حالي فبالاخْتلالِ يَسُوءُك[٤] .

٥٧١ – كاتب : كتبتُ وأنا سالمٌ[٥] في نَفْسي ، فأمَّا ما تَتِمُّ به السَّلامةُ فقد أخْطأني مَوْقِعُه ، لأني ببلدٍ ليس فيه عملٌ يُجْدي ، ولا حُرٌّ يُسْدي[٦] ، وأنا أحمدُ

---

٥٦٧ ورد في البصائر ٦ : الفقرة ١٠٠ .
٥٦٨ العقد ٥ : ٣٢٧ – ٣٢٨ وربيع الأبرار ٤ : ٢٥٨ .
٥٦٩ عيون الأخبار ٢ : ١٨٤ والعقد ٥ : ٣٢٦ وربيع الأبرار ٤ : ٢٥٨ .

....

١ ل : سر السيل زبده .
٢ ل : العشبية .
٣ ل : السلامة بسرط .
٤ ل : فالاحتيال أسرك .
٥ ل : متألم .
٦ ل : خير يسدى .

اللهُ حمداً يَصُونُني عن العمل إلَّا لِطاعتِه ، ويُغْنِيني عمّا[1] سواه بكَرَمِهِ وكفايته

٥٧٢ – قال أعرابيّ : من تَنَعَّمَ[2] بك بَدَنُه ، تعبَّدَ لك قَلْبُه ، ومن جهد[3] ظاهرُه فيك ، ثَقُلَ باطِنُهُ عليك .

٥٧٣ – قال أعرابيٌّ لآخَر : اجعلْ لي وَكيلاً من نفسِكَ يقومُ عندك بعُذْري ، ويخاصِمُك إلى كَرَمِكَ في أمري .

٥٧٤ – كاتب : أصبحوا في زَهْرةِ رياضِكَ راتعين ، وفي غَمْرةِ حِياضِكَ شارعين .

٥٧٥ – قال أعرابيّ : هذا مقامُ مَنْ لا يتَّكل عندكَ على المَعْذِرَة ، بل يعتمدُ منك على المَغْفِرة .

٥٧٦ – قال ابنُ الكلبي : لمَّا أُتيَ الحجّاجُ بالأَسْرى من أصحاب ابن الأشعث ، جَعَلَ يعرضهم على السَّيف حتى انتهى إلى شابٍ فيهم[4] فقال : أَصْلَحَ اللهُ الأمير ، إنَّ لي حُرْمَةً ، قال : وما هي ؟ قال : ذُكِرْتَ في عَسْكر ابن الأشْعَثِ بسوءٍ فرددتُ عنكَ الشَّتائِم وقلت للشاتم : واللهِ لقد كذبتَ في مقالتك ، وأفكْتَ في نُطْقِك ، واللهِ ما في الحجَّاج مَغْمَزٌ ولا مطعنٌ في حَسَبٍ ولا

---

٥٧٦ عيون الأخبار ٢ : ١٧١ والكامل ٢ : ١٩٥ وبهجة المجالس ١ : ٩٩ ومحاضرات الراغب ١ : ٢٣٥ وأدب الخواص : ٧٩ وربيع الأبرار ١ : ٧٣٠ و ٢ : ٥٩١ (بتصرف) .

....

١ ل : عمن .
٢ ل : ينعم .
٣ ل : عهد .
٤ ل : منهم .

نَسَب ، ولا مَفْسَدٌ في بَطْنٍ ولا ظَهْر ، فإنْ شئتَ في غيرِ ذلكَ فَقُلْ ، فقال الحجَّاج : ومن يعلمُ ما تقولُ ؟ فرمى الرجلُ بِطَرْفِهِ إلى رجلٍ بالقرب منه فقال : هذا يعلمُ ما أقول ، فقال الحجَّاج : ما تقولُ فيما قال ؟ قال : صَدَقَ أيُّها الأمير ، فقال : يُخلَّى عن هذا لِذَبِّهِ عنَّا ، ولهذا حُرْمة حفظ[1] شهادته ؛ فخلَّوا عنهما .

٥٧٧ – قال المدائني : قَدِمَ على أسد بنِ عبد الله بخراسانَ رجلٌ ، فانتظرَ قُعودَهُ للنَّاس فكان يُحْجَب عنه ، فلما دَخل إليه قال : أصلح الله الأمير ، إن لي عندَك يداً ، قال : وما يَدُكَ ؟ قال : أخذتُ بركابكَ يومَ كذا ، قال : صدقتَ ، قل حاجَتَكَ ، قال : تولّيني أَبيوَرْد[2] ، قال : ولِمَ ؟ قال : لأكسبَ مائة ألفِ درهم ، قال : فإنَّا قد أمرْنا لك بها وأقْرَرْنا صاحبَنا على عَمَله ، قال : أصلحَ اللهُ الأمير ، لم تَقْضِ ذِمامي ، قال : ولِمَ وقد أعطيتُكَ ما أمّلتَ ، وسَوَّغتُكَ ما أمرتُ لكَ به ، وأعفيتُكَ من المُحاسبَةِ أنْ صَرَفناكَ عنها ، قال : وَلِمَ تصرفني ولا يُحَبُّ الصَّرفُ إلَّا لأمرَيْن : إمَّا لعجزٍ أو لخيانةٍ ، فإنْ سَلِمْتُ منهما لم أُصْرَفْ ، قال : فأنت أَميرُها ما دامت خراسانُ لنا ، فلم يَزلْ عليها حتى عُزِلَ أَسَد .

٥٧٨ – قال المدائني : جاءَ رجلٌ إلى نَصْر بن سَيَّار فذكر قَرابةً ، قال : وما قَرابتُك ؟ قال : وَلَدَتْني وإيّاك فُلانة ، قال : قرابةُ عَوْرَةٍ ، قال : إنَّ القَرابَةَ[3]

---

٥٧٧ ربيع الأبرار : ٣٧٤ ب وشرح النهج ١٨ : ٢٠١ .
٥٧٨ شرح النهج ١٨ : ٢٠٢ .

....

١ حفظ : سقطت من ل .
٢ ل : أي ورد .
٣ ل : العورة .

مثلُ الشَنِّ البالي يَرْقَعُهُ أهلُهُ فينتفعونَ به ، قال : حاجَتَكَ ؟ قال : مائة ناقةٍ ومائة نعجةٍ رُبَّى – أي معها أولادُها – قال : أما النِّعاج فَخُذْها ، وأمّا النُّوق فنأمرُ لك بأَثْمانِها .

٥٧٩ – قال الشَّعْبي : حضرتُ مجلسَ زيادٍ وحضره[١] رجلٌ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، إنَّ لي حُرْمَةً أفأذْكُرُها ؟ قال : هاتِها ، قال : رأيتُكَ بالطَّائف وأنت غُلَيِّمٌ[٢] ذو ذُؤابةٍ وقد أحاط بك جماعةٌ من الغِلْمان وأنتَ تركضُ هذا مرَّةً برِجْلِكَ وتَنْطَحُ هذا مرةً برأسكَ وتَكْدمُ هذا مرَّةً[٣] بأسْنانِك ، وكانوا مرَّةً يَنْثالونَ عليك وهذهِ حالتك وحالهم ، ومرَّةً يَنِدُّونَ عنك وأنت تَتْبَعُهمْ حتى كاثَرُوك واستَقْوَوْا عليك ، فجئتُ حتى أخرجْتُكَ من بينهم وأنت سَليمٌ وكُلُّهم جَريح ، قال : صَدَقْتَ أنتَ أنت[٤] ذاكَ الرجل ؟ قال : أنا ذاك ، قال : حاجَتَكَ؟ قال : حاجةُ مثلي الغِنى عَن الطَّلَب ، قال : يا غلامُ أَعْطِهِ كُلَّ صفراء وبيضاء عندك ، ونظرَ فإذا قيمةُ ما يملكُ في ذلك اليوم أربعةٌ وخمسونَ ألف درهم ، فأَخَذها وانصرف ، فقيل له بعد ذلك : أنتَ رأيت زياداً وهو غلامٌ بهذه الحال ؟ قال : إي واللهِ لقد رأيتُهُ وقد اكتَنَفَهُ[٥] صبيَّان صغيران كأنَّهما من سِخالِ المَعِز ، فلولا أدركتُه لَظَنَنْتُ أنَّهما يأتيان على نَفْسِه .

٥٨٠ – وقف رجلٌ على معاويةَ وهو في مجلس العامَّة فقال : يا أميرَ

---

٥٧٩ شرح النهج ١٨ : ٢٠٢ .
٥٨٠ شرح النهج ١٨ : ٢٠٢ – ٢٠٣ .

---

١ ل : وحضر .
٢ ل : غلام .
٣ مرة : سقطت من ل .
٤ أنت (الثانية) : سقطت من ل .
٥ ل : اكتبه .

المؤمنين ، إنّ[1] لي حُرْمَةً ، قال : وما هي ؟ قال : دَنَوْتُ من ركابِكَ يوم صِفِّين وقد قَرَّبْتَ دابَّتَك لتنهزم ، ورأى أهلُ العراقِ الفَتْحَ والظَّفَر ، فقلتُ لك : واللهِ لو كانت هند بنت عُتْبَة مكانَك ما هَرَبت[2] ، واختارتْ أنْ تموتَ كريمةً أو تعيشَ حميدةً ؛ أين تهربُ وقد قلَّدَتْكَ العربُ أزمَّةَ أُمورها ، وأعطوكَ قيادَ الأعِنَّة ؟ فقلتَ لي : اخْفِضْ صَوْتَك لا أُمَّ لك ، ثم ثَبَتَّ وثابتْ حُماتك إليك وتَمَثَّلْتَ بقول عمرو بن الإطنابة[3] : [الوافر]

وقولي كلَّما جَشَأَتْ وجاشَتْ ... مكانَكِ تُحْمَدي أو تَسْتَريحي

قال : صدقتَ ، ولَوَدِدْتُ أنّك الآنَ خَفَضْتَ من صوتك ؛ يا غُلام أعطِهِ خمسينَ ألف درهم ، ولو أحسنتَ الأدبَ لأحسنَّا لك الزِّيادة .

٥٨١ – رُفِعَ إلى أنو شروان أنّ العامَّةَ تؤنِّبُ الملكَ في تقديمِهِ فلاناً وليس له شَرَفٌ أصيل[4] ولا نَسَب ، فوقَّعَ : اصطناعُنا له نَسَبٌ .

هذا الذي قاله لطيفٌ حُلْوٌ ، له وجهٌ عريضٌ في التأويل ، وعليه حُجَّةٌ قويَّة في الجِدال ، وقد كان بعضُ أصحابنا يقول : الاصطناعُ لا يشرِّفُ الجوهرَ الخسيس ، والاطِّراحُ لا يضعُ الجوهرَ النَّفيس ، وسبيلُ المَلِكِ أن يكونَ كالناقدِ

---

٥٨١ التّمثيل والمحاضرة : ١٣٣ ونثر الدرّ ٧ : ٣٨ (رقم : ٥٧) وزهر الآداب : ٢١٠ وبهجة المجالس ١ : ٣٣٥ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٤٠ ولقاح الخواطر : ٦٣/أ وربيع الأبرار ٣ : ١٨٥ « اصطناعنا إياه بيته وشرفه » .

....

١ ان : سقطت من ل .
٢ ل : ما انهزمت
٣ البيت في عيون الأخبار ١ : ١٢٦ والحماسة ٤ : ٦٨ والسمط : ٥٧٤ (وفيه مزيد من التخريج) .
٤ ل : شرف أصل .

الذي ينني[1] الزّائفَ ويقتني الجيّد ، فما انتكثت الدُّوَلُ وانتقضتِ المِلَلُ إلّا بهذا[2] التأويل الذي يُنْشِئه[3] هَوَى الملكِ في واحدٍ بعد واحد ، على[4] أنّا لا نَجْحَدُ أنْ تكونَ النَّجابةُ في بعض الخاملين ، والفسالةُ في بعضِ المُشرَّفين[5] ، لأنَّ الغرائزَ والنحائزَ مختلفات ، وكلُّ مَنْ شَوْطُهُ[6] على حَدٍّ إن زادَ مُكْرَهاً[7] في وقت نقَص مختاراً في وقت ، وأَصلُ كلِّ معروفٍ نكِرَة ، وآخرُ كلِّ معروف نكِرَة[8] ، ولكنَّ الأَوْلى بالقياس على عادةِ الناس تقديمُ مَنْ له قديم ، فليس طِلابُ الذّهَب من معدنهِ كطلب المعدن في الأرض ، على أنَّ هذه القضيّةَ في زماننا مَطْويَّة ، وهذا الشأن مَتْروك .

٥٨٢ – رُفع إلى كسرى أنَّ النَّصارى الذين بحضرة باب الملك يُقْرَفُونَ بالتجسُّس ، فوقَّعَ : مَنْ لم يظهرْ ذنبُهُ لم تظهرْ مِنّا عقوبةٌ لَهُ[9] .

٥٨٣ – ورُفعَ إليه أنَّ بعضَ الناس يُنْكِرُ إصغاءَ الملك إلى أَصحاب الأخبار ، فوقَّعَ : هؤلاء بمنزلةِ مَداخل الضِّياء إلى البيت المُظْلم ، وليس لقطعِ موادِّ النُّور مع الحاجة إليه وَجْهٌ عند العُقَلاء .

قال بعض أصحابنا : أما الأصلُ في هذا التَّدبير فصحيح ، لأنّ الملك مُحتاجٌ إلى الأخبار ، ولكنَّ الأخبارَ تنقسم إلى ثلاثةِ أوجُهٍ : خَبَرٌ يتَّصلُ بالدِّين ، والواجبُ عليه أن يُبالغَ ويَحْتاطَ في حفظهِ وحراستهِ ونَفْي القَذَى عن طريقهِ

---

١ ل : يتقي .
٢ ل : فما سلب الملك إلا بهذا .
٣ ل : ينشب .
٤ على : سقطت من ل .
٥ ل : المشهرين .
٦ ل : شرط .
٧ ل : بكرها .
٨ وآخر . . . نكرة : سقط من ل .
٩ ل : عقوبته .

وساحته ؛ وخَبَرٌ يتّصل بالدَّولة ورُسومِها ، فينبغي أن يتيقَّظ في ذلك خوفاً من كيدٍ ينفذُ وحيلةٍ تتمُّ ؛ وخَبَرٌ يدورُ بين النَّاسِ في مُتَصَرَّفِهم وشأنِهم وحالهم ، حتى إذا زاحَمْتَهم فيه اضْطَغَنوا عليك وتَمَنَّوْا زوالَ ملكك ، وأَرْصدوا العداوةَ لك ، وكانوا عليكَ مع عدوِّك . وإنَّمَا لَحِقَ الناسَ من هذا الخبرِ هذا[1] العارضُ لأنَّ في مَنْعِ الملك إيَّاهم عنه وتَتَبُّعِهِ لهم كَرْباً على قلوبهم ، ولهيباً[2] في صُدورهم ، فلا بُدَّ لهم في الدَّهرِ الصالح ، والزمانِ المعتدل ، والخِصْبِ المتتابع ، والسبيلِ[3] الآمن ، والخيرِ المتَّصل ، من فُكاهةٍ وطِيبٍ واسترسالٍ وأشَرٍ وبَطَر ، وكلُّ ذلك من آثار النعمةِ الدَّارَّة ، والقلوبِ القارَّة ، فإنْ أغضى الملكُ بَصَرَهُ على هذا القِسمِ عاش محبوباً ، وإنْ تَنكَّرَ لهم فقد جعلهم أعداءً ، والسلام .

٥٨٤ – ورُفِعَ إلى أنو شروان أنَّ عامِلَ الأهوازِ قد جَنَى من المالِ ما يزيدُ على الواجب ، وأنَّ ذلك يُجْحِفُ بالرعايا ، فوقَّع : يُرَدُّ هذا المال على هؤلاءِ الضُّعَفاء ، فإنَّ تكثيرَ المَلِكِ لماله بِظُلْمِ رعيَّتِهِ بمنزلةِ من يُحَصِّنُ[4] سُطُوحَهُ بمَا اقتلَعَهُ من قَواعِدِ بُنْيانِه .

٥٨٥ – ورُفِعَ إليه أَنَّ الأمرَكان خَرَجَ باختيارِ رجلٍ للشرطة ، وقد سُمِّيَ لذلك فلان ، فوقَّعَ : يُحْتاجُ لهذا العمل إلى رجلٍ في طباعهِ البِغْضَةُ[5] للأشرار ،

---

٥٨٤ ربيع الأبرار ٢ : ٨٢٢ .

....

١ ل : هو .
٢ ل : ولهباً .
٣ ل : والسبل .
٤ ل : حصن .
٥ ل : النقيصة .

واستقصاءُ أُصول الأموال ، والغِلْظةُ على الظَّلَمَة ، والرِّقةُ على الضُّعَفاء ، وهذا رجلٌ يُخْتارُ لغيرِ هذا العمل[1] .

٥٨٦ – قال أبو سعيد السِّيرافي : إنَّ هذا لِزَيْدٍ ، إذا كان المشارُ إليه هو زَيْدٌ ، وكَسَرُوا اللّامَ ليزولَ اللَّبْسُ ، وأصلُها الفَتْحُ ، لأنَّ الباب في الحروفِ المُفْرَدةِ أَن تُبْنَى على الفَتْح ، فإذا وصَلْتَها بالمَكْنيِّ عادتْ إلى أصلِها من الفَتْح ، وذلك قولُه : إنَّ هذا لهُ ، وإنّ هؤلاءِ لَنا ، لأنَّك تقول في مَكْنيِّ المرفوع : إنَّ هذا لأنا[2] ، وإنَّ هؤلاءِ لَنَحْنُ ، وإن هذا لَهُوَ ، وأنشد : [الطويل]

وإنّي امرؤٌ من عُصْبَةٍ خِنْدِفيَّةٍ أَبَتْ للأَعادِي أَنْ تنيخَ رقابَها

٥٨٧ – قال يحيى بن غسَّان : عاتَبْتُ غَسَّان[3] بنَ عَبَّاد في اقتصادِهِ في ملبسه فقال : مَنْ عَظُمَتْ مَؤونَتُهُ على نفسِهِ قَلَّ نَفْعُهُ على غيره[4] .

٥٨٨ – أنشد السِّيرافي : [الكامل]

فَصَددْتُ عن أَطْلالِهِنَّ بِجَسْرَةٍ عَيْرانةٍ كالقَصْر ذي البُنْيانِ[5]
كَسفينةِ الهنديِّ طابَقَ ظَهْرَها بسقائف مَكْسُوحَةٍ[6] ودِهانِ
فكأنَّها هي بَعْدَ غِبِّ[7] كَلالِها أوْ أَسْفَعُ الخَدَّيْنِ شاةُ إِرانِ

---

٥٨٨ الشعر للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه : ١٤٠ وما بعدها (الأبيات : ٨ ، ١٤ ، ١٦) ، والثالث منها في اللسان والتاج (أرن) .

١ ل : يختار لهذا العمل .
٢ ل : لأنت .
٣ ل : بن حسان عاتبت حسان .
٤ ل : فما فضله على غيره .
٥ الجسرة : الناقة الصلبة ؛ عيرانة : تشبه العير أي حمار الوحش .
٦ الديوان : طابق درءها بسقائف مشبوحة ؛ والمكسوحة : المقشورة .
٧ ل : يوم شب .

يَعْني ثوراً وحشيًّا ، ويسمّى الثورُ الوحشيُّ شاةً ، والبقرة الوحشية شاةً ، وإرانٌ : نشاط ، أرِنَ يأرَنُ أرَناً والاسمُ الإرانُ ، يقال : الإران : كِناسُ الوَحْش ، ويقال : الإران : سَريرُ الميت ، ومنه قولُ طَرَفَة[1] :

* أمُونٍ كألواحِ الإرانِ نَسأْتُها *

٥٨٩ – فأمَّا قولُه : ها أناذا وها نحْنُ أُولاءِ ، وها هو ذاك ، وها أنتَ [ذا] ، وها أنتم أُولاءِ ، وها أَنتُنَّ أُولاءِ ، فها للتنبيه ، والأسماءُ بعدها مبتدآتٌ ، والخبر أسماء الإشارة ذا وذلك ، وإنْ شئتَ جعلتَ الضميرَ المقدَّم هو الخبر ، والإشارةَ هي الاسم .

وأمَّا « ها » فيجوز أن يكون مَعَ « ذا »[2] وفَصَلَ بينهما « أنت » ، والمرادُ بها أن يكون مع « ذا » ، والتقدير : أنا هذا ، ويجوزُ أنْ يكون التنبيهُ للضمير لأنهما يشتركانِ في الإبهام ؛ فأمَّا مَنْ قدَّر « ها » مع « ذا » وفصل بينهما فإنه يحتجُّ بقول زهير[3] : [البسيط]

تَعَلَّما ها لعَمْرُ اللهِ ذا قَسَماً فاقْصِد[4] بِذَرْعِكَ وانظُرْ كيف تَنسَلِكُ

وإنَّمَا هو : تَعَلَّما هذا لَعَمْرُ اللهِ قسماً ؛ ويحتجُّ أيضاً بقوله :

* فقلت لهم هذا لها ها وذا لِيا[5] *

---

١ صدر بيت ، وعجزه : على لاحبٍ كأنه ظهر برجد ؛ والأمون : الناقة التي يؤمن عثارها ، والإران : التابوت ؛ نسأتها : زجرتها بالمنسأة وهي العصا ؛ واللاحب : الطريق الواضح ؛ البرجد : الكساء المخطط .

٢ ل : يكون مفرداً .

٣ شرح ديوان زهير : ١٨٢ .

٤ ل : فاقدر .

٥ عجز بيت صدره : ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننا ، وهو من شواهد سيبويه (انظر ١ : ٣٧٩) .

والتقدير : هذا لها وهذا لي ، وإنَّما يقول القائل : هاأناذا ، إذا طُلِبَ رَجُلٌ لم يُدْرَ أحاضرٌ أم غائب ، يقال : هاأناذا ، أي الحاضرُ أنا ، وإنَّما يَقعُ جواباً ؛ تَمَّ كلامُ السِّيرافي .

٥٩٠ — قال أبو العَيْناء : لما عُزِلَ إسماعيل بن حَمَّاد بن أبي حنيفة شيَّعوهُ فقالوا : عَفَفْتَ عن أموالنا وعن دمائنا ، فقال : وعن أبنائكم ، يُعرِّضُ بيحيى ابن أَكْثَم في اللّواط .

٥٩١ — قال أبو السَّائب المخزومي : كان جدّي في الجاهلية يَكْتَني بأبي السَّائب وبه اكْتَنَيْتُ ، وكان خليطاً لرسول اللهِ صلّى الله عليه في الجاهلية ، فكان رسولُ الله صلّى الله عليه وعلى آلهِ إذا ذكره في الإسلام قال : نِعْمَ الخليطُ كان أبو السَّائب ، لا يُشاري ولا يُماري .

٥٩٢ — قال الزُّبَيْر بن بكّار : أُدْخِلَ ابنُ جُنْدَبٍ على المَهْدِي في القُرَّاء ، وفي القُصَّاص ، وفي الشعَراء ، وفي الرُّماة ، وفي المُغَنِّين ، فأجازَهُ فيهم كلِّهم .

٥٩٣ — لمَّا حَضَرَتِ الوليدَ بن عُقبة الوَفاةُ أتاهُ أَهلُ الكوفة يَدْعُونَ له ويُثْنونَ عليه فقال : يا أهلَ الكوفة ، حُبُّكم واللهِ صَلَف ، وبُغْضُكُمْ تَلَف ، وإنّي لفي آخرِ يومٍ من أيّامِ الدُّنيا وأولِ يومٍ من أيام الآخرة ، اللهمَّ إنْ كان أهلُ

---

٥٩٠ أخبار القضاة ٣ : ١٧٠ والجليس الصالح ٢ : ٢٧٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٥ . وإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة كان قاضي البصرة وعزل عنها بيحيى بن أكثم ، وتوفي سنة ١٧٦ ؛ انظر وفيات الأعيان .

٥٩١ السائب بن أبي السائب المخزومي اختلف في إسلامه فقيل قتل يوم بدر كافراً ، وقيل بل أسلم فحسن إسلامه ، وهو الأصحّ ، وهو الذي كان شريكاً للرسول ، وفيه يقول : نعم الشريك كان أبو السائب لا يشاري ولا يماري (والمشاراة : الملاحّة) ؛ وقد اضطرب الرواة حول من ينصرف إليه هذا الحديث (انظر تهذيب التهذيب ٣ : ٤٤٨ — ٤٤٩) ، والخبر الذي ذكره التوحيدي أورده الزبير في الموفقيات ، وعنه نقله ابن عبد البر في الاستيعاب : ٥٧٤ .

الكوفةِ صَدَقوا في شهادتِهم فأَصْلِني نارَ جهنَّم ، وإنْ كانوا كذبوا عليَّ فاجْعَلْ ذلك كَفَّارةً لما تعلم من ذُنوبي .

٥٩٤ – سمعتُ القاضي أبا حامد يقول : دخل بلال بن أبي بُرْدَة مسجدَ دمشق ولَزِمَ ساريةً ، وكان يُحْسنُ صلاتَهُ وتسْبيحَهُ حتى عُرِفَ بهَدْيِهِ ، فرآه عمر ابن عبد العزيز فهَمَّ بأن يجعلَ إليه من أُمورِ المسلمين[1] شيئاً فقال له خادمٌ : يا أميرَ المؤمنين ، في الأناةِ خير[2] كثير ، وفي العَجَلَةِ نَدَم ، فأَرْسِلْني إليه واسألني عنه حتى أعرضَ عليك ضميرَهُ ، فإنْ كان على ما تَحَلَّى به في ظاهِرِهِ كنتَ من تقديمِهِ وَتَوْلِيَتِهِ على يَقين ، وإنْ كان بخلافِ ذلك كَفَيْتَ نفسَكَ الاهتمامَ به ، والمسلمينَ الفِتْنَةَ ، فقال له عمر : خُذْ فيما أَلهمكَ الله ، فجاء الخادمُ إلى بلال بن أبي بُرْدَة وصَلَّى بجَنْبِهِ ، وسلَّمَ عليه وأنسَهُ ، وأخذَ في شجونِ الحديث يَسْتَنْزِلُهُ ، وألقى إليه في عُرْضِ الحديثِ ذكرَ الولاية ، وَعَرَّفَهُ ما فيها من العِزِّ في الدُّنيا وعرضِ الجاهِ ومَعُونة المسلمين ، فقبل ذلك بلالٌ وهشَّ له ، فقال الخادم : فما لي إنْ شرَعْتُ في ذلك ؟ قال بلال : عشرةُ آلاف درهم ، فوافقَهُ وانصرفَ إلى عمر وعرَّفَهُ الحالَ وحَكَى الصُّورة ، فقال عمر : لحَاهُ الله ، أتانا بدينِهِ يطلب دنيا لا تَبْقَى له .

٥٩٥ – قرأتُ بخطِّ ابن المعتزّ ، قال التَّوَّزي[3] : خرجتُ مع أبي عبيدة من المسجد فتوكَّأَ عليَّ ثم قال : أنتَ أَوْلَى مَنْ ألقينا عَبَالَتَنَا[4] عليه[5] .

---

٥٩٤ قارن بربيع الأبرار ١ : ٧٩٤ – ٧٩٥ ومحاضرات الراغب ٢ : ٤١٦ .

....

١ ل : الناس .
٢ خير : سقطت من ل .
٣ ل : الثوري .
٤ العبالة : الثقل .
٥ ل : عند الثنا عليه .

٥٩٦ – وقال أعرابيّ : اللهمَّ إنّي أعوذُ بك من خَطَرات الإثْمِ ونظَراتِ السُّوء .

٥٩٧ – قال إبراهيم النَّخَعي : إنَّ بني أُميَّة أُدْمِجوا بالحِلْم إدْماجاً .

٥٩٨ – قال عليٌّ كرَّمَ اللهُ وجهه في خطبتهِ بصفِّين : قدِّموا الدَّارع ، وأخِّروا الحاسر ، وأَميتُوا[1] الأصوات ، والتووا في أطرافِ الأسِنَّة ، وادَّرِعُوا العَجاج .

٥٩٩ – كان ابنُ سيرين إذا دُعيَ إلى وليمةٍ قال : يا جارية ، هاتي قَدَحاً من سَوِيق ، قالت : أَلَسْتَ قد دُعيتَ ؟ قال : أكرهُ أن أجعلَ حِدَّة[2] جُوعي على طعامِ النَّاس .

٦٠٠ – قال الحسن : الإنسانُ يهدُم عُمْرَهُ مُذْ سَقَطَ من بطنِ أُمِّهِ .

٦٠١ – رُئيَ بعضُ العلماءِ وهو يكتبُ من فتىً حديثاً فقيل له : ما مِثْلُكَ يكتُبُ من هذا ، فقال : أما إني أحْفَظُ مِنه ، لكنّي أردتُ أن أُذيقَهُ كأسَ الرِّياضَةِ لِيَدْعُوَهُ ذلك إلى الازدياد من العلم .

٦٠٢ – كَتب أنوشروان إلى أصبَهْبَذ خراسان : اعلمْ أنَّ عدوَّكَ الأقربَ الخُرْقُ ، وجُنْدَك الأعظمَ الرِّفْقُ .

---

٥٩٨ نهج البلاغة : ١٨٠ والبيان والتبيين ٢ : ٢٨٥ ولقاح الخواطر : ١٤/أ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ١٠١٥ (عمومية ، الورقة : ١٤١) .

٥٩٩ ربيع الأبرار ٢ : ٦٨٠ .

....

١ ل : واخفضوا .

٢ ل : حدّ .

٦٠٣ – قال ابن عبَّاس : لم يَمِلْ[1] إلى المغالبَة إلَّا مَنْ أَعْياهُ[2] سُلْطانُ الحُجَّة .

٦٠٤ – كان عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه يقول للرجل إذا استعملَهُ : إنَّ العمل كِيرٌ[3] ، فانظرْ كيف تخرجُ منه .

٦٠٥ – أَركانُ النعيم : الصِّحَّةُ والأَمنُ[4] والغِنى والشَّباب .

٦٠٦ – لرجلٍ من بني أسد : [الطويل]

فإنْ تُغْمِضُوا فالحربُ كأسٌ مَريرةٌ إذا صدَرَتْ عنها الأسِنَّةُ تَرْعَفُ
إذا ركبُوا لم يَرْكَبُوها وطيَّةً هي الغُولُ للأقوامِ حينَ[5] تَشَوَّفُ
إذا التقتِ الأبطالُ كانَ سِجالَها صفائحُ بُصْرَى والقَنا المُتَقَصِّفُ
ويُورِدُها الأقوامُ مِمّنْ يَعُلُّها رَواءٌ وَقَرْحُ القومِ لا يَتَقرَّفُ[6]
تُفَرِّقُ أُلَّافاً وتَعْتَامُ[7] سادةً وتُعْدِي الصحيحَ فهو أجْرَبُ أَكْلَفُ

٦٠٧ – قال ثعلب : يقال : ما لَهُ عَبِرَ وسَهِرَ[8] ، وما له بُثِيَ[9] بَطْنُهُ ، مثل

---

٦٠٤ البيان والتبيين ٢ : ٣٢١ ومحاضرات الراغب ١ : ١٧٤ .

....

١ ل : يمتد .
٢ ل : أغناه .
٣ ل : كثير ؛ البيان : كبر ؛ المحاضرات : كبير .
٤ والأمن : سقطت من ل .
٥ ل : نعي القول للأقوام حتى .
٦ ل : وان قريع القوم لا يتعرف .
٧ ل : وتعتاد .
٨ ل : عتير وشهير .
٩ ل : فوق .

بُعيَ ، أي شُقَّ بَطْنُهُ ، وما له عُرِنَ في أَنْفِهِ أي طُعِنَ . ويُقال : ما له مَسَحَهُ اللهُ بَرَصاً وآستخفَّهُ رَقَصاً .

٦٠٨ – قال : ويقال : أخافَهُ اللهُ وأهانَهُ ؛ ويقال : أَرانِيهِ اللهُ أغَرَّ[١] مُحَجَّلاً ، أي مقتولاً [مَحْلوقَ الرأْسِ] مقيّداً ؛ ويقال : أطفأ اللهُ نارَهُ ، أي أعْمَى عَيْنَيْهِ[٢]؛ ويقال : خَلَعَ اللهُ نَعْلَيْهِ ، أي جعله مُقْعَداً ؛ [ويقال :] جذّهُ اللهُ جَذَّ الصِّلِيّان ؛ قال ، ويقال : وصف اللهُ في حاجتك ، أي لَطَفَ لك فيها[٣] ؛ ويقال : سقاكَ اللهُ دَمَ جَوْفِكَ ؛ قال ابنُ صاعد : إذا هُرِيقَ دَمُ الإنسان هَلَكَ ؛ وقال غيرُهُ : معناهُ دَعا عليه بأن يُقْتَلَ ابنُهُ فيُضْطَرّ إلى أخْذِ دِيَتِهِ فيشرب من ألبان الإبل .

٦٠٩ – وقال ابن مهدي : تأوّبَكَ اللهُ بالعافيةِ وقُرَّةِ العين ؛ نعوذُ باللهِ من السَّيْلِ الجارِف والجيشِ الجائح ؛ يقال[٤] : نعوذُ باللهِ من أَمواجِ البلاءِ وبوائق الفِتَنِ وخيبةِ الرَّجاء .

٦١٠ – قال المبرَّد : قلتُ لمجنونٍ يوماً : أَجِزْ لي هذا البيت : [الطويل]

أرى اليومَ يوماً قد تَكاثَفَ غَيْمُهُ وإبراقُهُ فاليومُ لا شَكَّ ماطِرُ

فقال : [الطويل]

وقد حَجَبَتْ فيه السَّحائبُ شَمْسَهُ كما حَجَبَتْ وَرْدَ الخُدودِ المعاجرُ

---

٦١٠ ربيع الأبرار ٤ : ٢٥٦ .

١ ل : غرلاً .
٢ ل : عينه .
٣ ل : أحلف فيها .
٤ ل : وقال .

٦١١ – لابن أبي فَنَن : [الطويل]

أَلا رُبَّ مَكْروبٍ أُجيبَ دُعاؤهُ ... وذي أَوَدٍ قَوَّمْتَهُ فتقوَّما

ومستسلمٍ للحادثاتِ مَنَعْتَهُ ... بحَزْمِكَ أنْ يُغْتالَ أو يُتَهَضَّما

أَبى لَكَ حَزْمُ الرأْيِ إلّا صَرامةً ... وبَذْلُكَ للمعروفِ إلّا تكرُّما

خلائقُ غُرٌّ قد بَسَطْتَ ببَذْلها ... لسانَ الذي يُثْني وإنْ كان أَعجَما

جمعتَ بها شَمْلَ المَعالي فأصبحتْ ... لَدَيكَ صفايا ما يُحاذِرْنَ مقسَما

مَدَدْنا بأيدينا إليكَ فراغِبٌ ... وذو هِمَّةٍ يُمْسي له النجمُ تَوْأَما

وذو أَدَبٍ لولا رَجاؤك أَصبحتْ ... بِضاعَتُهُ مَرْدودَةً حيثُ يَمَّما

٦١٢ – قال المفجّع : حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال ، سمعتُ أبا عثمان المازني يقول : تزوَّج رجلٌ من بَكْر بن وائل امرأةً من بني دارم ، فأراد نقلَها إلى أهله ، وكان معها بَكْرٌ فجعل البكرُ يحِنُّ ، فقالت : [الطويل]

ألا أيُّها البَكرُ اليمانيُّ إنّني ... وإياكَ في بكرٍ لمُغْتَرِبانِ

تَحِنُّ وأبكي إنَّ ذا لَبَليَّةٌ ... وإنّا على البلوى لمُصْطَحبانِ

٦١٣ – وقال : ﴿إلّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ (البقرة : ٢٦٧) ؛ الإغماض : الاقتصار على [ما] دونَ الحقّ .

٦١٤ – قال أبو حنيفة : حدَّثنا الرِّياشي عن محمد بن سلّام قال : يقال : الخاطِبُ أحلَى شيءٍ لساناً ، وعلى لسانِ كلِّ خاطبٍ تَمرة ، وهو من الحَلاوة .

٦١٥ – قال أبو عثمان : سمِعتُ أبا زيدٍ يقول ، الكلابيّون يقولون : ﴿وإنْ جَنَحُوا للسَّلْمِ فاجْنُحْ[1] لها﴾ (الأنفال : ٦١) . وسمعتُ أبا السمال

---

١ قراءة مصحف عثمان : فاجْنَح (بفتح النون) .

يقرأ : ﴿وَحَبَطَ[1] مَا صَنَعُوا فيها﴾ (هود : ١٦) ؛ قال : وسمعتُهُ يقرأُ : ﴿فَسَوْفَ يكونُ لَزَاماً[2]﴾ (الفرقان : ٧٧) ؛ وسمعتُهُ يقرأُ : ﴿إِنَّكُمْ لَذَائقو العَذَابَ الأَلِيمَ[3]﴾ (الصّافّات : ٣٨) ؛ قال : وسمعتُهُ يقرأ : ﴿قُلَ الحَقُّ﴾ (الكهف : ٢٩) - بفتح اللام[4] - ، ويقرأ أيضاً : ﴿فَحَاسُوا[5] خِلَالَ الدِّيار﴾ (الإسراء : ٥) .

٦١٦ - قال الرِّياشي : ما جاء من الجمع على فَعِيل : كلبٌ وكَلِيب ، وعبدٌ وعَبِيد ، وطسٌّ وطَسِيس[6] ، ويَدٌ ويَدِيّ ، وأَنشد[7] : [الطويل]

فَلَنْ أَذْكُرَ النُّعْمانَ إِلَّا بصالحٍ   فإِنَّ له عندي يَدِيًّا وأَنْعُما

٦١٧ - قال : والحِرْمِدُ والثَّأْطُ والحَمْأَةُ والخُلْبُ : الطِّين ؛ ويقال بيت مَخْلُوبٌ أي مُطَيَّن .

٦١٨ - قال التَّوَزي[8] : البَلْذم[9] : ما تَدَلَّى من الصَّدْر ؛ قال الأصمعي : وقيل بِلْدَامَة[10] ، وهو المُضْطرِب .

٦١٩ - يقال : قِدْرٌ لزبَةٌ أي عظيمة ، وغنمٌ خَليطَةٌ إذا كانت عِظاماً .

....

١ قراءة المصحف : وحَبِطَ (بكسر الباء) .
٢ قراءة المصحف : لِزاماً (بكسر اللام) .
٣ قراءة المصحف : العذابِ الأليمِ (بكسر الباء والميم) .
٤ في المصحف (قل) هي بكسر اللام .
٥ قراءة المصحف : فجاسوا (بالجيم المعجمة) .
٦ ل : ونلس وفليس .
٧ البيت للأعشى في ديوانه : ٢٥٧ واللسان والتاج (يدي) ، وينسب أيضاً إلى ضمرة بن ضمرة النهشلي وإلى النابغة .
٨ ل : الثوري .
٩ اللفظة غير معجمة في ل .
١٠ البلدامة : الثقيل في المنظر البليد في المخبر المضطرب الخلق .

٦٢٠ – وقال عليٌّ بن أبي طالب رضيَ اللهُ عنه : لِسَانُ المرءِ سَيْفٌ يخطرُ في جَوانحهِ .

٦٢١ – قال وَهْب : الدنانيرُ والدراهمُ خَواتيمُ اللهِ في أرضهِ[1] ، فمَن ذهبَ بخاتَمِ اللهِ قُضِيَتْ حاجتُهُ .

٦٢٢ – قال معاوية : كانَ أبو سفيانَ طويلَ الأناةِ بعيدَ القَعْر ، نائمَ الهَوى يَقظانَ الرأي .

٦٢٣ – قال عمر : أَدِرُّوا للمسلمينَ لَقْحَتَهُم ، أي العَطاء .

٦٢٤ – قال ابن عبّاس : المطرُ بَعْلُ الأرض .

٦٢٥ – وقال النبيُّ صلّى اللهُ عليه وعلى آله : كلُّ صلاةٍ ليس فيها قراءةٌ فهي خِداج .

٦٢٦ – وقال عليه السلام : خَيْرُ الناسِ رجلٌ مُمْسِكٌ بعنانِ طِرْفِهِ[2] ، كلَّما سمعَ هَيْعَةً طارَ إليها .

٦٢٧ – يقال : كَرِشُ الرجل : جَمَاعَتُهُ ، وعَيْبَتُهُ : موضعُ سِرِّهِ ؛ قال

---

٦٢١ قول وهب في حلية الأولياء ٤ : ٥٣ .
٦٢٥ الجامع الصغير ٢ : ٩٣ : «لا يقرأ فيها بأم الكتاب» ، وهو في مسند أحمد .
٦٢٦ الجامع الصغير ٢ : ٩ ، «خير الناس في الفتن رجل آخذ بعنان فرسه خلف أعداء الله . . .» ، وانظر لباب الآداب : ١٦٢ وربيع الأبرار ٣ : ٣٠١ .
٦٢٧ الحديث في البخاري (مناقب الأنصار : ١١) ومسلم (فضائل الصحابة : ١٧٦) والترمذي (مناقب : ٦٥) ومسند أحمد ٣ : ١٥٦ و ١٧٦ و ١٨٨ و ٢٠١ و ٢٤٦ و ٢٧٢ .

....

١ ل : الأرض .
٢ ل : فرسه .

النبيُّ صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ : الأنصارُ كَرِشي وعَيْبَتي .

٦٢٨ – وكان جرير بن حازم يَتَنَقَّصُ صالحَ بن عبد القدوس ، فقال صالح : [البسيط]

قُلْ للذي لستُ أدْري مِنْ تَلَوُّنِهِ ... أناصِحٌ أَمْ على غِشٍّ يُداجيني
إنّي لأُكثِرُ ممَّا سُمْتَني عجَباً ... يَدٌ تَشجُّ وأخرى مِنْكَ تأْسُوني
تَغْتابُني عند أقوامٍ وتَمْدحُني ... في آخرينَ وكُلٌّ عَنْكَ يأتِيني
هذانِ شيئانِ شتّى بَوْنُ بَيْنِهما ... فاكْفُفْ لِسانَكَ عن شتمي وتَزْييني
أرْضَى عَنِ المرءِ مَا أصْفَى خَليقَتَهُ ... وليسَ شيءٌ معَ البَغْضاءِ يُرْضيني[1]

٦٢٩ – قال ثعلب : العربُ تقول : أَنا لُوَمَةٌ وأخي عُذَلَةٌ ، أي أنا أعْذُلُهُ وهو يَلُومُني .

٦٣٠ – قال أبو العتاهية لابنهِ يوماً : يا بُنيَّ ، إنَّك لا تصلحُ لمشاهدةِ الملوك ، قال : لِمَ يا أَبةِ ؟ قال : لأنَّك باردُ المُشاهَدة ، حارُّ النَّسيم ، ثَقيلُ الظِّلّ .

٦٣١ – من أَمثال العرب : رُبَّ كلمةٍ تقولُ لصاحِبها دَعْني .

---

٦٢٨ بهجة المجالس ١ : ٧١٨ – ٧١٩ ، ومنها أربعة في الصداقة والصديق : ٢٤٥ – ٢٤٦ وربيع الأبرار ٢ : ١٦ ، واثنان في محاضرات الراغب ٢ : ٢٤ . وجرير بن حازم الأزدي العتكي أبو النضر البصري والد وهب ، روى له الجماعة ووثقه الناس ، ولكنه تغير قليلاً قبل موته ، وله أحاديث فيها غرابة ونكارة ، وتوفي سنة ١٧٠ أو ١٧٥ ؛ ترجمته في تهذيب التهذيب ٢ : ٦٩ – ٧٢ والوافي ١١ : ٧٧ (وانظر حاشيته لمصادر كثيرة) .

٦٣٠ الشريشي ٣ : ٥١ وقد مرَّ في البصائر منسوباً لغير أبي العتاهية .

٦٣١ مجمع الميداني ١ : ٢٠٦ وانظر البصائر ٤ : الفقرة ٧٣٣ (وفيه تخريج) .

---

[1] لم يرد البيت في ل .

٦٣٢ – قال أحمد بن حنبل : ما شَبَّهْتُ الشبابَ إلّا بشيءٍ كان في كُمِّي فسَقَطَ .

٦٣٣ – قال ابنُ شَوْذَب : قدم أبو مُسْلِم فتلقّاهُ ابنُ أبي لَيلى فقبّلَ يدَ أبي مُسْلم ، فقيل له : تُقَبِّلُ يدَ أبي مُسْلم ؟ فقال : قد تَلَقّى أبو عُبَيْدة بن الجرَّاح عمرَ ابن الخطّاب فقبّل يدَهُ ، فقيلَ له : أَتُشَبِّهُ أبا مُسْلم بعمر بن الخطّاب[1] ؟ فقال : أفتشبِّهُوني بأبي عُبَيْدة ؟

٦٣٤ – قال ابنُ عَبّاس[2] : سمعتُ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم يخطبُ بمنىً ، فقال للأنصار : أَلَمْ تكونوا ضُلّالاً فَهداكُمُ اللهُ تعالى بي ؟ أَلَمْ تكونوا خائفينَ فأمَّنَكُمُ اللهُ تعالى بي ؟ أَلَمْ تكونوا أَذلّاءَ فأعزَّكُمُ اللهُ تعالى بي ؟ ثم قال : ما لي أراكم لا تُجيبون ؟ قالوا : ما نقول ؟ قال : تقولون : أَلَمْ يَطْرُدْكَ قومُكَ فآوَيْناك ، وكذَّبُوك فَصَدَّقناك ؟ قال : فجثَوْا على الرُّكَبِ ، قالوا : أَنْفُسُنا وأموالُنا لك يا رسولَ اللهِ ، فأنزلَ اللهُ تعالى : ﴿ قُلْ لا أسأَلُكُمْ عليهِ أَجْراً إِلّا المَوَدَّةَ في القُرْبَى ﴾ (الشورى : ٢٣) .

٦٣٥ – قال الضَّحّاك : قال ابنُ عبّاس في قولهِ : ﴿ قُلْ لا أسأَلُكُمْ عليه أَجْراً إِلّا المودَّةَ في القُرْبَى ﴾ نُسِخَتْ بقولهِ تعالى : ﴿ ما سَأَلْتُكُمْ مِنْ أجْرٍ فَهُوَ لَكُم ﴾ (سبأ : ٤٧) .

---

٦٣٢ ربيع الأبرار ٢ : ٤٦٣ .
٦٣٣ ربيع الأبرار : ١٣٤/أ (٢ : ٣٠٢) . وعبد الله بن شوذب الخراساني أبو عبد الرحمن البلخي، نزيل البصرة ثم بيت المقدس ، محدّث ثقة ، توفي سنة ١٤٤ أو ١٥٦ وقيل غير ذلك ؛ انظر تهذيب التهذيب ٥ : ٢٥٥ .

---

[1] ابن الخطّاب : لم ترد في ل .
[2] ل : قال ابن الجراح .

٦٣٦ – ذُكِرَ السُّعَاةُ في مجلس بعض الأشراف فقال أحدُ القومِ : كَفاكَم أنَّ الصِّدقَ محمودٌ إلَّا منهم ، وأنَّ أَصْدَقَهُمْ أخبثُهُمْ .

٦٣٧ – لعيسى بن أرطأة في المَهْدي : [الرجز]

الآنَ قرَّ المُلْكُ في مَقَرِّهْ وابتسمَ العباسُ عن مُفْتَرِّهْ
وسَكَنَتْ هامةُ مُقْشَعِرِّهْ إلى بني العبَّاس أهلِ سِرِّهْ
وَمَنْهَلٍ طعنتُ في مُغْبَرِّهْ وقد دَجا اللّيلُ بمكفَهِرِّهْ
بِنَاعجٍ ينفحُ ثِنْيَ درّهْ كأنّه في فَرِّهِ وكَرِّهْ
قِدْحٌ أدَرَّتْهُ يَدا مُدِرِّهْ[1] إلى إمامٍ عَمَّنا بِبِرِّهْ

٦٣٨ – للعُقَيْلي أستاذ عليّ بن الجَهْم : [الطويل]

أَرى أَلِفَاتٍ قد كُتِبْنَ على رَاسِي بأقلامِ شَيْبٍ في صَحائفِ أنقَاسِ
فَإِنْ تَسْأليني مَنْ يُمِلُّ حُروفَها فكفُّ اللّيالي تستمدُّ بأنْفاسي
جَرَى في جُلودِ الغانياتِ لشَيْبَتي قُشَعْرِيرةٌ من بَعْدِ لينٍ وإيناسِ
وقد كنتُ أَجْري من هَواهُنّ[2] مرةً مَجاري نعيمِ الماءِ من قُضُبِ الآسِ

٦٣٩ – دخل سفيان الثَّوري على المهدي وهو بمكَّةَ فقال له : حدثنا أبو

---

٦٣٦ قارن بما ورد في عيون الأخبار ٢ : ٢٠ والعقد ٢ : ٣٣٣ .

٦٣٧ حركة رويّ هذا الرجز قد تكون سكوناً أو كسرة .

٦٣٨ لعل العقيلي هو الجهم بن بدر معلم علي المذكور في طبقات ابن المعتز : ٣١٩ .

٦٣٩ أيمن بن نابل الحبشي أبو عمران المكي نزيل عسقلان مولى آل أبي بكر محدّث ليس بالقوي كان لا يفصح وفيه لكنة ، وعاش إلى خلافة المهدي ، وممن حدّث عنهم قدامة بن عبد الله بن عمار الكلابي أبو عبد الله العامري ، محدّث روى عن الرسول وفيه لين ، وتفرد بحديثه أيمن ؛ انظر ترجمة أيمن في تهذيب التهذيب ١ : ٣٩٣ وترجمة الكلابي في المصدر نفسه ٨ : ٣٦٤ .

....

١ ل : قدم أذنيه بدا بدره .

٢ ل : من مجرى هواهن .

عمران أيمن بن نابل[1] عن قُدامة بن عبد الله بن عمّار الكلابي قال : رأيتُ رسولَ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم يرمي جَمْرَةَ العَقَبة يومَ النَّحْرِ لا ضَرْبَ ولا طَرْدَ ، ولا إليك إليك ؛ وقد رأيتُ النَّاسَ يُضْرَبُونَ بين يدَيْك ؛ وجاء عن عمر بن الخطاب رضيَ اللهُ عنه أنَّهُ أنفقَ في حجَّةٍ حَجَّها ثَمانيةَ عشرَ ديناراً وقال : ما أحسبُ هذا إلّا سَرَفاً في أموال المسلمين ، وما أراك تدري كمْ أنفقتَ ؛ فقال المهديُّ : لو كان المنصورُ حيًّا ما احتملَ هذا الكلامَ منك ، فقال سفيان : لوكان المنصورُ حيًّا ثم أخبرَكَ بمَا لقيَ ما استقرَّ بك مجلسُكَ .

٦٤٠ – قال الفضل بن سهل : الناسُ بين نعمةٍ ومصيبةٍ ، وفيهما الابتلاءُ والمِحْنة ، ثم لا تلبث المصيبة إذا أُخِذَ فيها بأدبِ الله تعالى أن تعودَ نِعْمةً قد تصرَّمَتْ أيامُ كُرْهِها وبقيَ مأمولُ أجْرِها ، ولن تلبثَ النعمةُ إذا ضُيِّعَ ما يجبُ فيها من الحقِّ أن تعودَ مصيبةً تنصرِم أيامُ بَشاشَتِها وتطولُ في العاقبة حَيْرَةُ أهْلِها .

٦٤١ – شاعر : [الطويل]

فلا تُنْكري فَيْضَ الدُّموعِ فإنَّها   مَعاذيرُ عَيْنٍ فاتَها ما تُؤمِّلُ

٦٤٢ – قال الحسن : عَرَبيٌّ مُقْتَصِد أَحَبُّ إليَّ من مولى مُجْتَهد .

٦٤٣ – حَبَوْكَرَى وأُمُّ حَبَوْكَرَى : داهية ؛ قال : والحَبَوْكَرَى : رَمْلَةٌ يَضِلُّ فيها سَالكُها ثم صارت دَاهية ، هكذا قال ثعلب في أسماءِ الدَّواهي .

٦٤٤ – قال ثعلب : إنَّهُ لَضَبُّ تَلْعَةٍ ، ما يُؤْخَذُ مُذْنِباً ولا يُدْرَكُ حَفيراً[2] ، أي لا يؤخَذُ بذنبِهِ ولا يُلْحَقُ لِبُعْدِ حُفْرَتِهِ .

---

٦٤٢ ربيع الأبرار ١ : ٤٠٢ .

....

١ ل : وائل .
٢ ل : حفره .

٦٤٥ – قال ثعلب : يقال : كذَبَ واختلَقَ ، وإنّه لَزَلُوقٌ أي كذوب ، ويقال : كَذوبٌ[1] مُمزِجٌ أي يَمزجُ حقًّا بباطل ، وأنشد : [الرجز]

لا تَقْبَلَنْ قَولَ كَذُوبٍ مُمْزِجِ　　أطلسَ وَغْدٍ في دَريسٍ مُنْهجِ

٦٤٦ – قال ثعلب : يقال : لا أبقَى اللهُ لك سارحاً ولا جارحاً ، أي لا أبقى اللهُ له مالاً ، والجارِحُ : الحمارُ والفَرَسُ والشّاءُ ، وليستِ الإبلُ والرقيقُ من الجَوارح ، وإنّما سُمِّيتِ الجوارح لجروحِ آثارِها في الأرض ، وليس للآخر جروح .

٦٤٧ – قال ابن عبّاس : لمّا بلغ النبيَّ صلّى اللهُ عليه وعلى آله هجاءُ الأعشى عَلْقَمة بن عُلاثَةَ نَهى أحداً من أصحابه أن يرويَ هجاءَهُ أو يَهْجُوَهُ أحدٌ منهم ، قالوا : يا رسولَ الله ، ما السبب ؟ قال : إنَّ أبا سُفيان شَعَّثَ منّي عند قيصر فردّ عليه عَلْقَمَةُ وكذّب أبا سفيان .

٦٤٨ – قال ابن عبّاس : قامَ شابٌّ من الأنصار إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال : [البسيط]

اذْكُر بلائيَ إذْ فاجاكَ ذو سَفَهٍ　　يومَ السَّقيفةِ والصِّدّيقُ مَشْغُولُ

---

٦٤٥ ليس في مادة (زلق) في اللسان ما يفيد معنى الكذب ، ولعلَّ الصواب « زروق » إذ يقال : رجل زراق أي خداع ، ورجل مزّاج وممزّج هو المخلط الكذاب ؛ والدريس : الثوب الخلق ، والمنهج : البالي .

٦٤٦ السارحة : الماشية ، والجارحة : الكاسب ، يقال : ما له جارحة ، أي ما له أنثى من الخيل والإبل والحمير ذات رحم تحمل ، وهذه هي جوارح المال لأنها تلد .

٦٤٧ راجع ما تقدّم في هذا الجزء في نهي الرسول عن رواية هجاء الأعشى في علقمة ص : ٧٦ . وربيع الأبرار ٤ : ٣١٧ .

٦٤٨ ربيع الأبرار : ٣٩٦ ب (٤ : ٣١٧)

....

[1] ويقال كذوب : سقط من ل .

قال : وكان الفتى قد رَدَّ عن عمر قولَ سَفيهٍ من مَوالي الأنصار كلاماً أغلظَ فيه لعمر فقال عمر رضي الله عنه : أنا ذاكرٌ لبلائك ، ثم قال بأعلى صوته : أُدْنُ مني ، فدنا منه الشابُّ فأخذ بيدهِ حتى استشرف الناس وقال : أَلا إنَّ هذا ردَّ عني سَفيهاً من قومهِ يومَ السَّقيفةِ ، ثم حملَهُ على نجيبٍ وزاد في عَطائه وولَّاهُ صَدَقةَ قومهِ ، وقرأ عمر : ﴿هَلْ جزاءُ الإحْسَانِ إلَّا الإحْسَانُ﴾ (الرحمن : ٦٠) .

٦٤٩ – عَرض رجلٌ لسعيد بنِ العاص وهو أميرُ الكوفة فقال : أيَّد اللهُ الأمير ، يدي عندك بيضاءُ ، قال : وما هي ؟ قال كَبَتْ بك دابَّتك[1] فيمَا بين الحيرة والكوفة ، وقد تقدَّمْتَ غِلْمانَكَ ، فهويتُ إليك فجذبتُ بضبعكَ ، وهَزَزْتُكَ مراراً ، ثم سَقَيْتُكَ ماءً ، ثم دنوتُ من رِكابك فأخذتُهُ حتى ركبتَ ، قال : فأين كنتَ عني من ذاك ؟ قال : حُجِبْتُ عنك ، قال : قد أمرنا لك بمائتي ألف درهم وما يملكُهُ الحاجبُ تأديباً له إذ حَجَبَ مثلَكَ وهذه وسيلتُكَ ؛ فإذا ما يملك الحاجب أضعافُ ما أعطاه .

٦٥٠ – كاتب : عرضتُ عليك مودَّتي فأعرضتَ عني ، وأعرضَ غيري عنك فتعرَّضتَ له ، فاللهُ المُستعانُ على فَوْتِ ما أمَّلْتُهُ لديك[2] ، وبه التَّعزّي عما أصبتُه منك .

٦٥١ – قال الكسائي : سمعتُ أعرابيةً من بني أسَد ، وقد كانت عُمِّرَتْ ، ونظرتْ إلى نساءٍ في هَوادج ، ورجالهن يطردونَ بهِنَّ ، وقد تُركتِ

---

٦٤٩ ربيع الأبرار : ٣٩٨/أ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ١٠٤ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ٢٠) .

....

١ ل : كنت رأيتك .
٢ ل : بك .

العجوزُ وهم يُريدُون نجعةَ ، فقالت : مَنْ أَمسى واللهِ في مثلِ حالي فقد هَلَك ، ومَنْ كان مثلَ هؤلاء فقد مَلَك ، فقال لها رجال الحيّ : ما مَلَكْنَ ؟ قالت : مَلَكْنَ واللهِ[1] عَرانينَ كريمةً ، من قبائلَ شريفة ، تعني أَزواجَهُنّ .

٦٥٢ – قال الأصمعي ، قال عيسى بن عمر : كنتُ بالباديةِ فتَضيَّفْتُ امرأةً فدخلتِ الخِباءَ فجعلتْ ترقِّق زوجَها عن قِرىً ويريغُها[2] ، فسمعتُها تقول : أنا ابنةُ الأَقْيَل ، المعمِّ المُخْوَل ، فإنْ كنتَ تجهلُني فَسَلْ ؛ وسمعتُ الزوجَ يقول : أنا ابنُ بلال ، الكريمِ العمِّ والخال . ثم أَتتني بِقُرْصٍ مثل فِرْسِنِ[3] البَكْرِ فأكلتُهُ .

٦٥٣ – كاتب : قد رأيتُك لحَقّي غَامِطاً ، وللسانِك[4] عليَّ باسِطاً .

٦٥٤ – وأنشد : [الوافر]

إذا أَنْكَرْتَ أحوالَ الصَّديقِ   فلستَ منَ التَّحيُّرِ في مَضيقِ
طريقاً كنتَ تسلكُهُ زماناً   فأسبَعَ فاجْتَنِبْهُ إلى طريقِ

٦٥٥ – آخر : [السريع]

مَنْ يَحْمَدِ الصبرَ وأسبابَهُ   فلسْتُ بالحامِدِ للصَّبْرِ
فكم سَقاني الصَّبْرُ من جُرعَةٍ   أمرَّ في الطَّعْمِ مِن الصَّبْرِ

---

٦٥٤ الشعر للعطوي في بهجة المجالس ١ : ٦٩١ والمنتحل : ١١٩ وحماسة الظرفاء ١ : ١٩٣ والصداقة والصديق : ٣٨ وشعر العطوي في « شعراء بصريون » : ٤١ .

....

١ ل : والله ملكن .
٢ ل : ودفعها .
٣ ل : برس (دون إعجام للباء) والفرسن : طرف الخف .
٤ ل : وللسايل .

٦٥٦ – أنشد أحمد بنُ الطيِّب لأبي الخطَّاب الطَّائيّ : [البسيط]

قالوا تعشَّقْتَها سمْراءَ قلتُ لهم   لَوْنُ الغَوالي ولونُ المِسْكِ والعُودِ
إنّي امرؤٌ ليسَ شأنُ البِيضِ مرتفعاً   عندي ولو خَلَتِ الدُّنيا من السُّودِ

٦٥٧ – آخر : [الطويل]

ألم تَرَ أنَّ المِسْكَ قَدْرُ حُفَيْنَةٍ   بمالٍ وأنَّ المِلْحَ حملٌ بِدِرْهَمِ

٦٥٨ – قال أبو يوسف القاضي لابن نَهيك : ما تقولُ في السَّواد ؟ قال : النُّورُ في السَّواد ، يعني : نورُ العينِ في سَوادها .

٦٥٩ – نظر ابن أبي عَتيق إلى جاريةٍ سوداءَ حالكةٍ فقال : لو ٱقْتَسَمَتْها الغواني خِيلاناً لَحظِيْنَ بها .

٦٦٠ – شاعر يهجو فتىً من بني هاشم : [السريع]

أمَّا أَبُو فهو من هاشمٍ   وأُمُّهُ ذاتُ حِرٍ عَبْلِ
مُقْرِفَةٌ حَصَّنها مُنْجِبٌ   فضاعَ فيها كَرَمُ الفَحْلِ

٦٦١ – أنشد أحمد بن الطيِّب : [الطويل]

وما النَّاسُ إلّا خادِعٌ ومَخدَّعٌ   وصَاحِبُ إسْهابٍ وآخرُ كاذِبُ

٦٦٢ – كان أبو بكر الأصمّ وهشام بن الحكم صاحب الإمامية والتَّشبيه

---

٦٥٦ الإيجاز والإعجاز : ٣٤ وربيع الأبرار : ٣٢٨ ب (٣ : ٧٢٨) .
٦٥٨ لطائف الظرفاء : ٦٢ (منسوباً لأبي يوسف) وربيع الأبرار : ٣٢٨ ب (٣ : ٧٢٨) .
٦٥٩ ربيع الأبرار : ٣٢٨ ب (٣ : ٧٢٨) والتذكرة الحمدونيه (بورسة : ٢٨ أدبيات) الورقة : ٢٦١ .
٦٦٢ أبو بكر الأصمّ المعتزلي صاحب هشام بن عمرو الفوطي ، كان يقول إن الإمامة لا تنعقد إلا بإجماع الأمة عن بكرة أبيهم ، وأن القرآن جسم مخلوق ، وأنكر الأعراض أصلاً ، وتابع=

يقولان في المسخ بالقَلْبِ ويقولان : جائزٌ أنْ يَقْلبَ اللهُ خردلةً في عِظَمِ جبل من غير أن يزيدَ فيها جسماً أو عَرَضاً ، أو ينقصَ منها جسماً أو عَرَضاً ، والأجسامُ هي الأشياء ذاتُ الطُّول والعَرْض والعُمْق ، والأعْراضُ صِفاتُها التي لا توجدُ إلَّا فيها ، ولو فارقَتْها لم تَقُم بأنفُسِها .

قال أحمد بن الطيِّب : وأما أنا فأقول : إنّ اللهَ يَمْتَحِنُ بمَا شاءَ مَنْ شاء ، كيف شاء ، ومتى شاء ، أين شاء ، وليس لنا أن نقترحَ في شيءٍ من مِحْنَةِ الزَّمان ولا المكان ، ولا المُمْتَحَن ، ولا صورة المُمْتحِن[1] ، لأنَّهُ العالِمُ بمصالحنا ، القادرُ على تصريفِ أحوالنا ، الذي يرفعُ بَعْضَنا فوقَ بَعْضٍ ليتّخِذَ بعضُنا بعضاً سُخْرِيًّا[2] ، فالممتَحَنُ بالعلم والتّمكُّنِ غيرُ الممتَحَن بالنّقصِ والتَّوْهين ، وليس لأحدٍ على اللهِ حجَّةٌ ، تعالى عمَّا يقول الظالمونَ علوًّا كبيراً .

٦٦٣ — وقال أبو العَيْناء ، قال الأصمعي[3] : دخل[4] ابنُ سَعْيَة اليهودي على معاوية فأنشده : [الطويل]

ولكنَّما دَهْري رواقٌ تحفُّهُ ... ثمانونَ ألفاً مِنْ كمِيٍّ ومُعْلَمِ
يقودون قُودَ[5] الخيل أوتارُها القَنا[6] ... إذا استمطروا جادتْ سَماؤكَ بالدَّمِ
سأطلبُ مجداً ما حَيِيتُ وسُؤْدَداً ... بماءِ شبابي أو يُوَلْوِلَ[7] مأْتَمي

= أستاذه هشاماً في أن الجنة والنار لم يخلقا إلى الآن . وله مصنفات ؛ انظر الفهرست : ٢١٤ ومقالات الاسلاميين (انظر فهرسه) وفرق وطبقات المعتزلة : ٦٥ والمقالات والفرق : ١٤ والوافي ٩ : ٢٧٠ . وفي بعض أقوالها الواردة هنا راجع الحيوان ٤ : ٧٣ .

١ ل : المحن .
٢ ناظر إلى الآية ٣٢ من سورة الزخرف .
٣ ل : الأصمعي قال .
٤ ل : نظر .
٥ ل : فوق .
٦ ل : القى .
٧ ل : يناز ل .

فقال معاوية : لمن هذا ؟ قال : لأبي ، فقال : نحنُ أحقُّ بهذا من أبيك .

٦٦٤ – قال أحمدُ بنُ الطيِّب : قال صاحبُ كتاب « الأخلاق » في الحيلة لتقبيح الغضَب عند سَريع الغضَب : إنَّ الغضْبانَ خارجُ الصُّورةِ عن الاعتدال ، أما تراهُ جاحظَ العَيْنَيْن ، باديَ العُرُوق ، دَارَّ الأَوْداج ، مضطربَ الأوصال ، مُشَوَّهَ البُنْيَة ، مختلِفَ الحركة ، مَكْدُودَ النفس ، حارَّ المِزاج ، مضْطَرِمَ الحرارة ، مَدْخولَ الرويَّة ، عارمَ الفِكْرة ، ظاهرَ العَجْز ، جاهلاً بقَدْرِ الحقّ .

قال أحمد : وإن قال آخرُ في مقابلةِ القول في وَصْفِ المُغْضَبِ وتحسينِ الغضب عنده : أما ترى هذه الحَمِيَّة ، أما ترى حُسْنَ الوفاء ، أما ترى اللَّيْثَ العَادي ، كذا واللهِ يُحْمَى الذِّمار ، ويأنفُ الأحرار ، ولهذا قيلَ : النَّار ولا العار ، هذه واللهِ عَيْنُ النائم إذا استيقظتِ الغَطارفةُ الذّادة ، عَيْنُ الساكن إذا تحركتِ القادة[1] ، هذا واللهِ كما قال جرير :

* لا أبتدي ولكن أعتدي *

وكما قال ابنُ أُم كُلْثوم : [الوافر]

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فَنَجْهلَ فوقَ جَهْلِ الجاهلينا

وكما قال الجَعْديّ[2] : [الطويل]

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم تَكُنْ[3] له بوادرُ تَحْمي صَفْوَهُ أنْ يُكَدَّرا

٦٦٥ – قال عبد الله بن صفوان : ما يسرُّني بملابسةِ الأمور حُمُرُ النَّعَم ، قيل له : ولِمَ ذاك ؟ قال : لأنَّ الأمرَ إذا غَشِيَكَ فَشَخَصْتَ له تَرَكَكَ ، وإذا تطأطأتَ له تَخَطَّاك .

---

١ ل : السادة .

٢ ديوان النابغة الجعدي : ٧٣ .

٣ الديوان : يكن .

٦٦٦ – وقال قيصر لقُسّ : ما أفضلُ الحكمة ؟ قال : معرفةُ الإنسان بقَدْرِهِ ، قال : فما أكملُ العقل ؟ قال : وقوفُ الإنسانِ عند حلمه ، قال : فما أوْفَرُ الحِلْم ؟ قال : حِلْمُ الإنسان عند استماع شَتْمِهِ ، قال : فما أصْوَنُ المروءة ؟ قال : استِبْقاءُ الإنسانِ ماءَ وجهِهِ ، قال : فمَا أكملُ المال ؟ قال : ما أُعطيَ الحقُّ منه ، قال : فمَا أحسنُ السَّخاء ؟ قال : البَذْل قبلَ المسألة ، قال : فما أنفعُ الأشياءِ ؟ قال : تَقْوَى اللهِ وإخلاصُ العَمَل[1] له ، قال : فأيُّ الملوك خيرٌ ؟ قال : أقرَبُهُمْ من الحِلْم عند المقدرة ، وأبعَدُهُمْ من الجهل عند الغضب ، ومَنْ يرى أنه لا يضْبطُ ملكهُ إلّا بالعدلِ بين رَعيَّته .

٦٦٧ – قال بعض الحكماء : أَفضلُ الحكماء مَنْ وُهِبَ له عِلْمٌ بلا عيٍّ[2] فاختار الصمتَ على الكلام إلا في موضعه .

٦٦٨ – ورُوِيَ أنَّ قُسًّا دخل على هِرَقل ملك الروم أيضاً فقال له : أَخبِرْني عمَّا بَلوْتَ من الزمان وتصَرُّفِهِ ، واختبرْتَ من أخلاقِ أهلهِ ؟ قال : قد صَحِبْنا الزمان فوجدناهُ صاحباً خوَّاناً ، ووجدنا الأنساب[3] ليس بالآباء والأمهاتِ ولكنَّها الأخلاقُ المحمودة ، وفي ذلك أَقول : [المنسرح]

لقد حلبْتُ[4] الزمانَ أشطُرَهُ ثُمَّ شَرِبْتُ الصريحَ من حَلَبي

٦٦٦ أمالي القالي ٢ : ٣٧ والعقد ٢ : ٢٥٤ ، وبعضه في ديوان المعاني ١ : ١٤١ والشريشي ٤ : ٣٩٥ – ٣٩٦ ؛ وانظر بعض حديثه مع قيصر (مما لم يرد هنا) في الشريشي ٢ : ٦٩ واللباب : ٢١ والعقد ٦ : ٣٠٦ و ٣٣٥ .

١ ل : والاخلاص للعمل .
٢ ل : علم بلاغة .
٣ ل : الأحساب .
٤ ل : بليت (دون إعجام) .

فلم أَرَ الفَضْلَ والتشرُّفَ[1] في قولِ الفتى إنّني من العَرَبِ
حتى تُرى سامياً[2] إلى خُلُقٍ يَزيدُ محمودُهُ على الحَسَبِ
ما ينفعُ المرءَ في فَهَاهَتِهِ من عقل جَدٍّ مضى وعقلِ أبِ
ما المرءُ إلّا ابْنُ نَفْسِهِ فَبِها يُعْرَفُ عند التَّحْصيل في النَّسَبِ[3]
حتى إذا الدَّهرُ غالَ مُهْجَتَهُ أَلْفَيْتَهُ تُرْبَةً من التُّرَبِ

قال أحمد : وقد قال قُسٌّ هذا ، وأنا لا أقولُ كما قال ، بل أقولُ إذا كان الفَتَى في بيتِ شَرَفٍ ولم يكُنْ له في نفسه فَضيلةٌ ، كان شَرَفُهُ زائداً في نقصهِ[4] ، وإذا كان الفتى في بيت نَقْصٍ وكانت له فضيلةٌ في نَفْسِهِ ، كان نَقْصُ أبيه زائداً في شرَفِهِ[5] ، ولكنَّ التامَّ الكامل ، والشريفَ الراجح ، والأديبَ[6] الشريف ، كما قال الأوّل[7] : [الكامل]

* وابْنُ السَّرِيِّ إذا سَرَى أسْراهُما *

ومذهَبُ قسٍّ مذْهَبُ العامريّ الذي يقول[8] : [الطويل]

....

١ ل : الشرف .
٢ ل : اسهامنا (دون إعجام) .
٣ ل : والنسب .
٤ إذا كان . . . نقصه : سقط من ل .
٥ ل : معرفة .
٦ ل : الأريب .
٧ صدر البيت : إن السريّ هو السريّ بنفسه (انظر الشريشي ٢ : ١١٦ ؛ وقد أورده في البصائر من قبل ، الجزء الأوّل ، ص : ١٣٠) .
٨ هو عامر بن الطفيل . وشعره في أمالي القالي ١ : ١٨٥ وحماسة ابن الشجري : ٧ والكامل للمبرّد ١ : ١٢٣ ولباب الآداب : ١٨٥ ومحاضرات الراغب ١ : ٣٣٤ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٧ والعقد ٢ : ٢٩١ والحيوان ٢ : ٩٥ والحماسة البصرية ١ : ٧٢ والشريشي ٣ : ٢٤٣ والتذكرة الحمدونية ٢ : رقم ١٢٥ (رئيس الكتّاب ، الورقة : ٢٤) وعين الأدب والسياسة : ٩١ وديوان عامر بن الطفيل : ٢٨ .

إنّي وإن كنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفارِسَها المتلافَ[1] في كلِّ مَوْكِبِ
فما سوَّدَتْني عامرٌ عن وِراثةٍ أبى اللهُ أَنْ أسْمُو بأُمٍّ[2] ولا أبِ
ولكنني أَحْمي حِماها وأتَّقي أذاها وأرمي مَنْ رماها بِمِقْنَبِ[3]

وقال آخر[4] : [الطويل]

وما الحَسَبُ الموروثُ لا دَرَّ دَرُّهُ بمرتفعٍ إلّا بآخَرَ مكتسبْ
إذا العُودُ لم يُثْمِرْ وإن كان شعبةً من المُثْمراتِ اعتدَّهُ الناسُ في الحَطَبْ
وللمجدِ قومٌ ساوروهُ بأنْفُسٍ كِرامٍ ولَمْ يَعْلُوا بأُمٍّ ولا بأبْ

٦٦٩ – دعا أعرابيٌّ على آخرَ فقال : لا رَشَدَ قائدُهُ ، ولا سعدَ رائدُهُ ، ولا أوْرَى قادِحُهُ ، ولا أذْكى رائحُهُ[5] ، ولا أصابَ غيْثاً ، ولا وافقَ إلّا لَيْثاً .
بعض هذا الكلام يُنْسَبُ إلى عليٍّ رضي اللهُ عنه ، وهو بالمنسوب إليه أشْبَهُ .

٦٧٠ – قال أعرابيّ : جَهْلٌ يَكْني خيرٌ من أدبٍ يُحْوِج ، ونقصٌ يُثْمِر خيرٌ من علم يَخْدَع[6] .

٦٧١ – قال أعرابيّ : مَنْ غَرَّهُ السَّراب ، تقطَّعَتْ به الأسباب .

٦٧٢ – وقال أعرابيّ[7] : لكلِّ قضاءٍ جالب ، ولكلِّ دَرٍّ حالب .

---

٦٦٩ ربيع الأبرار ٢ : ٢٣٢ .

....

١ في رواية أخرى : المشهور .
٢ في رواية : بجد .
٣ في رواية : بمنكبي .
٤ الأبيات في لباب الآداب : ٢٣٣ ورحلة النهروالي : ١٥٥ ، والأول في التذكرة الحمدونية ١ : ٢٥٤ (رقم : ٦٥٨) .
٥ ل : ولا أملى ماتحه ، وفي ربيع الأبرار : ولا أملى ماتحه .
٦ ل : يخرج .
٧ لم ترد هذه الفقرة في ل .

٦٧٣ – وقال أعرابيّ : عداوةُ ذي القرابة ، كالنّار في الغابة .

٦٧٤ – وقال أعرابيّ[١] : لكلِّ كلامٍ وعاء ، ولكلِّ بَذْرٍ مَزْرَع .

٦٧٥ – وقال أعرابيّ : أيّ امرىءٍ باشَرْتَهُ فلم يَنْتَصِح ، وغَلَقٍ سَنَّيْتَهُ فلم يَنْفَتِح .

٦٧٦ – وقال أعرابيّ : رُبَّ منعٍ أكرمُ من عطاء ، وشوكٍ أَمْهَدُ من وطاء .

٦٧٧ – وقال أعرابيّ : ليس كلُّ طالبٍ يُصيب ، ولا كلُّ غائبٍ يؤُوب .

٦٧٨ – وقال أعرابيّ : إذا أوقدوا أَشَبُّوا[٢] ، وإذا اصطنعوا أَرَبُّوا[٣] .

٦٧٩ – وقال أعرابيّ : رحم اللهُ فلاناً ، كان يَهْتَدي برأيِهِ الصَّحْب ، ويستدِلُّ بنارِه الرَّكْب .

٦٨٠ – قال أحمد بن الطيِّب : وأنا أَستحسنُ قولَ القائل : إنَّ العزيز يزدادُ بالعفو عِزًّا ، والذَّليلَ يزدادُ بالعَفْو ذُلاًّ ؛ وهذا شبيهٌ بمَا يقوله جالينوس في طِلَابِ الأدب وهو قولُهُ[٤] : إنَّ ابنَ الوضِيعِ إذا كان أَديباً كان نقصُ أبيه زائداً في فَضْله ، وابنَ الشَّريفِ إذا كان غيرَ أَديبٍ فَشَرَفُ أَبيهِ زائدٌ في نَقْصِهِ . والعلَّة في صِحَّةِ هذا القول واضحةٌ بَيِّنة ، وذلك أنَّ الشَّرَفَ في الآباء دالٌّ على مكانِ

---

٦٧٦ ربيع الأبرار : ٣٩٧/أ .

....

١ سقطت هذه الفقرة والتي تليها من...
٢ ل : شنوا .
٣ ل : ربوا .
٤ ورد هذا القول في محاضرات الراغب ١ : ٣٣٥ منسوباً لأرسطاطاليس . وهو لجالينوس في ربيع الأبرار ٣ . ٢٥٦ .

الأبناء ، فإذا دَلَّ الشرفُ على ناقصٍ في نفسهِ كان الشَّرفُ سبباً لوقوف الناسِ على عُيوبه[1] .

وفي البابِ الآخر أنَّ الناسَ فيما أتى من غير مَعْدِنِه ونَجم في غير مَنبتِهِ أشدُّ كلفاً ، ومنه أَشدُّ تعجُّباً ، إذ كانتِ الأسبابُ دونه منقطعة ، وحبالُهُ من الفَضْل مُنْفَصِمة ، فليس يخلصُ ابنُ النَّاقِص إلى الزِّيادةِ والتقديمِ بنفسِه إلا بنَفْسٍ قويَّة ، وهِمَّةٍ بعيدة ، وعنايةٍ[2] شريفة ، فلذلك شهِدَ الناسُ بالتَّقدُّم[3] لشريفٍ لو كان أديباً ، لأنَّ الممكنَ أَهْوَنُ[4] مطلباً من المتعذِّر ، والسهلَ أسهلُ مراماً من الوَعْر ، فتكلّفُ الصَّعْبِ صَعْبٌ ، وتكلُّفُ الصَّعْب في طلبِ الجميل أفضلُ أمراً ممَّن أتاهُ الفضلُ عَفْواً ، إلَّا أنَّ السعيدَ الفاضلَ والمقدَّمَ[5] الكاملَ الشريفُ الأديبُ .

٦٨١ – للنظَّام : [البسيط]

لَنْ يُدْرِكَ المجدَ أقوامٌ وإنْ كَرُمُوا	حتى يَذِلُّوا وإنْ عَزُّوا لِأقْوامِ
وَيُشْتَمُوا فتَرَى الألوانَ كاسِفةً	لا ذُلَّ ضَعْفٍ ولكنْ ذُلَّ أحْلامِ
وإنْ دَعا الجارُ لَبَّوا عندَ دَعْوَتِهِ	في النائباتِ بإسْراجٍ وإلْجامِ
مُسْتَلْئِمينَ لَهُمْ عند الوَغى زجَلٌ	كأنَّ أسيافَهُمْ أُغْرِينَ بالهامِ

٦٨٢ – قال أعرابيّ : لا يزالُ الوجهُ كريماً ما بقِيَ حياؤهُ ، والغُصْنُ نَضيراً ما بقي لِحاؤهُ[6] .

---

٦٨١ منها بيتان في عيون الأخبار ١ : ٢٨٧ والعقد ٢ : ٢٧٩ والأمالي ٣ : ٤١ ولباب الآداب : ٣٢٤ والوحشيات : ١٧٠ .

....

١ ل : عورته .
٢ ل : وغاية .
٣ ل : بالتقديم .
٤ ل : هو .
٥ ل : والمتقدم .
٦ ل : نحاره (دون إعجام) .

٦٨٣ – قال أعرابيّ : الوجهُ المصونُ بالحياء ، كالجوهر المكنُونِ في الوِعاء .

٦٨٤ – قال أَعرابيّ : رَوْنقُ صفحةِ الوَجْهِ عند الحياء ، كَفِرِنْدِ صفحة السَّيْفِ عند الجلاء .

٦٨٥ – قال أعرابيّ : ما المُتبخْتِرُ في وَشْي رِدائهِ ، بأحسنَ من المتقارب في[1] قَيْد جَيائه .

٦٨٦ – قال أَعرابيّ : اشحذْ بالعدلِ على الطاعةِ قلوبَ الأَوِدّاء ، كما تُرْهِفُ السَّيْفَ لمُقارَعةِ الأعداء .

٦٨٧ – أنشد أحمد بن الطيِّب : [الوافر]

ولا تَعْجَلْ عِلى أحدٍ بظُلْمٍ	فإنَّ الظُّلْمَ مرتعُهُ وَخيمُ
ولا تُفْحِشْ وإن مُلِّئْتَ غَيْظاً	على أحَدٍ فإنَّ الفُحْشَ لومُ
ولا تقطعْ أخاكَ لأجْلِ ذَنْبٍ	فإنَّ الذنبَ يغفرهُ الكريمُ
وما قتلَ السَّفاهةَ مِثْلُ حِلْمٍ	يعُودُ به على الجَهْلِ الحليمُ
إذا استُودِعْتَ سِرًّا فاكتُمَنْهُ	فخيرُ زَواملِ السِّرِّ الكتُومُ

٦٨٨ – قال أعرابيّ : فوتُ المعروفِ أيْسرُ من مِراس التَّسْويف .

٦٨٩ – سمعَ أعرابيٌّ كلاماً فقال : هذا كلامٌ لم يُغْتَصبْ[2] تعسُّفاً ، ولم يُقْتَضَبْ[3] تكلُّفاً .

٦٩٠ – قال أعرابيّ : الاستطالةُ عند النِّعمةِ طَبَع ، وعند النَّكبةِ ضَرَع .

---

١ في : سقطت من ل .
٢ ل : يستصب .
٣ ل : ينتصب .

٦٩١ – قال أعرابيّ : أنا[1] أستغني بِحَفيٍّ لَحْظِك عن جَفيٍّ لَفْظك .

٦٩٢ – ذُكِرَ القَدَرُ في مجلسِ عمر بن عبد العزيز فقالَ مَنْ حَضَرَهُ : فأعْلِمْنا رأيَكَ فيه ، فقال : كما أنّ بَوادي الخيرِ من الله ، فكذلك بَوادي الشرِّ منه ، وقد سَبَقَ به عِلْمُهُ .

٦٩٣ – قدم البصرةَ أُميَّةُ بنُ عبد الله [بن خالد] بن أَسيد منهزماً من أبي فُدَيك الحَروريّ ، فهابَ وجوهُ أهلِها تَلَقِّيهِ وقالوا : ما عسى أن نقولِ : الحمدُ للهِ الذي هَزَمَك ، أو الحمدُ للهِ الذي نجَّاك ؟ ثم بلغهم أنَّ خالدَ بن صفوان خرج يتلقّاه ، فخرجوا إليه ليشهدوا فضيحتَهُ ، بزعمهم ، وقالوا : ما تراه يقولُ له ؟ فلمَّا طلعَ قال له خالد : بارك اللهُ لك أيُّها الأمير في مَقْدمك ، والحمدُ للهِ الذي نظر لنا عليك ، ولم ينظر لك علينا ، فقد تَعَرَّضْتَ للشهادةِ جهدَكَ بِخِذْلان مَنْ معكَ لك ، فَعَلِمَ اللهُ فاقَتَنا إليك . فرجعوا وهم يقولون : لا يُعييهِ كلامٌ بعد هذا .

٦٩٤ – قال أعرابيّ : هو كالسَّيف إنْ مَسَسْتَ مَتْنَهُ[2] كنتَ راضياً ، وإنْ لَمَسْتَ حَدَّهُ كان ماضياً .

٦٩٥ – قال أعرابيّ : لكلِّ تَوْبَةٍ غَرْس ، ولكلِّ بناءٍ أُسّ ، وعند كلِّ مأتمٍ عُرْس .

---

٦٩٣ لباب الآداب : ٣٤١ ومحاضرات الراغب ٢ : ١٨٧ (ابن الاهتم) . وأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد الأموي ، روى عن ابن عمر وعنه المهلب بن أبي صفرة في آخرين ، وولي إمرة خراسان . ومات سنة ٨٦ أو ٨٧ ؛ ترجمته في أسد الغابة ١ : ١١٦ وتهذيب ابن عساكر ٣ : ١٣١ وتهذيب التهذيب ١ : ٣٧١ والوافي ٩ : ٤٠٦ (وانظر حاشيته) .

....

[1] ل : ما .
[2] ل : مَسَّه .

٦٩٦ – قال أعرابيٌّ لصاحبٍ له : استظهِرْ على الدهر بخفَّةِ الظَّهْرِ .

٦٩٧ – قال أعرابيّ : زَلَّةُ[1] الجبانِ في التَّقصير ، وزَلَّةُ الشجاعِ في التَّغرير ، وزَلَّةُ البخيلِ في التَّقتير ، وزلَّةُ السَّخيِّ في التَّبذير .

٦٩٨ – قال أعرابيّ[2] : هجينٌ عاقل خيرٌ من هجانٍ جاهل .

٦٩٩ – قال أعرابيّ : لا تَبْذُلْ رِفْدَك[3] لمن لا يعرفُ حقَّك .

٧٠٠ – قال أعرابيّ : رُبَّ نُطْقٍ[4] صَدَعَ جَمْعاً ، وسكوتٍ شَعَبَ صَدْعاً .

٧٠١ – قال أعرابيّ : رُبَّ حافظٍ مضيّع .

٧٠٢ – قال أعرابيّ : هذا غنىً إلَّا أنَّه مُنىً .

٧٠٣ – وقال آخر : هذا غَناء لولا أنه فَناء ، وعَلاءٌ لولا أنَّه بَلاء ، وبقاءٌ لولا أنه شَقاء .

٧٠٤ – قال أعرابيٌّ في كلامٍ له : رَمْلَةٌ حَضَنَتْني أحشاؤها ، وأرضَعَتْني أحساؤها[5] .

---

٦٩٨ ربيع الأبرار ٣ : ١٤٥ .
٦٩٩ ربيع الأبرار ٣ : ٢٤ « لا تبذل رقك » (كما في ل) .
٧٠٤ ربيع الأبرار ١ : ٣٤٧ .

...

١ ل : ذلة (حيث وردت) .
٢ سقطت الفقرة من ل .
٣ ل : رقك .
٤ ل : منطق .
٥ ل : احسارها .

٧٠٥ – قال أعرابيٌّ لصاحبٍ له : قطعتَ أوصالي إذْ صَرَمْتَ وِصالي .

٧٠٦ – وقال آخَر : الجَهْلُ أخْصَبُ رَحْلاً ، والأدبُ أكثرُ مَحْلاً[١] .

٧٠٧ – وقال آخَر : ثوبُ السفيهِ قَمِل ، وقلبُ الجاهل نَغِل .

٧٠٨ – وقال آخَر : الدُّنيا منزلُ نُقْلَة ، ومحلٌّ مُثْلَة .

٧٠٩ – وقال آخَر : أمَّا فلانٌ فَرَكوبٌ للأَهوال ، وأمّا فلانٌ فَأَلوفٌ للظِّلال .

٧١٠ – لدعبل الخزاعي : [البسيط]

إذا غَزَوْنا فمغزانا بأَنقرةٍ ... وأهلُ سَلْمى بسِيفِ البَحْرِ من جُرُتِ
هَيْهاتِ هَيْهاتِ بين المنزلَيْنِ لَقَدْ ... أنْضَيْتُ شوقي وقد أبْعَدْتُ مُلْتَفَتي
جَلَّتْ مَحَلاًّ بقُطْرِ الأرضِ مُنْتَبذاً ... تُقَصِّر الريحُ عنه كلَّما جَرَتِ
فما يَنالُ بها الهَيْمانُ مَوْرِدَهُ ... إلَّا بنصٍّ وجَذْبِ العِيسِ بالبُرَةِ[٢]
أحْبَبْتُ[٣] أهلي ولم أظْلِمْ بحُبِّهِمُ ... قالوا تعَصَّبْتَ[٤] جَهْلاً ، قولَ ذي بَهَتِ
أحمي حِماهم وأَرمي في مُعارِضِهِمْ ... وأسْتَقِلُهُمْ إذا ما[٥] رِجْلُهُمْ هَوَتِ
لَهُمْ لساني بتقريظي ومُمْتَدَحي ... نَعَمْ ، وقلبي وما تَحْوِيهِ مَقْدِرَتي

---

٧١٠ ديوان دعبل : ٧٨ وفيه التخريج ، والأبيات ٣ ، ٤ ، ٦ ، ١٠ ، ١٤ – ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ – ٢٧ ، ٣١ لم ترد في الديوان .

....

١ ل : فعلا .
٢ ل : الا تصرم جذب العيس بالكرت .
٣ ل : أصبت .
٤ ل : تعصب .
٥ ل : واستقلهم ان .

دَعْني أصِلْ رَحِمي إنْ كُنْتَ قاطِعَها   لا بُدَّ للرَّحِمِ الدُّنيا من الصِّلَةِ
لولا العَشائرُ ما رَجَّيْتَ عارفةً   ولا لحقتَ على الأيَّامِ من تِرَةِ
فاحفظْ عشيرتَكَ الأدْنَيْنَ إنَّ لهُمْ   حقًّا يُفرِّقُ بين الزوجِ والمَرَةِ
قومي بنو حِمْيَرٍ والأَسْدُ أُسْرَتُهُمْ[1]   وآلُ كِنْدَةَ والأحياءُ من عِلَةِ
ثُبْتُ الحُلومِ فإنْ سُلَّتْ حَفائظُهُمْ   سَلُّوا السيوفَ فأردَوْا كلَّ ذي عَنَتِ
هُمْ أثْبَتُ الناسِ أقداماً إذا بُغِتوا   وقلَّ ما تَثْبُتُ الأقدامُ في البَغَتِ
كم نَفَّسوا كَرْبَ مكْروبٍ وكم صَبَروا   على الشدائدِ من لأْواءَ فانْجَلَتِ
كم عَينٍ ذي حِوَلٍ فقَّأْتُ ناظرَها   وكم قطعتُ لأهل الغِلِّ من حُمَةِ
كم من عَدُوٍّ تَحاماني وقد نَشِبَتْ   فيه المخالبُ يَعْدو عَدْوَ مُنْفَلِتِ
لو عاشَ كَبْشا تَميمٍ ثُمَّتَ استَمَعا   شِعْري لماتا وماتَ الوَغْدُ ذو الرُّمَةِ
وصارَ بالعُدْوَةِ القُصْوَى يُؤَرِّقُهُ   خَوْفي فباتَ وجاشَ القلبُ لم يَبِتِ
تَقَدَّمَتْهُ بَناتُ القلبِ طائرةً   خوفاً لِضَغْمِ أبي شِبْلَيْنِ مُنْهَرِتِ
كالليثِ لَوْ أزَمَ اللَّيْثُ الهَصورُ به   ما غَضَّ طَرْفاً ولم يَجْزَعْ ولم يَصُتِ
نَفْسي تنافِسُني في كلِّ مَكْرُمَةٍ   إلى المَعالي ولو خالَفْتُها أَبَتِ
كم قد وطِئْتُ على أحشاءِ مُتْعِبَةٍ   للنفسِ كانتْ طريقَ اللِّينِ والدَّعَةِ
وكَمْ زَحَمْتُ طريقَ الموتِ مُعْتَرِضاً   بالسَّيْفِ صَلْتاً فأدَّاني[2] إلى السَّعَةِ
والجودُ يَعْلَمُ أنِّي منذُ عاهَدَني   ما خُنْتُهُ وَقْتَ مَيْسُوري ومَعْسِرَتي
والضَّيْفُ يعلمُ أني حينَ يَطْرُقُني   ماضي الجَنانِ على كَفِّي ومَقْدِرَتي
أهْوَى هَواهُ ويَهْوى ما أُسَرُّ بهِ   يَنالُ ما يَشْتَهي والنفسُ ما اشْتَهَتِ
ما يَرْحَلُ الضَّيْفُ عنِّي غِبَّ لَيْلَتِهِ   إلَّا بزادٍ وتَشْييعٍ ومَعْذِرَةِ
قالَ العَواذِلُ أوْدَى المالُ قلتُ لهم   ما بينَ أجْرٍ أُلَقَّاهُ ومَحْمَدَةِ

١ ل : أشرفهم .
٢ ل : ملتئماً دانٍ .

أفْسَدْتَ مالَكَ ، قلتُ المالُ يُفْسِدُني إذا بَخِلْتُ به والجُودُ مَصْلَحَتي
أرزاقُ رَبِّي لأقوامٍ يقدِّرُها مَنْ حيث شاء فيُجْرِيهنَّ في هِبَتي
فَلْيَشكروا اللهَ ما شكري بزائدهمْ وليَحْمَدوهُ فإنَّ الحَمْدَ ذو مِقَةِ
لا تَعْرِضَنَّ بِمَزْحٍ[1] لامرىءٍ سَفِهٍ ما راضَهُ قَلْبُهُ أجْراهُ في الشَّفَةِ
فَرُبَّ قافيةٍ بالمَزْحِ جاريةٍ مَشْبُوبَةٍ لم تُرِدْ إنماءَها نَمَتِ
رَدُّ السَّلَى مُسْتتِمًّا بعد قطْعَتِهِ كردِّ قافيةٍ من بعدما مَضَتِ[2]
إنّي إذا قلتُ بَيْتاً ماتَ قائلُهُ ومَنْ يُقالُ له والبَيْتُ لم يمُتِ

٧١١ — قال بعض شيوخ الطّبّ : الطِّبُّ ينقسمُ قسمين وهما : العلمُ ، والعمل ؛ قال : والعلمُ ثلاثةٌ : علمُ الطَّبائع ، وعلمُ الأسباب ، وعلمُ العَلامات .

وعلمُ الطبائع سبعةُ أقسام : علمُ الأُسْطُقُسّات ، وعلمُ المِزاج ، وعلمُ الأخلاط ، وعلم الأعضاء ، وعلمُ القُوى ، وعلمُ الأفعال ، وعلمُ الأرواح .

قال : والأسبابُ ثلاثةٌ : البادية والسَّابقة والواصلة .

والعلاماتُ ثلاثٌ : الحاضرة والسَّالفة[3] والآتية .

والاسطُقُسَّاتُ أربعةٌ : النَّار والهواء والماء والأرض ؛ قال : والنارُ حارَّةٌ يابسة ، والهواءُ حارٌّ رَطْب ، والماءُ باردٌ رَطْب ، والأرض باردةٌ يابسة .

والمزاجُ تسعةٌ : واحدٌ معتدلٌ وثمانيةٌ غيرُ معتدلة ، وهذه الثّمانية أربعةٌ مفردةٌ ، وهي الحارُّ والباردُ والرَّطْبُ واليابس ، وأربعة مُرَكَّبةٌ وهي : الحارُّ

---

٧١١ راجع الجزء السادس من البصائر ، الفقرة : ٥٧١ .

....

١ ل : لمدح .
٢ لم يرد هذا البيت في ل .
٣ والواصلة . . . والسالفة : سقط من ل .

اليابس ، والحارُّ الرَّطْب ، والباردُ اليابس ، والباردُ الرَّطْب .

والأخلاطُ أربعةٌ : الدَّمُ والمِرَّة الصَّفْراءُ والسَّوداءُ والبَلْغم ؛ فالدَّمُ حارٌّ رَطْب ، والمِرَّة الصَّفْراءُ حارَّة يابسة ، والبَلْغم باردٌ رَطْب ، والمِرَّةُ السَّوْداءُ باردةٌ يابسة .

والأعضاءُ قِسْمان : بسيطٌ ومركَّبٌ ؛ فالبسيط كالعَظْمِ والعَصَبِ والعُروقِ ، والمركّب كالرأسِ واليدَيْن والرِّجْلَيْن . ومن الأعضاءِ أعضاء رئيسةٌ ، وأعضاء مَرْؤوسة ، وأَعضاء ليست برئيسةٍ ولا مَرْؤوسة ؛ فالرئيسة أربعةٌ : الدِّماغُ والقَلْبُ والكبدُ والأنثيان ؛ والمرؤوسةُ ما يخدم هذه الرئيسة ، وذلك أن الدِّماغَ يخدمهُ العَصَب ، والقلبَ يخدمُهُ الشَّرايين ، والكبدَ يخدمُهُ العُروق ، والانثيان يخدمها أَوْعيةُ المَنيّ ؛ وما ليس برئيسٍ ولا خادمٍ كالعظامِ والغَضاريفِ والشَّحْمِ واللَّحْمِ والأعضاءِ التي لها قُوى رئيسة كالمَعِدَةِ والكُلَى .

والقُوَى ثلاثٌ : طبيعيةٌ ومسكنُها الكَبِد ، والقُوى الطبيعيةُ سبعٌ : القوةُ الجاذِبة ، والقوةُ المُمْسِكة ، والقوةُ الهَاضِمة ، والقوةُ المغيِّرة ، والقُوةُ الدّافعة ، والقوةُ المولِّدة ، والقوةُ الغاذية ؛ والقُوَى النفسانية ثلاثٌ : القوةُ المُحَسِّنة ، والقوةُ المُدَبِّرة ، والقوّةُ المحرِّكة . فأما القُوى المُحَسِّنةُ فهي الحواسُّ الخَمْس : السمعُ والبَصَرُ والشَّمُّ والمذاقُ واللَّمْس ؛ والقوى المُدَبِّرة ثلاثٌ : الفِكرُ ، والوهمُ ، والحِفْظُ ؛ والوَهْمُ في مَقدَّم الدِّماغ ، والفكر في وَسطِهِ ، والحفظُ في آخره ؛ والقوة المُحَرِّكة واحدة ، وهي التي تكون عنها الحركةُ الإرادية ، والانتقال من مكان إلى مكان .

والأفعال صِنفان : أحدهما بسيطٌ والآخرُ مركَّب ؛ فالبسيطُ ما يكون من قوةٍ واحدة كالجَذْبِ والإمساك ؛ والمركّبُ ما يكون بقوتَيْن كالشَّهْوة ، فإنَّها تتمّ بقوّتَيْن : إحداهُما جاذِبة ، والأخرى مُمسِكة ، وكنفوذِ الغِذاءِ فإنه يتمُّ بالقوةِ الجاذبةِ والدافعة .

والأرواحُ ثلاثٌ : الروحُ الطبيعية التي تكونُ في الكَبِد ، وتُنفذُ القوةَ

الطبيعية مع الغِذاء في العُروق إلى جميع الأعضاء ؛ والثانية : الروح النَّفْسانيَّة التي تكون في الدِّماغ ؛ والثالثةُ من الأَرواح وأهَمُّها[1] التي تنفذُ الحسَّ والحركةَ في العَصَبِ إلى جميع الأعضاء .

فهذه أقسامُ الجزءِ الأولِ من قسمَيْ الطِّبِّ وهو العلم ، وسيأتي على أثَرِه بعد قسم العَمَل كلامٌ رائق ، وحكمةٌ مَعْشوقة ، ولفظٌ مُطْرِب ، وبلاغةٌ شريفة .
وقد يقول العائب : أطَلْتَ هذا الفصلَ في الطِّبِّ حتى كأنَّ الكتاب نُصِبَ لهذا الغرض ، أو أُريدَ به هذا الباب ؛ واعلمْ أن الأمرَ ليس كذلك ، ولكن عَنَّ هذا الفصل ودَلَّ على حُسْنٍ ونَفْع ، فوجب في الرأيِ أن يَصْحَبَ جميع الغُرَر التي تقدَّمَتْهُ ليكون الكتابُ آخذاً من كلِّ أدبٍ بنصيب .

٧١٢ – سمعتُ الأنصاري يقول : إنَّ اللهَ تعالى جَعَلَ على كلِّ كلمةٍ حكمة ، وعلى كلِّ قولٍ دليلاً وحُجَّة ، ومع كلِّ دعوى برهاناً وبَيِّنة ، وعند كلِّ شُبْهَةٍ وَقْفَةً ومُهْلَة ، وفي كلِّ نازلةٍ نَصًّا[2] أو عِلَّة ، ولم يُسْقِط شيئاً عن مرتبة البَيان ، كما لم يرفَعْ أحداً فوق مَرْتبةِ التَّبيين ، فمن أحبَّ أنْ يظفرَ بالحقِّ فليُطْمِعْ نفسَهُ فيه ، مع التجرُّدِ في الطَّلَب ، والتحقُّقِ بالغَرَض ، ومفارقةِ العادة وما عليه المنشأ ، ولا يأنَسُ بتقليدِ العالِمِ حتى يتَبيَّنَ كما يتبيّنُ العالِم ، ولا يستوحشُ من وَحْدَتِهِ إذا عرفَ المطلوبَ من نفسه بكمالِ عقلِهِ مع وُضُوحِ حُجَّته .

٧١٣ – ويقال : ما الأسْوَدانِ ، والأبْيَضانِ ، والأسْوَءانِ ،

---

٧١٣ لم يورد أبو حيان في هذا الجزء تفسيراً لهذه المثنيات ، وإنما أورد تفسيرها في ما عددناه الجزء السادس . فإذا كان هذا هُو التاسع حقًّا كما أشار إلى ذلك المؤلف ، فإن ما قدرناه سادساً هو الجزء العاشر .

....

١ والثالثة . . . وأهمها : سقط من ل .
٢ ل : قضاء .

والأعْجَمانِ ، والأذفرانِ ، والأرْبَدانِ ، والأنقصانِ ، والأشْهَرانِ ، والأبْخَلانِ ، والأكْذَبانِ ، والأدفعانِ ، والأوْحَيانِ ، والأوْقَفان ، والأعْوَرانِ ، والأنْكَدانِ ، والأعْذَبانِ ، والأقْطَعانِ ، والأمْنَعانِ ، والأقْوَيانِ ، والأنْفَسانِ ، والأعْلَيانِ ، والأشْبَهانِ ، والأشْرَفانِ ، والأغْرَرانِ ، والأشْنَبانِ ، والأهْيَنانِ ؟

وسيمرُّ بك تفسيرُ هذه المثاني مستقصىً بعد أوراقٍ يَسيرة .

٧١٤ – قال يحيى بن نصر : سمعتُ أبا حَنيفة يقول : احْتَجْتُ إلى ماءٍ في البادية فجاءَ أعرابيٌّ ومعه قِربَةُ ماءٍ مَلأى فقلتُ : بكم تبيع ؟ فقال : بخمسةٍ ، فَمَاكَسْتُهُ فأبى النُّقْصان ، فدفعتُ الثَّمنَ إليه ثم قلتُ : يا أَعرابي هَلْ لك في سَويقٍ طيِّبٍ ؟ قال : إي وربِّ الكعبة ، فقدَّمْتُهُ إليه في حَفْنَةٍ ، فلمَّا استَوْفَى منه قال : اسْقني شَرْبةً ، قلتُ : واللهِ لا شَرِبْتَها إلَّا بخَمْسةٍ ، فما زال كذلك حتى اشترى منّي شَرْبَةً بخمسةٍ ، ففضلَ الماءُ عندي ، وعادتِ الدَّراهمُ .

٧١٥ – كان أبو يوسف القاضي راكباً وغُلامُهُ يعدو وراءَهُ ، فقال له رجلٌ : أتَسْتَحِلُّ أنْ تُعْدِيَ غلامَكَ ؟ لِمَ لا تُرْكِبُهُ ؟ قال : أيجوزُ عندك أن أُسلمَ غلامي مُكارياً ؟ قال : نعم ، قال : فيَعْدو معي كما يَعْدو مع الحمارِ لو كان مُكارياً .

٧١٦ – قيل لربيعة بن أبي عبد الرحمن : ما رأسُ الزَّهادَة ؟ قال : جمْعُ الأشياء من حلِّها وَوضْعها في مَواضعها .

٧١٧ – قال الأصمعي : دخلتُ البادية فرأيتُ أعرابيَّةً من أحسنِ الناسِ وَجْهاً تحت أقبحِ الناسِ وَجْهاً فقلتُ : يا هذه ، أترضينَ أن تكوني تحت هذا ؟

---

٧١٤ الأذكياء : ٧٤ .

٧١٥ ربيع الأبرار : ٢٣٦ ب (٣ : ١٧) .

٧١٧ أخبار الزجاجي : ٤٩ وربيع الأبرار ١ : ٨٤٤ ولطائف الظرفاء : ٧٤ (لطائف اللطف : ٩٧) .

قالت : يا هذا ، لبِئْس[1] ما قلتَ ، لعلّهُ أَحسنَ فيما بينه وبين اللهِ رَبِّهِ[2] فجعلني ثوابَهُ ، وأسأتُ فيما بيني وبينَ رَبّي فَجعلهُ عُقوبتي ، أفلا أرضى بما رضيَ اللهُ تعالى لي ؟ قال : فأسْكَتَتْني واللهِ[3] .

٧١٨ – قال أبو حنيفة : إذا جاء عن النبيِّ صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ شيءٌ أخذناه ، وإذا جاء عن الصَّحابةِ تَخَيَّرْنا ، وإذا جاءَ عن التّابعين زاحَمْناهُم .

٧١٩ – قال أبو مُعاذ : أهلُ الكوفة صاروا مواليَ لأَبي حنيفة لأنَّ الضّحّاك الحَرُوريَّ دَخَلَ الكوفة عَنْوةً فجلس في الجامع فحَكَمَ بقتلِ الرِّجال[4] وسَبْيِ الذّراري ، فخرج أبو حنيفةَ إليه بقميصٍ ورداءٍ فقال : أُريد[5] أن أكلِّمك بكلمةٍ ، قال : هاتِ ، قال : لأي شيءٍ استحللْتَ دخولَ هذه البلدة وترويعَ النِّساء والصِّبْيان ؟ قال : لأنَّ القومَ مُرْتَدُّون ، فقال أبو حنيفة : لَمْ يزلْ كان هذا دِينهم ، أو كانوا على غيرِ هذا ؟ فقال : كيف قلتَ ؟ أعِدْ عليَّ ، فأعادَ ، فقال الضَّحّاك : أَخْطأْنا ، أخطأنا ، أغمدوا سُيوفَكُم وارجعوا .

٧٢٠ – قال خارجة بن مصعب : دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى القضاء

---

٧١٨ مناقب أبي حنيفة ١ : ٧١ و ٧٣ – ٧٤ و ٨٠ وربيع الأبرار ٣ : ١٩٨ .

٧٢٠ في امتناع أبي حنيفة عن قبول القضاء انظر محاضرات الراغب ١ : ١٩٣ وصفحات متفرقة من مناقب أبي حنيفة . وخارجة بن مصعب بن خارجة الضبعي الخراساني السرخسي محدّث ضعيف . قال معمر الهذلي في سبب تضعيفه إن أصحاب الرأي عمدوا إلى مسائل لأبي حنيفة فجعلوا لها أسانيد عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عبّاس فوضعوها في كتبه فكان يحدّث بها ، توفي سنة ١٦٨ (انظر تهذيب التهذيب ٣ : ٧٦) .

....

١ ل : بئس .
٢ ل : وبين ربه .
٣ والله : لم ترد في ل .
٤ ل : فقتل الرجال .
٥ أريد : سقطت من ل .

فأبى فحبسهُ ، ثم دعا به فقال له : أترغبُ عمَّا نحن فيه ؟ فقال : أصلحَ اللهُ أميرَ المؤمنين ، لا أصْلُحُ للقَضاء ، فقال : كذَبْتَ ، فقال أبو حنيفة : قد حَكَمَ عليَّ أميرُ المؤمنين بأنّي لا أصلحُ لأنه نَسَبَني إلى الكَذِب ، فإنْ كنتُ كاذباً فإنّي لا أصلح ، وإنْ كُنتُ صادقاً فقد قلتُ : إني لا أصلحُ ، فردَّهُ إلى الحَبْس .

٧٢١ – قال أبو يحيى الحِمّاني : رأَيتُ نجماً سَقَطَ فقيل : هذا أبو حنيفة ، ثم سقط آخرُ فقيل : هذا سفيان ، ثم سقط آخر فقيل : هذا مِسْعَر ، فمات أبو حنيفة ثم سُفيان ثم مِسْعَر[1] .

٧٢٢ – قال عبد الله بن داود : كتب رجلٌ كتاباً على لسانِ أبي حنيفة إلى والي جرجان فوَصَلَهُ بأربعةِ آلافِ درهم ، فقيلَ لأبي حنيفة فقال : إنْ كانَ ذاكَ ممّا ينفعكم فافعلوا .

٧٢٣ – كان أبو حنيفة يقول : ما صلَّيْتُ صلاةً إلّا وأنا أستغفرُ الله مِنْ تَرْكي الأمرَ بالمعروفِ والنَّهيَ عن المُنْكَر .

٧٢٤ – وكان أبو حنيفة يقول : ابن أبي ليلى استحلَّ منِّي ما لا أستحلُّ من سِنَّوْر[2] .

---

٧٢١ أبو يحيى الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن كان يلقب بَشْمِين محدّث مختلف في ثقته وتوفي سنة ٢٠٢ (انظر تهذيب التهذيب ٦ : ١٢٠) .

٧٢٢ التذكرة الحمدونية ٢ : رقم ٥٤٠ ، وقارن بمناقب أبي حنيفة للمكي : ٢٤٣ و ٢٤٤ . وعبد الله بن داود بن عامر بن الربيع الهمذاني ثم الشعبي أبو عبد الرحمن المعروف بالخريبي محدّث ثقة عابد ، وكان يميل إلى الرأي ، توفي سنة ٢١٣ وقيل غير ذلك ؛ انظر تهذيب التهذيب ٥ : ١٩٩ .

٧٢٤ مناقب أبي حنيفة ١ : ٢٦٣ و ٢٧٠ .

....

١ هذا الترتيب غريب ، فإن أبا حنيفة مات سنة ١٥٠ ، ومات سفيان الثوري سنة ١٦١ . وكانت وفاة مسعر بن كدام سنة ١٥٣ أو ١٥٥ .

٢ ل : شنوه .

٧٢٥ – أسلمَ أبو حنيفة ابنَهُ حمَّاداً إلى المُعلِّم فعلَّمَهُ «الحمدُ» فَوَصَلَهُ بخمسمائة[1] درهم ، فقال المعلِّم : إنَّ هذا عظيم ، فقال أبو حنيفة : يا هذا ، ليس للقرآن عندك قَدْر ؟!

٧٢٦ – قال يزيد بن هارون : أدْرَكْتُ الناسَ فما رأيتُ أفضلَ ولا أعقلَ ولا أَوْرَعَ من أبي حنيفة .

٧٢٧ – قال محمد بن الحسن : قام أبو حنيفة ليلةً بهذهِ الآية : ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعَةُ أَدْهَى وأَمَرُّ﴾ (القمر : ٤٦) .

٧٢٨ – قال فيلسوفٌ للإسكندر : أيُّها الملك ، إني مررتُ بمصوِّرٍ فقلتُ : إنَّك قد أكثرتَ حَلْيَ هذه الجارية ، فقال : نعم لم يمكنّي أن أجعلَها حَسَنةً فجعلتُها غنيَّةً .

٧٢٩ – قال فيلسوف : الجمالُ الظاهرُ الحُسْنِ يقدر المصوِّرُ أنْ يَحْكيَهُ بالأَصباغ ، فأمّا الجمالُ الذي للأَنْفُسِ فلا يُمْكن ، لأنّه للإنسان بالطَّبْع .

٧٣٠ – قال الحسن بن وهب في مجلسه : لو ساعَدَنا الزمانُ لجاءَتْ بَنَات – كذا كان اسمها ، جمع بِنْت ، وكانت جاريةَ كاتب راشد – فما تكلَّمَ حتى دخلتْ فقال : ما أحسنَ ما قال في هذا ابن أبي أميَّة : [الطويل]

---

٧٢٦ مناقب أبي حنيفة ١ : ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ . وأبو إسماعيل حماد ابن أبي حنيفة كان على مذهب أبيه . وكان من الصلاح والخير على قدر عظيم ، وتوفي سنة ١٧٦ ؛ انظر طبقات الشيرازي : ١٣٦ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٠٥ .

٧٢٨ الكلم الروحانية : ١٠٤ (فلسطين) .

٧٢٩ منتخب صوان الحكمة : ٢٢٤ ومختار الحكم : ٣٠٧ (غرغوريوس) .

٧٣٠ الشريشي ٥ : ٢٤٩ . والبيت الأول في ربيع الأبرار ٢ : ٣٢٥ .

....

[1] ل : بخمسة آلاف .

وفاجأتني والطَّرْفُ نحوكَ شاخِصٌ   وذِكْرُكَ ما بين اللسانِ إلى القَلْبِ
فَيَا فَرْحَةً جاءَتْ على إثرِ تَرْحَةٍ   ويا غَفلتي عَنْها وقد نَزَلتْ قُرْبي

٧٣١ – هذه رسالةٌ أفادَنيها[١] أبو سليمان وزعم أنّها لأرسطاطاليس ، وقرأها بعضُ مشايخ الفلسفة[٢] فقال : هي من كلامِ بعضِ الملوك ، ولا أَقِفُ منها على أكثر ممّا حكيتُ ، ولولا جلالتُها في نفسها ما سُقْتُها ها هنا ، قال :

أما بعدُ ، فإنَّ حقًّا على المرءِ أَن ينظرَ إلى محاسنِ النَّاسِ ومساوئهم[٣] ، وموقِعِها منهم في مَنافعها ومَضارِّها ، فيلتمس[٤] المنافِعَ لنفسهِ من مِثْلِ[٥] ما نَفَعَهُم[٦] ، وينفي المضارَّ عنها من مثلِ ما ضَرَّهُمْ ، فَيُوظِّفُ للأُمور وظائفَها ويجعلُ بين طبقاتها حدوداً يزايلُ بينها ، ثم يأخذُ نفسَهُ بتأديبها في إحياءِ عِلْمِ ما يَعلمُ من الأمور بالعَمل ، واستجلابِ علمِ ما جهل منها بالتعليم ، ثُمَّ لا يكونُ تأديبُهُ لنفسهِ في غيرِ وقتٍ واحدٍ ولا معلوم ، فإنَّهُ واجدٌ في كلِّ حينٍ من أحايين الدَّهْرِ[٧] ، وطبقةٍ[٨] من طبقاتهِ التي هو راكبُها في كلِّ حالٍ من حالات نفسهِ التي تتحرَّكُ من ضُروبِ النَّصَب واللَّهْو موضعَ تأديبٍ وتقويمٍ لها حتى لا يكونَ لأهل طبقةٍ من الطبقات ، رفيعةً كانت أو وضيعةً ، عليه في طبقته التي يُشاركهم فيها فضلٌ ، فإنَّ امرءاً[٩] لا يلتمسُ أن يكونَ له فضلٌ على طبقةٍ من الطَّبقات إلَّا دَعاهُ فضلُهُ

....

١ ل : أفادناها .
٢ ل : الفلاسفة .
٣ ل : وما فيهم .
٤ ل : فليلتمس .
٥ ل : قبل .
٦ ل : ينفعهم .
٧ ل : مزاجاً بين الدهر .
٨ ل : وطبقته .
٩ ل : ما رام .

عليهم إلى الرَّغبَةِ عنهم حتى يترقّى في منزلته إلى مُشاركةِ أهلِ المنزلةِ التي فوقَ منزلتهِ ، كأنَّ طَلَبَ الراحة يذهبُ بالرَّاحة ويُورِثُ النَّصب ، وتَرْكُ التأديب ضررٌ ، وذو الضرر نَصِبٌ عَليلٌ[1] فقير ، فمنهاج[2] التأديبِ تَيقُّظُ المرءِ لطَلَب الأدبِ ، ثمَّ لا يَمْنَعُكَ عِصْيانُ النَّفْس من إدامةِ تَيقُّظِها ، فإنَّ الحاجةَ إليها مع حُبِّها للراحة سيحملُها[3] على طَلَبِ الراحةِ ببعض[4] الطَّاعة ، فإذا همَّتِ النفسُ ببعض الإجابةِ كان[5] أولَ ما تُؤْخَذُ به إعطاءُ الدِّينِ حَقَّهُ ، وإشعارُ النفس حظَّها ، ثم الاستِكْثارُ من فوائد الإخوان ، فإنَّ كَثْرَتَهُم تُقيلُ العَثْرة ، وتَنْشرُ المَحْمَدة ، وتعهُّدُ الإخوان[6] بالملاطفة ، فإنَّ التاركَ مَتْروكٌ ، ثمَّ تعهُّدُ إخوانِ الإخوان ، فإنَّ إخوانَ الإخوانِ من الإخوانِ بمنزلةِ العلمِ المستدَلِّ به على الوفاء ، ثمَّ تعهُّدُ أهلِ المُكاثرة المشبَّهين بالإخوان بالصَّبْر عليهم ، إمَّا طَمَعاً في تحويل ذلك عنهم صِدْقاً ، وإمَّا اتّقاءَ كلمةٍ فاجرةٍ أتتْ من لفظٍ مائق ، ثمَّ تعهُّدُ الضُّعفاء على المسْكَنَةِ وأهلِ الزَّمانة عند الضعف ، والعقب[7] عند الموت ، ثم حسنُ التعاطي إنْ كان لك فضلٌ بإسقاط المِنَّةِ وإحراز الفَضْل ، والسُّخْطِ على نفسك في التقصير ، ثم تعهُّدُ الملوك بالتقريظ والملازمة ، فإنّ همتها في أنفسها الامتداح ، وفي الناس الاستعباد ، ثمَّ تعهُّدُ النُّصحاءِ بالخلوة ، فإنَّ نصيبَهُمْ منك واستفادتك منهم في الخلوة ، ثم تعهُّدُ الصُّلَحاء بالمُصافاة لتُعْرَفَ بالخير[8] وتَتَّسِمَ به ، ثم تعهد الأَكْفاء بالمكارمِ فإنها تُحَسِّن العمل وتثمر الإخاء ، ثم تعهُّدُ الحامد بتفتيش[9]

---

١ ل : غافل .
٢ ل : فمنها في .
٣ ل : يحملها .
٤ ل : ببغض .
٥ ل : فإن .
٦ فإن كثرتهم . . . الإخوان : سقط من ل .
٧ ل : والغضب .
٨ ل : الخير .
٩ ل : بتنفيس .

الدخلة ، ثم تعهُّدُ ضُعفاء ذوي الرَّحِمُ بالرحمةِ وأقويائهم بالتعليم ، ثُمَّ تعهُّدُ الأعداء ذوي التنصُّل بالمغفرةِ ، وذوي الاعتراف بالرأفةِ والرحمة ، ثُمَّ تعهُّدُ الحُسّاد بالمُغايظةِ[1] ، وأَهلِ البَغْي بالعزيمةِ ، وأهلِ المُشاتَمَةِ بالمحْقَرَة ، وأهلِ المُواثَبَةِ بالوَقار في الأمر : في الشُّبُهات بالكفّ ، والمجْهُولاتِ بالإرجاء ، والواضحاتِ بالعزيمة ، والمستتراتِ بالبَحْث ، ثُمَّ إحياء العذر عند المداهنة ، والتجمُّل عند الغَيْظ[2] ، والكظمْ عند الغضب ، والوَقار عند المُسْتَجْهَلات[3] ، ثُمَّ تعهُّدُ الجار بالرِّفق ، والقَرينِ بالمُواساة ، والصَّاحبِ بالمُطاوعة ، والزائرِ بالتُّحفة ، ثُمَّ صحبةُ الملوك بكتمان السِّر ، وتقريظِ الأفعال ، ثُمَّ قِسْ بين خيار إخوانك وشرارهم ، ثُمَّ انظُرْ أيَّ الفريقَيْن تستجمِعُ لك به مَوَدَّتهم ، فإنَّ تشبُّهَكَ بخيارهم يزيدُكَ عند شِرارهم نَفاقاً ، والسلام .

٧٣٢ – قال أعرابيٌّ في وصف قومٍ : أَلْحاظُهُم سِهام ، وأَلْفاظُهُم سِمام .

٧٣٣ – قال أعرابيّ : لا تَنْظُرْ إلى صِغَرِ جِرْمِهِ ، وانظُرْ إلى عظيم جُرْمِهِ .

٧٣٤ – وقال آخَر : قد يُكْدي الجادّ ويكلُّ الحادُّ .

٧٣٥ – قال أَعرابيٌّ في وصف كلامٍ : قد رَعى الشِّيح ، واستنشق تلك الريح .

٧٣٦ – قال أَعرابيّ : مَنْ شاخَ باخ .

---

٧٣٢ نثر الدرّ ٦ : ٢١ وربيع الأبرار : ٢٨٠ ب (٣ : ٣١٩) .
٧٣٥ ورد القول في ربيع الأبرار ٤ : ٢٥٧ .

....

١ ل : ثم تعهد الجلساء بالمرابطة .
٢ ل : القنط .
٣ ل : المستحيلات .

٧٣٧ – قال أعرابيّ : عَلَمُ الكَرَم في وجهه يَلُوح ، ونَشْرُ الجُود من ثوبهِ يَفُوح ، والمجدُ يغدو معه ويَروح .

٧٣٨ – وقال أعرابيّ : مَنْ كَرِهَ النِّطاح ، لم يَنَلِ النَّجاح .

٧٣٩ – آخَر : الصَّبر مُرّ ، لا يتجرَّعُهُ إلَّا حُرّ .

٧٤٠ – قال ثعلب في « المجالسات » : أَشرفَ عبدُ الملك على أصحابهِ وهم يذكرون سيرةَ عمر رضي الله عنه ، فغاظهُ ذلك فقال : حَسْبُكمْ من ذكر عمر فإنَّهُ إزراءٌ بالوُلاة ، ومَفْسَدَةٌ للرَّعيَّة .

٧٤١ – قال ثعلب ، قال ابن عائشة : قال قَنيعُ النَّصْريّ[١] يَهْجُو موسى ابن عمرو بن سعيد بن العاص : [الطويل]

كلُّ بني العاصي حَمِدْتُ عَطاءَهُمْ وإنّي لمُوسى في العَطاءِ لَلائمُ
وليسَ بِمُعْطٍ نائلاً وهو قاعِدٌ وحسبُكَ من بُخْلِ امرئٍ وهو قائمُ
فإنْ يَكُ من قومٍ كرامٍ فإنَّهُ ذُنابى أَبَتْ أَنْ تَسْتوي والقَوادِمُ[٢]

٧٤٢ – قال ثعلب . قال السُّدِّي : أَتيتُ كربلاء أَبيعُ البَزَّ بها ، فعمل لنا شيخٌ من طيِّءٍ طعاماً فتعشَّيْنا عنده ، فذكرنا قَتْلَ الحسين بن علي رضيَ الله

---

٧٤٠ مجالس ثعلب : ٣٩٤ وشرح النهج ١٢ : ٥١ ونثر الدرّ ٣ : ١٧ ومحاضرات الراغب ١ : ١٥٨ (فهو طعن على الأئمة ، وحسرة على الأمة) وكذلك هو في التذكرة الحمدونية ١ : رقم ١١٠٦ وربيع الأبرار : ٣٧٨ ب .
٧٤١ مجالس ثعلب : ٣٩٤ – ٣٩٥ ، وقنيع هو جد عبد الواحد بن عبد الله بن قنيع المحدّث .
٧٤٢ مجالس ثعلب : ٣٣٩ .

....

١ ل : هنيع المصري .
٢ المجالس : والمقادم . وسقط البيت من ل .

عنها ، فقلنا : ما شَرِك أحدٌ في قتلهِ إلّا ماتَ بأسوإِ ميتةٍ ، فقال : ما أكذَبَكُمْ [يا أهل العراق][1] أنا ممَّن شرك في ذلك ، فلم يَبْرَح حتى دَنا من المصباح وهو يتَّقِدُ بنفطٍ ، فذهبَ ليُخرْجَ الفَتيلة[2] فأخَذتِ النارُ في لحيتهِ ، فعدا وألقى نفسَهُ في الماءِ ، فرأيْتُهُ كالحُمَمَةِ من ساعتهِ ، لا رحمه الله[3] .

٧٤٣ – قال ثعلب : فَلَجَ الرجلُ على خَصْمهِ يَفْلُجُ فَلْجاً وفُلُوجاً .

٧٤٤ – قال ثعلب : نزلتُ بسَحْسَحِهِ[4] ، وعَقْوِته ، وعَرْصَتِهِ ، وعَذِرَتِهِ ، وعَقاتِهِ ، وعَقارِهِ ، وعِراقِهِ وعَيْقَتِهِ ، وعَراتِهِ ، وعَراهُ ، وعِرْقانِهِ ، وحَراه ، ليس فيها شيءٌ مهموز الألف .

٧٤٥ – قال ثعلب : سمع هشام بن عبد الملك زيدَ بن عليّ يقول : ما أَحَبَّ أحدٌ الحياةَ إلّا ذلَّ ، قال : فَخَافَهُ[5] منذ سمعَ ذلك منه .

٧٤٦ – كان الحسين بن زيد يُلقَّبُ « ذا الدَّمْعَة » وذلك لكثرة بكائِهِ ، فقيل له في ذلك فقال : وهل تركَتِ النارُ والسَّهْمانِ لي مَضْحَكاً ؟ يُريدُ السَّهْمَيْن اللذيْن أصابا زيدَ بن عليّ ويحيى بن زيد بخراسان .

---

٧٤٣ مجالس ثعلب : ٣٤٣ .
٧٤٤ مجالس ثعلب : ٣٤٧ وقد سقط هنا : وساحته وقصاه فهما بمعنى ما ذكر .
٧٤٥ مجالس ثعلب : ٣٤٨ وقول زيد نفسه في ربيع الأبرار ٢ : ١٩٥ .
٧٤٦ مجالس ثعلب : ٣٤٨ .

....

١ زيادة من المجالس .
٢ زاد في المجالس : بإصبعه . . . فأخذ يطفئها بريقه .
٣ لا رحمه الله : لعلها زيادة من الناسخ ، فإنها لم ترد في المجالس .
٤ ل : بساحته .
٥ ل : فخانه ذلك .

٧٤٧ – قال ثعلب : هو يَتَحَوَّفُ مالي[1] ، أَي يأخذُ من أَطرافهِ[2] .

٧٤٨ – ويقال : ما في السماء طَخاءٌ وطَحَاءٌ : هو الرَّقيقُ من الغيم .

٧٤٩ – قال أبو عبيدة : مَخْسُول[3] : مَرْذول ؛ ويقال : حَبَج[4] إذا ضَرَطَ ؛ ويقال : احتمسَ الدِّيكان واحتَمَشا إذا اقتتلا ؛ ويقال : حَمِسَ الشرُّ وحَمِشَ إذا اشتدَّ ؛ ويقال : جاحَسَ في القتال وجاحَشَ .

٧٥٠ – عن الأصمعي : وتَنَسَّمْتُ منه عِلْماً وتنشَّمْتُ أي أخذتُ ، وأَتيتُهُ بسُدْفَةٍ من الليل وشُدْفَةٍ ، وهو السَّدَفُ والشَّدَفُ .

٧٥١ – ويقال : رجلٌ غَدْيانُ وعَشْيانُ وصَبْحانُ وقَيْلانُ وغَبْقان ، من الصَّبُوح والقَيْل والغَبُوق .

٧٥٢ – قال ثعلب : قال معاوية لعتبة يوم الحَكَمَيْن : يا أخي ، أما ترى ابنَ عبّاس قد فتَّحَ عَيْنَيْهِ ونَشَرَ أُذُنَيْه ، ولو قَدَرَ أن يتكلَّمَ بهما فَعَل ؟ وغَفْلَةُ أصحابِهِ مجبورةٌ بيَقَظَتِهِ ، وهو رجُلُهم ، وهي ساعتُنا الطُّولى ، فاكْفِنيهِ ؛ قال : قلتُ : بجهدي ؛ قال: فقعدتُ بِجَنْبِهِ ، فلمّا أخذ القومُ في الكلامِ أقبلتُ عليه

---

٧٤٧ مجالس ثعلب : ٣٥١ .
٧٤٨ مجالس ثعلب : ٣٥١ .
٧٤٩ مجالس ثعلب : ٣٥٢ .
٧٥٠ مجالس ثعلب : ٣٥٢ .
٧٥١ مجالس ثعلب : ٣٥٢ .
٧٥٢ مجالس ثعلب : ٤٠٩ .

....

١ زاد في المجالس : ويتخوفه .
٢ زاد في المجالس : ويتنقصه .
٣ زاد في المجالس : ومحسول .
٤ زاد في المجالس : وخبج .

بالحديث ، فقرَع يدي وقال : ليستْ ساعةَ حديثٍ ، فأظهرتُ غَضَباً وقلت : يا ابنَ عبَّاس ، إن ثقتَكَ بأحلامنا أسرَعَتْ بك إلى أَعْراضنا ، وقد والله تقدَّمَ فيك العُذْر ، وكثُرَ مِنَّا الصَّبْر ، ثُمَّ أَوْزَعْتُهُ[1] ، فجاشَ به[2] مِرْجَلُهُ حتى ارتفعت[3] أَصواتُنا ، فأخذوا بأيدينا فَنَحَّوْني عنه ونحَّوْهُ عنّي ؛ قال : فأتيتُ عمرَو بن العاص فرماني بمُؤْخَرِ عَيْنه ، أي ما صنعتَ ؟ فقلتُ : كَفَيْتُكَ التَّقْوالةَ[4] ، فَحَمْحَمَ كما تُحَمْحِمُ الفَرسُ للشَّعير ، وفات ابنَ عبّاس أوَّلُ الكلام فكَرِهَ أن يتكلَّم به في آخره .

٧٥٣ – قال ثعلب : مَرَّ رجلٌ بأعرابيَّةٍ بالمناخِ بالكوفة تُمَرِّضُ أَخاً لها[5] في شدَّةٍ[6] أصابَتْهُم ، ثُمَّ راحَ بالعشيِّ فسأل عنه فقيلَ : دَفَنَّاهُ ، وإذا هي تأكلُ سَويقاً معها قد خَلَطَتْهُ باللَّبن[7] ، فقال لها الرجل : ما أسرعَ ما نسيتِ أخاكِ وأكلْتِ[8] ، فقالت : [الطويل]

على كُلِّ حالٍ يأْكُلُ المرءُ زادَهُ على البُؤسِ والضَّرَّاءِ[9] والحَدَثانِ

٧٥٤ – أنشد ثعلب : [الوافر]

---

٧٥٣ مجالس ثعلب : ٤٢٠ – ٤٢١ وعيون الأخبار ٣ : ٥٧ وربيع الأبرار ٢ : ٦٨٣ والبرصان : ١٩٧ .

٧٥٤ مجالس ثعلب : ٤٢١ .

....

١ ل : أوسعته ؛ المجالس : أقزعته .
٢ به : سقطت من ل .
٣ ل : ارتجعت .
٤ ل : المقوالة .
٥ ل : أخاها .
٦ المجالس : في حطمة .
٧ المجالس : سويقة معها قد ثرتها باللبن .
٨ المجالس : ما أسرع ما أكلت بعده . فاغرورقت عيناها .
٩ المجالس : على الضرّ والسرّاء .

أَلَا ذَهبَ الشِّهابُ[1] المُسْتَنِيرُ ومِدْرَهُنا الكَميُّ إذا نُغِيرُ[2]
وَوَهَّابُ المِئِينَ إذا ألمَّتْ بنا الحَدَثانُ والأَنِقُ الصَّبُورُ

ذهب إلى أَنَّ الحَدَثانِ والحوادثَ واحدٌ .

٧٥٥ – قال : الحَمُولةُ[3] : الإبلُ الكبار ، والفَرْشُ : الصِّغارُ ؛ وسمعت أبا حامد يقول : عِيبَ على أبي علي الجُبّائي في كتابه في التفسير حين ذهب في الفَرْش إلى ما يُفْرَش ؛ وسمعتُ بعدُ مَن يقول : الكِسائيّ قال ذلك ، والناسُ على أن الفَرْشَ الصِّغارُ من الإبل .

٧٥٦ – قال ثعلب : قالتِ امرأةٌ في ابنها : [الرجز]

ظَنّي به لو قد جَثَوْا على الرُّكَبْ وابتَدَروا الحربَ بجدٍّ وغَضَبْ
أن سوف يُلْفَى إِرْبةً من الإِرَبْ

الإِرْبَة : الداهية .

٧٥٧ – قال ثعلب[4] : وقالت[5] أُخرى في ابنها : [الرجز]

لو ظَمِئَ القومُ فقالوا مَنْ فَتَى يحلِفُ لا يَرْدعُه خوفُ الرَّدَى

---

٧٥٥ مجالس ثعلب : ٤٢٥ .
٧٥٦ مجالس ثعلب : ٤٢٥ .
٧٥٧ مجالس ثعلب : ٤٢٥ – ٤٢٦ .

....

١ ل : الشباب .
٢ المدره : السيد الشريف . والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة والقتال .
٣ زاد في المجالس : من الأنعام .
٤ قال ثعلب : سقط من ل .
٥ ل : فقالت (والنص متصل بالفقرة السابقة) .

فبعثوا[1] سَبْعَداً إلى الماء سدَى في ليلةٍ بيانُها مثلُ العَمَى
بغير دَلْوٍ ورِشاءٍ لاَسْتقى أمْرَدَ يهدي رأيُه رأيَ اللِّحَى

٧٥٨ – وقال ثعلب : الخَبيئةُ ما خبأتَهُ ، والبَيِّنَةُ ما جعلْتَهُ بين يديك .

٧٥٩ – وقال في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ﴾ (النّحل : ١١٦) ، رَدَّهُ على الألسنة والكذب ردّ[2] على ما قال .

٧٦٠ – للحارث بن خالد : [الطويل]

لَعَمْري لَئِنْ لم يجمَعِ اللهُ بَيْنَنا بمَا شاءَ[3] لا نَزْدادُ إلّا تماديا[4]
أعُدُّ الليالي مُذْ نأيتَ[5] ولم أَكُنْ بمَا نِلْتُ من عيشي أعُدُّ اللياليا
أخافُ انقطاعَ العَيْشِ دُونَ لقائكمْ بأرضٍ ولو مَنَّيْتُ نَفْسي الأمانيا
إذا ما بكى ذو الشَّجْوِ أصغيتُ نَحْوَهُ وآسَيْتُهُ بالشَّجْوِ ما دامَ باكيا

٧٦١ – قال أعرابيٌّ وقد سُئِلَ عن رجلٍ فقال : إنْ مَلَكَ عَسَفَ ، وإن أنفقَ أسِفَ ، وإنْ حدَّثَ جَزَفَ[6] ، وإنْ صافَيْتَهُ تَكَبَّرَ ، وإنْ أظهرتَ له النُّصْحَ أَنْكَرَ ، النَّظَرُ إليه غَيْظ ، والصَّبْرُ عليه غُصَّة ، والفكرُ فيه حَيْرَة ، والقُرْبُ منه مَعَرَّة .

---

٧٥٨ مجالس ثعلب : ٢٩٩ .
٧٦٠ مجالس ثعلب : ٢٩٩ – ٣٠٠ وهو يخاطب أخاه .

---

١ ل : لبعثوا .
٢ ل : وردّ .
٣ ل : لما شاء .
٤ المجالس : تنائيا .
٥ ل : بليت ؛ المجالس : إذ نأيت .
٦ ل : حرف .

٧٦٢ – قال العتبي : خرج النعمانُ بن المنذر مُتَنَزِّهاً إلى باديةٍ له ، فدعا بطعامه[١] فأقبلَ أَعرابيٌّ يمشي مَشْيَ النعامةِ حتى قَعَدَ على السُّفْرَةِ ، فجعل يَلُفُّ العظمَ باللحمِ والقومُ ينظرونَ إليه ، فقال : لا ينظرْ إلينا مَنْ يَشْبَعُ ، فإنَّ الجائعَ كالجَشِع ، فقال النعمان : ما ٱسمك ؟ قال : أَبَيْتَ اللعن ، نَعَامَة ، قال : وأيّ اسمٍ نَعَامَة ؟ قال : أَبيتَ اللعْن ، إنَّ الاسمَ علامةٌ وليس بكرامةٍ ، ولو كان ذلك كذلك لاشتركَ الناسُ في اسمٍ واحدٍ .

٧٦٣ – قيل لعيسى بن مريم عليه السلام : ألا تتزوَّج ؟ قال : وما أَصْنَعُ بزوجةٍ تَموت ؟ قيل : أفلا تبني ؟ قال : على[٢] طريقِ السبيلِ أبني .

٧٦٤ – لمّا زَوَّجَ شبيبُ بن شيبة ابنَهُ قَصَدَهُ الناسُ وقالوا : اليوم يهبُّ هبوبُهُ[٣] . فما زاد على أن حمد اللهَ تعالى وأثنى عليه وقال : أَمَّا بعدُ ، فإنَّ المعرفةَ منّا ومنكم وبنا وبكم تَمْنَعُنا من الإكثار ، وإنَّ فلاناً ذَكَرَ فُلانةً .

٧٦٥ – قال العُتْبي : قَدِمَ[٤] أبو علاثة على طلحة بن عبد الله بن خَلَف ، وهو صاحبُ سجستان . فقال : أرَثَيْتَ أبي ؟ قال : نعم ، وأنشده : [الطويل]

أَلَمْ يأتِ فِتْيانَ السَّماحَةِ أنّني ... عَقَرْتُ على قَبْرِ الجَوادِ جَوادي
فما زادَ شيئاً عقْرُهُ إذْ[٥] عقرتُهُ ... سِوى أَنّني منه شَفَيْتُ فؤادي

---

٧٦٤ عيون الأخبار ٤ : ٧٤ .

....

١ ل : طعامه .
٢ على : سقطت من ل .
٣ عيون : يعب عبابه .
٤ ل : وقف .
٥ ل : أن .

قال : أوَفَعَلْتَ ذلك ؟ قال : لا ، قال : ولِمَ ؟ قال : كان أعْجَفَ ، قال : لو فعلتَ لأعطيتُك عطيَّةً لم يأْخُذْها شاعرٌ قطُّ ، ولكنْ لا أُخَيِّبكَ ، فأعطاهُ اثني عَشَرَ ألفاً .

٧٦٦ – كاتب[١] : أنا في ثَوْبِ المسرَّةِ أَرفُلُ ، ونَجْمُ الوحشة منّي آفِلُ .

٧٦٧ – قال المأمون لطاهر[٢] : صِفْ لي عبدَ اللهِ ابنك[٣] ؟ قال : إنْ مَدَحْتُهُ هجوتُهُ[٤] ، وإنْ هجوتُهُ ظلمتُهُ ، ولد الناسُ ابناً[٥] وولدتُ والداً ، يُحْسِنُ ما أُحْسِنُ ولا أُحْسِنُ ما يُحْسِنُ .

٧٦٨ – قال العُتْبي : طلب ابنُ عمٍّ لي الولدَ بعد نيِّفٍ وتسعين سَنَةً ، فقلتُ له في ذلك فقال : سَبَقْتُهُ باليُتْم قبل أن يسبقني بالعُقُوق .

٧٦٩ – قال النبيُّ صلّى اللهُ عليه وعلى آلهِ لرجلٍ ، ورأى معه صبيًّا : مَنْ هذا ؟ قال : ابني ، قال : أمْتَعَكَ اللهُ بهِ ، أما إني لوقلتُ لك : بارك اللهُ لك فيه قدمته .

٧٧٠ – قال ابن الأعرابي : بَنَاتُ الليل أَهوالُه ، والصبرُ عليه وعلى سُراهُ وشدَّة الطلب فيه .

---

٧٦٧ العقد ٢ : ١٣٠ ونثر الدرّ ٥ : ٢٨ و ٣٠ .
٧٦٨ لقاح الخواطر : ٧٧/أ .
٧٦٩ محاضرات الراغب ١ : ٤١١ .

....

١ سقطت الفقرة من ل .
٢ لطاهر : سقطت من ل .
٣ ل : صف لي ابنك .
٤ ل : هجنته .
٥ ل : أولاداً .

٧٧١ – قال المأمون : لَمْ أرَ أشجَى من مُرْتَجزٍ يَحْدُو ، ومُرْتَجِلٍ يَشْدو .

٧٧٢ – نظر بعض السَّلَفِ إلى رجلٍ يسبُّ آخرَ في كلامٍ جَرَى بينهما فقال : يا هذا تُمْلِي على حافظيكَ كتاباً ، فانظرْ ما تقول .

هذا آخرُ الجزءِ التاسع وسنتبعه بالعاشر على ما يَعزُّ ويهُون ، وعلى الله تعالى المعونةُ فيما أوجبَ المِنَّة ، ونَفَى الظِّنَّة ، فقد واللهِ بَرِمْتُ بهذا الكتاب لسوءِ التأتّي في النَّقْل ، وقلَّةِ الإصابة عند الرِّواية ؛ نعم ، ولحالٍ قد وقَفَتْ على مدرجَةِ النَّاس ، بين قومٍ إنْ بسطتُ حديثَهُمْ ، وذكرتُ خَبيئَهُم ، وما يُضْمرونَهُ ويُظْهرونَهُ مِنْ سوءِ النِّيّات ، وخُبْثِ الطَّوِيَّات ، والمطالبةِ لأهل الفضل بالأوتار ، وصُدُودِهم عن الأحرار ، كنتُ مجانباً للأدَبِ المَرْضِيّ ، والعادة الحَسَنة ؛ وإنّما أقولُ هذا لأني قد عَدمتُ من أهل زماني رئيساً يرغبُ في المكارم ، ويَتَشَوَّفُ إلى المحامد ، ويرى[1] اصطناعَ الجميل كنزاً ، والإحسانَ إلى الأحرارِ ذُخْراً ، ويَتَبجَّح بالكرم ، ويباهي بالمعروف ، ويأخذ بالفضل الذي هو بهِ أَشْكَل ، وهو منه أجمل ، وبهِ أَلْيَق ، فَيُعينُني على تَمَام الكتاب ، رَغْبَةً في الذِّكْر ، وتوخّياً للثَّواب ، والسلام .

والحمد لله ربّ العالمين وصلواته على سيِّدنا محمد نبيه وآلهِ وصَحْبه وسَلَّمَ تسليماً .

---

٧٧٢ نثر الدر ٤ : ٦٨ ؛ ومحاضرات الراغب ٢ : ٤٠١ .

---

١ ب : ويؤدي .

دراسة في
كتاب البصائر والذخائر

اسم الكتاب

« البصائر » – بهذا الإيجاز – هو الاسم الشائع لهذا الكتاب لدى المؤرخين القدماء[1] والدارسين المحدثين[2] . وهذه التسمية للكتاب تجد تصديقاً لها في بعض

....

١ انظر مقدمات التوحيدي نفسه على كتاب البصائر في الجزء الثاني (في مكانين) والجزء الرابع والجزء السادس والجزء الثامن ، وأيضاً البصائر ٢ : الفقرة ٦٩٤ ، وكتاب أخلاق الوزيرين للتوحيدي : ٣٢٨ – ٣٢٩ ، وقولين لياقوت الحموي في معجم الأدباء ١ : ١٤٨ و ٥ : ٣٨٤ (وما ورد في ١ : ١٤٩ من نقل عن كتاب « النظائر » لأبي حيان ليس إلا تحريفاً لكتاب « البصائر » إذ إن النص المنقول ورد في البصائر ٨ : الفقرة ٢٢٧ ج) ، وأقوال ابن النجار في المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدمياطي : ١٩٦ وطبقات السبكي ٥ : ٢٨٧ ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١١ : ١١٧ و ١٢ : ٢٤١ ؛ وابن خلكان في وفيات الأعيان ٥ : ١١٣ ، والصفدي في الوافي بالوفيات ٢٢ : ٢٤١ ، وتاج الدين السبكي في الطبقات الوسطى (انظر طبقات الشافعية الكبرى ٥ : ٢٨٩ ، الحاشية رقم : ٣) ، والأسنوي في طبقات الشافعية ١ : ٣٠٢ ، والسيوطي في بغية الوعاة : ٣٤٨ ، والتهروالي في رحلته أو تذكرته المسمّاة : الفوائد السنية في الرحلة المدنية (انظر مقدمتي على الطبعة الأولى من الجزء السابع من البصائر – الدار العربية للكتاب ، تونس - ليبيا - ١٩٧٨ ، ص : ٥٢) . وانظر كذلك الورقة الأولى من كل من المخطوطات المستعسة في تحقيق هذه الطبعة من الكتاب ، كما وردت في مقدمة التحقيق في الجزء الأول .

٢ انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ١ : ٢٤٦ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، الذيل ١ : ٤٣٦ ، ومقالة مرجليوث في الطبعة الجديدة من الموسوعة الإسلامية ١ : ١٢٧ . والكتب التالية : أبو حيان التوحيدي سيرته وآثاره لعبد الرزّاق محيي الدين : ١٨٤ ، وأبو حيان التوحيدي للدكتور إحسان عباس : ٦٢ ، وأبو حيان التوحيدي للدكتور إبراهيم الكيلاني : ٤٠ . وأبو حيان التوحيدي للدكتور أحمد محمد الحوفي : ٣٣٣ ، وأبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء للدكتور زكريا إبراهيم : ١٢٥ . ومجتمع القرن الرابع في مؤلفات أبي حيان التوحيدي لوداد القاضي : ٣٦ ، وكتاب مارك بيرجيه :

***Pour un humanisme vécu: Abū Ḥayyān al - Tawḥīdī*, p. 421.**

وأبو حيان التوحيدي وجهوده الأدبية والفنية للدكتور عبد الواحد حسن الشيخ : ١٦٥ ، وأبو حيان التوحيدي في كتاب « المقابسات » للدكتور عبد الأمير الأعسم : ٤٢ ، ٤٧ و ٧٤ و ٧٧ و ٨٠ و ٩١ و ١٠٩ و ١١٤ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٥ . وانظر أيضاً كتاب الأعلام للزركلي ٤ : ٣٢٦ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥ : ٢٠٥ .

ما ذكره أبو حيان نفسه ، سواء أكان ذلك في كتاب البصائر نفسه[1] أو في كتاب أخلاق الوزيرين[2] .

لكن هذا الإيجاز في التسمية مبني على الاكتفاء ، لأننا نجد له تسميات أخرى :

فقد نصّ ابن خلكان على أن اسم الكتاب هو « البصائر **والذخائر** » – وعنه نقل ذلك الصفدي ، وعن الصفدي ينقل السيوطي[3] – وهو العنوان الذي تحمله مخطوطة الفاتح – أكبر المخطوطات – من الكتاب ، ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٦٢٨ – ٦٢٩ ، أي إلى الزمن الذي عاش فيه ابن خلكان . وذلك أمر يؤكده أيضاً أبو حيان نفسه حين يقول في مقدمة الجزء السادس من البصائر : « هذا الجزء – أبقاك الله – الجزء السادس من **كتاب البصائر والذخائر** . . . » ، ويقول في موضع آخر في الجزء الثاني : « لعلك . . . **قد** مللتَ ما سلف من **البصائر والذخائر** . . . »[4] .

ولا تقف المسألة عند هذا الحدّ ، إذ نواجه للكتاب أسماء أخرى مثل :

١ – بصائر الحكماء وذخائر القدماء[5] ،

٢ – البصائر والنوادر ، أو النوادر والبصائر[6] ،

....

١ انظر مقدمة الجزء الرابع ، حيث يذكر نصاً « كتاب البصائر » (وفي نسخة الفاتح : كتاب النوادر) وكذلك قوله في مقدمة الجزء الثامن : ونعود إلى العادة في نشر البصائر . . . .

٢ قال في أخلاق الوزيرين : ٣٢٨ ٣٢٩ : ونقلت إلى البصائر حروفاً كانت فيها أفادنيها أبو طاهر الورّاق .

٣ انظر الحاشية رقم : ١ في الصفحة السابقة .

٤ انظر مقدمة الجزء السادس ، والجزء الثاني ، الفقرة ٦٩٤ ، وتلك هي قراءة النسخة ح ، أما نسخة **كمبردج** ، المنسوخة سنة ١١١٧ هـ ، فالقراءة فيها : البصائر والنوادر .

٥ هو اسم الكتاب لدى النهروالي في رحلته ، انظر الحاشية رقم : ١ من ص : **٢٢٩** .

٦ مقدمة الجزء الثاني ، في أواخرها ، وتلك قراءة تجمع عليها النسخ الخطية جميعها ، والجزء الثاني ، الفقرة ١٨٧ ب .

٣ – بصائر القدماء وسرائر الحكماء[١] ؛

٤ – بصائر القدماء وبشائر الحكماء[٢] ؛

فهل من أساس تعتمد عليه هذه التسميات؟ نعم . إنها جميعاً تستخرج التسمية من متن الكتاب . أما « بصائر القدماء وذخائر الحكماء » فإنه اسم مستلّ من قول التوحيدي في مقدمته على الجزء الثاني : « . . . هذا الجزء الثاني من بصائر القدماء ، وسرائر الحكماء ، ونوادر الملحاء ، وخواطر البلغاء » ، وهذا النص نفسه كان هو السبب في تسمية الكتاب باسم « بصائر القدماء وسرائر الحكماء » ، كما أنه دون شك أوحى بالتسمية المشابهة : بصائر القدماء وبشائر الحكماء (على أن تصحيفاً واضحاً قد أبدل كلمة «سرائر» بكلمة «بشائر») ؛ فأما تسميته « البصائر والنوادر » أو « النوادر والبصائر » ، فإنها لا شك منتزعة من قراءات بعض مخطوطات الكتاب في الفقرتين : ١٨٧ ب و ٦٩٤ من الجزء الثاني منه[٣] .

إن التصرف في تسمية الكتاب على وجوه عدة قد أوحى به المؤلف نفسه وهو « يصف » كتابه من أجل تحليته ببعض النعوت ، وتابعه في ذلك من قرأوا بعض أجزائه (وخاصة الثاني) ، وإلا فإن التسمية الغالبة عليه هي « البصائر والذخائر » أو « البصائر » .

هل ألف كتاب البصائر ليقدّم إلى أحد :

لا يذكر التوحيدي في مقدمته على الجزء الأول أي شخص معين يقدم له

....

١ هو اسم الكتاب كما في مخطوطة كمبردج (المنسوخة سنة ١١١٧ هـ) .

٢ هو الاسم الذي أطلقه على الكتاب صاحب كشف الظنون ، انظر الحاشية رقم : ٢ من ص : ٢٢٩ ، وأضاف : ويقال له : البصائر والذخائر .

٣ انظر الحاشيتين رقم : ٤ و ٦ في الصفحة السابقة .

كتابه ، وإنما المخاطب بهذه المقدمة في الأرجح هو القارئ دون سواه . وينطبق هذا الأمر على مقدمة الجزء الثاني ، فإذا وصلنا إلى الجزء الثالث ، ظهرت إشارات توحي أن التوحيدي تمكَّنَ من إيصال الجزءين الأولين إلى رجل ثري أو ذي نفوذ يقتني مكتبة عامرة ، وأن هذا الرجل قد أعجب بالجزءين ، وأن حوافز الأمل بأن يقوم الرجل بإعانة التوحيدي على إتمام الكتاب قد استثيرت لديه ؛ قال في مقدمته على هذا الجزء : « هذا – حرسك الله – الجزء الثالث ، وقد سار إلى **خزانتك** الجزآن قبله ، ولولا حسن موقعهما ، وبهاؤهما في عينك ، وتقريظك لهما بلسانك ، وإعجابك بهما باستحسانك ، لكان نشاطي يقلّ ، وحدّي يكلّ . . . ولكني أحمد الله الذي زيّنك بتعرّف المعارف ، وجعل ظلّك فيها الظلّ الوارف ، حتى خفّ عليك الغرم الثقيل ، وبذل المال الجزيل ، وإكرام العلم وأهله ، وتعظيم الفضل وأربابه ، فلا زال نصيبك من محبة العلم فوق نصيبك من محبة المال ، وقسطك من التعلم فوق قسطك من الدعوى ، وقد جبلك الله على خُلُقٍ لو باهيتَ به قرناءك ، وساجلتَ عليه عشراءك ، لكان لك السبق المبرّ ، والخالصة والسرّ » . أما مَنْ هو هذا الرجل فأمر يعزّ تحديده ؛ كما يعسر علينا استنتاج أية علاقة نشأت بينه وبين المؤلف ، ولعلَّ هذا « الراعي » الذي أسبغ عليه التوحيدي ذلك الثناء أن يكون « أمنية » مثالية ، خطرت له ، على ضرب من « التخييل » . ومما قد يؤكد ذلك ، أن التوحيدي يشكو في مقدمة ما اعتبرته الجزء التاسع من كتابه أنه عدم من أهل زمانه « رئيساً يرغب في المكارم ، ويتشوّف إلى المحامد ، ويرى اصطناع الجميل كنزاً » فيعينه على « تمام الكتاب ، رغبةً في الذكر ، وتوخياً للثواب » ، كما أنه في مقدمة الجزء السادس منه يتحدث عن « ضيق الصدر ، وغروب الصبر ، وخفة ذات اليد» ، وفي مكان آخر يتكلم عن «خيانة الدهر» في «فقدِ حبيب تقرّ به العين ، وصلاح حال تسكن النفس إليه»[1] ؛ وهو في

---

[1] الجزء الخامس ، الفقرة : ٤٥١ .

مكان تالٍ يسِمُ زمانه بأنه زمان ليس فيه سوق للأدب ولا محبون له[1] ، وفي موضع خامس يبدو قريباً من حافة اليأس التام ، وقد خطرت في ذهنه المفارقة بين رؤساء الزمان القديم ورؤساء اليوم فقال[2] : «كان ملوك الدّهر الأول وكذلك الخلفاء ، يراجعون الحديث وينازعون الكلام ، ويسألون عن علل الرأي المقول به والحكم المصير إليه ، فكانت الحكم تنثر عنهم ، والفوائد تنشر منهم ، والدعاء يكثر لهم ، والثناء يحسن عليهم . وإنك ترى زمانك فاسد المزاج ، أبيّ الخير ، معدوم الفضل ، قليل الناصر ، بعيد المنعطف ؛ لا جرم والله الموت متمنى ، والحياة مقلية ، واليأس واقع ، والرجاء بلاقع » .

يستخلص من هذا كله أن التوحيدي شرع في كتابة كتابه دون راعٍ يرعاه ، وأنه في مرحلةٍ ما من الكتاب قد أمل في أن يجد هذا الراعي المشفق والرئيس الكريم ، إلا أن أمله خاب ، وظل الكاتب يتابع تصنيف أجزائه ، تنفيذاً للجانب الأكبر من خطة وضعها ، مقتنعاً بها متحمساً لها ، ثم أخذ الكلل العارض يتسرب إلى نفسه ، في وقت دون آخر ، فكان ينفس عن ضيقه بالشكوى .

زمان تأليف الكتاب

يدل حديث أبي حيان في مقدمته على الجزء الأول أنه بدأ يدوّن ملاحظاته لكتاب البصائر مند سنة ٣٥٠ للهجرة . وقد روّجت الطبعتان الأوليان للجزء الأول من هذا الكتاب[3] ، أن أبا حيان شرع في كتابة كتابه سنة ٣٦٥ ، وبدا أثر ذلك في معظم ما ظهر من دراسات حديثة عن أبي حيان[4] ، ولكنّ هذا

١ ضمن مقدمة الجزء الرابع .

٢ الجزء الأول ، الفقرة : ٤٢٥ .

٣ طبعة أحمد أمين وسيد صقر (القاهرة : ١٩٥٣) وطبعة عبد الرزاق محيي الدين (بغداد : ١٩٥٤) .

٤ انظر الحاشية رقم : ٢ من ص : ٢٢٩ .

التاريخ الثاني لا وجود له فيما اطّلعت عليه من مخطوطات البصائر[1] (وهو أكثر مما عرفه صاحب الطبعتين الأولبين) ولذلك فإن هذا التاريخ (٣٦٥) دخيل على نص البصائر، ولعله مما تبرع بإدخاله فيه أحد النسّاخ المجهولين. والأمر الذي لا شك فيه أن الإعداد لكتاب البصائر قد استغرق فترة طويلة جدًّا من حياة أبي حيان، باعترافه هو بذلك[2]، ولكن هذا الكتاب حين أخذ يظهر تباعاً[3]، اكتمل آخر جزء فيه سنة ٣٧٥ أو بعدها بقليل، لأن فيه ذكراً لثلاثة أشخاص توفوا في تلك السنة، هم أبو محمد الأندلسي والأبهري والداركي الفقيه الشافعي، وقد نصّ أبو حيان على وفاتهم فيها، وزاد أن الداركي منهم توفي في شوال من السنة، وأن الأبهري مات بعده بجمعة[4]. وبذلك يكون كتاب البصائر قد استغرق – جمعاً وتصنيفاً – خمسة وعشرين عاماً أو أكثر؛ أما المدة الزمنية التي استغرقتها كتابته وحدها فأمر من المتعذر تحديده، وإن كان من المؤكد أنه نجز قبل تبييض كتاب أخلاق الوزيرين[5]، ذلك الكتاب الذي طلب ابن سعدان، وزير صمصام الدولة البويهي، من أبي حيان تبييضه من مسوّدته بين سنتي ٣٧٢ و ٣٧٥ – زمن وزارته[6] –، ولكن لا نعلم هل استجاب أبو حيان لرغبة الوزير أو لا.

....

١ كذلك لم يرد التاريخ في طبعة الكيلاني من الكتاب.
٢ مقدمة الجزء الأول، قال: «جمعت ذلك كله في هذه المدة الطويلة».
٣ انظر مثلاً حديثه عن ارتفاع الجزئين الأولين في الفقرة السابقة عن إهداء الكتاب، وقوله بأنه استهدف لثلب الثالب بعد صدور ثلاثة أجزاء منه في مقدمة الجزء الرابع، وانظر كذلك في الموضوع نفسه مقدمتي الجزئين السابع والثامن.
٤ انظر الجزء الثامن، الفقرة: ٧٣٧ والجزء الخامس، الفقرة: ٢٩٩.
٥ انظر الحاشية رقم: ٢ من ص: ٢٣٠.
٦ انظر الإمتاع والمؤانسة ١: ٦١.

الكتاب

عندما شرع أبو حيان في كتابة كتابه « البصائر » كان على وعي دقيق بما يريد أن يدرج فيه ، وليس ذلك بالأمر المستغرب إذا تذكرنا الزمن الطويل الذي استغرقه الإعداد للكتاب منه . وقد أبان بوضوح عن تصوره للكتاب منذ مقدمة الجزء الأول ، إذ قدّر أن حجمه سوف يجيئ في ألفي ورقة تقريباً ، وأنه سوف يحتوي على « جميع ما في ديون السماع ، و . . . ما أحاطت به الرواية ، واشتملت عليه الدراية ، منذ عام خمسين وثلاثمائة » ، وذلك على شروط معينة : « مع توخي قصار ذلك دون طويله ، وسمينه دون غثّه ، ونادره دون فاشيه ، وبديعه دون معتاده ، ورفيعه دون سفسافه » . — هذا على وجه الإجمال ، أما بالتفصيل ، فإن الكتاب سوف يحتوي على : « رياض الأدب ، وقرائح العقول ، من لفظٍ مصون ، وكلامٍ شريف ، ونثرٍ مقبول ، ونظمٍ لطيف ، ومَثَلٍ سائر ، وبلاغةٍ مختارة ، وخطبةٍ محبّرة ، وأدبٍ حلو ، ومسألةٍ دقيقة ، وجوابٍ حاضر ، ومعارضةٍ واقعة ، ودليلٍ صائب ، وموعظةٍ حسنة ، وحجّةٍ بليغة ، وفقرٍ مكنونة ، ولمعةٍ ثاقبة ، ونصيحةٍ كافية ، وإقناعٍ مؤنس ، ونادرةٍ ملهية ، وعقلٍ ملقح ، وقولٍ منقّح ، وهَزْلٍ شيبَ بجدّ ، وجِدٍّ عجن بهزل ، ورأيٍ استنبط بعناية ، وأمرٍ بُيِّتَ بليْل ، وسرٍّ كتم على الزهد ، وحجّةٍ استخلصت من شوائب الشُّبُه ، وشبهةٍ أنشئت من فرط جهالة ، وبلادةِ طباعٍ رويت بلسان عيّ ، ولفظٍ مرذول عن صدرٍ حرجٍ وفؤادٍ عبام » .

وكما كان أبو حيان واضح التصوّر لما سوف يتضمنه الكتاب ، فقد كان واضحاً أيضاً في هدفه من وضعه . وهذا الهدف يتفرغ في فروع ثلاثة ، يتعلق أولها به شخصياً مؤلفاً وجامعاً ، ويتعلق ثانيها بقارئ الكتاب ، ويرتبط ثالثها بفهمه هو لأهمية التدوين . أما الفرع الأول فقد أبان أبو حيان أنه أراد الكتاب

« خزانة » لنفسه و « مرجعاً » لدرسه[1] ، وكأنه بذلك يريد أن يقول إن هذا الكتاب يُمثل ذاكرته الثقافية ووعيه الضميري لما مرّ به من تجارب وما استوقفه من نصوص عبر الأيام والسنين ، وذلك عندما كانت هذه الذاكرة تنطلق دون قيد وتسجّل ما يحفر في النفس مكاناً إلى الأبد ، وعندما كان ذلك الضمير يتحرك بحرية كاملة ، يجول بين الكتب والناس والأحداث ، فيقرّ فيه ما يقرّ ، ويذهب الزبد جفاءً دون رجعة . فالكتاب إذن هو التوحيدي الحرّ ، هو صورة من الكاتب الحرّ والمثقف الحرّ ، هو ، بكلمات التوحيدي نفسه : « تذكرة لجميع ما حوته الأذن ، وحفظه القلب ، وثبت في الكتب ، على طول العمر »[2] ، وهو أيضاً « ثمرة العمر ، وزبدة الأيام ، ووديعة التجارب »[3] .

غير أن الكتاب كان يراد منه أيضاً خدمة القارئ ، وتكون تلك الخدمة بإمتاع القارئ ، وبتثقيفه ، وبنفعه في آن معاً . أما إمتاع القارئ فإنه يكون بما في الكتاب من هزل ، وأما تثقيفه ونفعه فيكون بما فيه من جد[4] ؛ قال : « هذا الكتاب . . . وإن كان قد تأبط هزلاً واستبطن سخفاً وتحمّل مزاحاً ، فإنه قد تضمّن أدباً وعلماً ، وتوشح حكمة وفصاحة ، ودعا إلى الله أمراً وزجراً ، ودلّ على الخير إيجازاً وإطناباً ، ونشر حكم الله رواية واستخراجاً ، وأمتع النفس سراراً وجهاراً . . . »[5] . وبهذه الطريقة يكون الكتاب « تبصرة من العمى ، وتذكرة من العيّ »[6] ، ويكون مفيداً للرفيع

١ الجزء السابع ، الفقرة : ٧٦٧ .
٢ الجزء السابع ، الفقرة : ٦٦ .
٣ الجزء الثاني ، الفقرة : ٩٦ ب .
٤ الجزء الرابع ، الفقرة : ٥٣٨ : جعل الله هذا الكتاب لك طريقاً إلى الاستمتاع بهزله والانتفاع بجده .
٥ من مقدمة الجزء السادس .
٦ الجزء الثاني ، الفقرة : ٩٦ ب .

وللمتوسط والدنيّ[1] ، فهو إذن « للكليل شحذ ، وللوسنان يقظة ، وللعقل سمة ، وللعي بلاغة ، وللأخرس ترجمان ، وللناسي تذكرة ، وللغرير تجربة ، وللأديب عدّة ، وللعالم عمدة ، وللخامل نباهة ، وللمجهول علامة ، وللجادّ محجّة ، وللهازل مفكهة ، وللناسك بصيرة »[2] ، فإذا حفظ القارئ ما فيه واعتبر به فإنه يصبح – بكلمات أبي حيان – « مخصوصاً بالسعادة ، معاناً بالتوفيق ، متفقاً عليه بالفضل ، مشاراً إليه بالنبل ، مدركاً نهاية الأصل ، مجتنياً ثَمَرة العمر ، رفيعاً عند السلطان ، بهيًّا عند الإخوان ، مهيباً عند الخصوم »[3] .

ويبقى بعد ذلك الفرع الأخير من هدف أبي حيان من وضع كتاب البصائر ألا وهو تخليد الجيد من الأدب[4] ، وكأنه يخشى عليه من الضياع إذا لم يكتب ، وبهذا يكون أبو حيان مشيراً إلى أهمية التدوين والحفظ في الصحف ، وكان هو – بحكم عمله في الوراقة – من أكثر الناس وعياً لهذه المسألة .

وعلى ما كان في العمل الذي تصدّى له أبو حيان في كتاب البصائر من صعوبة – مضموناً وهدفاً – فإنه كان شديد السرور وهو يعمل فيه ، يتقدم إليه « بشهوة تامة وحرص متضاعف »[5] ، وعندما قال له « بعض أهل الشرف والأدب » : لقد شَقيتَ في جمعه ، ردّ عليه : « لو قلتَ لقد سعدتَ في جمعه لكان أحلى في عيني ، وألْوَط بقلبي ، وأولج في منافس روحي »[6] .

ولكن كيف كان أبو حيان سيواجه هذا العمل الضخم ، وعلى أي ترتيب كان سيورد « رياض الأدب وقرائح العقول . . . » هذه التي اختارها مضموناً

---

١ من مقدمة الجزء السادس .
٢ من مقدمة الجزء السادس .
٣ الجزء السادس ، الفقرة : ٨١٤ ؛ وانظر أيضاً الجزء الأول ، الفقرة : ٩٣ .
٤ انظر الفقرة : ٣٥٣ ج من الجزء الرابع .
٥ من مقدمة الجزء الأول .
٦ من مقدمة الجزء السابع .

لكتابه ؟ إن الناظر في كتاب البصائر يجد أن الكتاب يفتقر إلى أي نوع من الترتيب والتصنيف ، فالمادة فيه تتوالى دون أي نظام . صحيح أننا في بعض الأحيان نجد بضع فقرات متتالية ذات موضوع واحد[1] ، أو هي تدور حول أقوال شخصٍ واحد[2] أو أشخاص متقاربين في المنحى[3] ، إلا أن هذا هو استثناء على القاعدة ، ولا يشكّل بحدّ ذاته نوعاً من النظام قطّ ، وهذا ما دفع معظم الدارسين المحدثين إلى الجزم بأن أبا حيان اتبع في البصائر طريقة الجاحظ[4] ، وخاصة في كتاب البيان والتبيين .

ويفاجئنا أبو حيان في موضع من البصائر بقولٍ يُشْتَمُّ منه أنه كان على نية ترتيب مادته البصائر ترتيباً ما ، بحيث يَنتظم «كل شيء إلى شكله» ويُرَدُّ «إلى بابه »[5] ، أي أن تجيء تلك المادة مبوّبة تبويباً ما يسهّل الرجوع إليها ، ويمكّن القارئ من اختيار ما يريد قراءته منها . ولكنّ أبا حيان يعتذر في الموضع نفسه عن تحقيق تلك النيّة ، متذرعاً بانفتات حاله وانبتات مُنَّته[5] . فهل كان أبو حيان صادقاً في ادعاء هذه النيّة ابتداءً ؟

---

١ من أمثلة ذلك : الفقرات : ١٧٥ – ١٧٨ من الجزء الخامس ، إذ هي تدور حول وسائل إبعاد الهوام عن الزرع والإنسان ، والفقرات : ٦١٥ – ٦١٨ من الجزء نفسه ، فهي عن السؤدد ، والفقرات : ٣٥٢ – ٣٥٧ من الجزء الثامن ، إذ هي تتحدث عن الخطّ ، والفقرات : ٢٨١ – ٢٨٥ من الجزء التاسع ، فهي عن الوعد ، والفقرات : ٦٨٢ – ٦٨٥ من الجزء نفسه ، وهي تدور حول الحياء .

٢ من أمثلة ذلك : الفقرات : ١٨٥ – ١٨٧ من الجزء السابع ، فهي كلها في أقوال ثُمَامة بن الأشرس ، والفقرات : ١٩١ – ١٩٥ من الجزء الثامن ، إذ كلها من كلام وهب بن منبه ، والفقرات : ٤٦ – ٥٠ من الجزء السادس ، وكلها أقوال لأبي العيناء .

٣ من أمثلة ذلك أقوال الفلاسفة في الفقرات : ١٦١ – ١٦٧ من الجزء الثامن ، وأقوال الصوفية في الفقرات : ٤٦٣ – ٤٦٩ من الجزء الأول ، والفقرات : ٤٧١ – ٥٠٤ من الجزء الثاني ، وأقوال المحتضرين في الفقرات : ٣٣٠ – ٣٣٣ من الجزء الثامن .

٤ انظر الحاشية رقم : ٢ ، ص : ٢٢٩ .

٥ الجزء الأول ، الفقرة : ١٣٩ ، وانظر أيضاً الجزء الخامس ، الفقرة : ٤٥١ .

إن قرائن الأحوال تدلّ على أن التوحيدي لم يكن منذ البدء يعتزم تبويب كتابه ، ولعله فعل ذلك اتباعاً لطريقة الجاحظ - وكان من أشدّ المعجبين به[1] - أو لعلَّ المادة التي كان قد جمعها كانت من الكثرة بحيث كادت تستعصي على التبويب ، غير أن السبب الرئيسي في اختياره تلك الخطة هو أنه كان مؤمناً بأن نثر المواد على ما اتفق ، وعلى ما عنّ وجرى ، بتراوح مستمر بين الموضوعات ، هو من أكثر الوسائل فعالية في إيصاله إلى هدفه من الكتاب ، وخاصة فيما يتعلق بشدّ القارئ إليه . ومن هذا المنطلق بالذات ، دافع أبو حيان عن طريقة مزج الجد بالهزل ، معطياً إياها أبعاداً فلسفية نفسانية ، وهذا كله يؤكد أنه لم يرد منذ البداية وضع كتابه على شكل أبواب منتظمة .

ففي رأس البراهين التي يأتي بها أبو حيان دفاعاً عن هذه الطريقة تجيء مسألة شحذ ذهن القارئ ، إذ في رأيه أن التراوح بين الموضوعات ، وخاصة بين الجديّ والهزليّ منها ، يفتح شهوة القارئ على الاستمرار في القراءة دون كلل أو ملل ، ويقبل على الكتاب وهو « شهوان »[2] . والملل داء دويّ يصيب القارئ ، وحدوثه يتأتّى من استمرار الكاتب على وتيرة واحدة ، والاستمرار على وتيرة واحدة - من الناحية الفلسفية - منافٍ لتركيب الإنسان الأصلي ، إذ الإنسان مبني « على الضعف والقوة ، والعجز والقدرة ، والنقصان والزيادة »[3] ، أي على « الترجيح بين الأمور المتفاوتة »[4] ، وهذا أمر يعرفه الإنسان من نفسه ، كما عرفه أبو حيان من نفسه : « وهذه مداراة مني لنفسي

---

١ لأبي حيان كتاب عنوانه تقريظ الجاحظ (انظر معجم الأدباء ٥ : ٣٨٢) لم يصلنا ووصلتنا بعض نقول منه في كتاب ياقوت ، وانظر أيضاً مقدمة الجزء الأول من البصائر ، والجزء الخامس ، الفقرة : ٧٨٢ ، والجزء الأول ، الفقرة : ٥٨١ ، والجزء الخامس ، الفقرة : ٧٨٢

٢ الجزء الأول ، الفقرة : ١٣٩ .

٣ الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٨٦ .

٤ الجزء الأول ، الفقرة : ١٣٩ .

أولاً ثم لك أيها الناظر ، فقد علمتُ أنك من طينتي ، وجارٍ على خليقتي ، تَملّ كما أملّ ، وتكلّ كما أكلّ ، وتعرض لك الحال التي تدل على عجزك عن حظك ، ولولا أني وإياك على هذا النعت لما احتجنا إلى ما يتأدب به ، لأن التّمام كان لنا بالجوهر ، والكمال فينا بالعنصر . . . »[1] ولذلك خاطب أبو حيان القارئ بقوله : « . . . وإنما أتباعد قليلاً ، وأذكر فصلاً نحوياً ، وفصلاً كتابياً ، وفصلاً كلامياً ، وفصلاً فقهياً ، وفصلاً فلسفياً ،وفصلاً لغوياً ، وفصلاً شعرياً . . . لشيئين ، أحدهما – وهو أكبرهما – أنك أيها القارئ إذ تثبت على الكتاب ، وتبرأ من الملالة ، فستجد حرصاً على الاستكثار من العلم ، وتنخدع للحكمة ، وتصل إلى حظك بخفة المؤونة . . . »[2] .

ولم تكن هذه الطريقة – في نظر أبي حيان – لتجور على هدفه في إفادة القارئ ووعظه وتثقيفه ، لأن تمييز الحسن من القبيح من أسهل الأمور ، « فإن العاقل يميّز الطيب من الخبيث ، والحقّ من الباطل ، والهزل من الجدّ ، ويتحلى بالأحسن ويتخلّى عن الأقبح »[3] ، بل هي طريقة أفضل من الطريقة المعاكسة لها ، ليس وحسب لأنها تمنع الثقل والكلال عن نفس القارئ[4] ، بل لأنها تجعل المتضادات متقاربة متجاورة ، فيبرز بذلك حُسْن الحَسَن وقُبْح القبيح ، « والشيء يظهر حسنه الضدّ »[5] ، والنفس متى لم تذق فرح الهزل كربها غمّ الجدّ[6] ، وضاع على الكاتب ما كان يرجوه من وصول إليها ونفع لها .

....

١ الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٨٦ .
٢ الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٨٠ .
٣ من مقدمة الجزء الرابع .
٤ من مقدمة الجزء الرابع .
٥ من مقدمة الجزء الرابع .
٦ الجزء الأول ، الفقرة : ١٣٩ ، وانظر أيضاً مقدمة الجزء السابع .

ورغم الدفاع الشديد الذي قام به أبو حيان عن طريقته في عدم التبويب وفي مزج الجد بالهزل ، فإن حملة شديدة واجهته لأجلها ولأسباب أخرى سوف أتعرض لها بعد قليل . وقد بلغت هذه الحملة درجة كبيرة من العنف – فيما يبدو – اضطر أبو حيان معها إلى التعرض لها على صفحات البصائر ، وقد وصف نفسه إزاءها بأنه قد جوبه بالتعنيف ، ووجه باللائمة ، وجلف بالقذع ، وذكر بالشنآن ، وأن أصحابها قد أتعبوه وأكلوه وشربوه[1] . غير أن هذه الحملة المركّزة عليه لم تثنه عن عزمه ، بل جعلته يقف من مهاجميه موقف المهاجم ، واصفاً إياهم إما بالحسد أو بالجهل ، وداعياً عليهم بعدم التوفيق فيما يرجونه له من الإخفاق[2] ، وإن ظلّ في قرارة نفسه يتمنى أن تكون اتهاماتهم له صادرة « عن صدور نقيّة »[3] ، وأن يجد حكماً منصفاً ، وأنّى يجد مثل هذا المنصف[4] ! وعلى أية حال ، فكل مرة كان يعود إلى عدم الاكتراث بما يقال عنه ، عملاً بالقول « إن من أعار الناس أذنه حشوها شرًّا ، وأوسعوه غيظاً ، ولم يصغوا إليه إلا بعار الأبد ، وخسران الدهر ، وفوت الدنيا ، وذهاب الدين »[5] .

ويبدو أن مزج الهزل بالجدّ كان أكبر ما أُخذ عليه في كتابه ، وهو نفسه يقول إن واحداً من « أهل الشرف والأدب » نظر فيما صدر من الكتاب فقال له : « إنك قد جمعت بين الفضل والهزل ، وبين العلم والجهل ، ومن شمّر في كتاب تشميرك ، وكدّ فيه كدّك ، نفي المنفيّ واختار المختار ، فالعطن يضيق عن تمام العزم في مطالعة الكلمة السخيفة واللفظة الشريفة ، ومن مزج هذه بهذه

١ من مقدمة الجزء الثامن .
٢ الجزء الرابع ، الفقرة : ٣٥٣ ج ، وانظر أيضاً مقدمة هذا الجزء نفسه .
٣ من مقدمة الجزء الثامن ومن مقدمة الجزء الرابع أيضاً .
٤ من مقدمة الجزء الثامن .
٥ من مقدمة الجزء الثامن .

كمن مزج الشراب الصافي بالكدر ، وبما يكدّره ويعنّي شاربه ويمنع من توّرده والارتواء به »[1] . وكانت التهمة الثانية قيامه بإدراج « النوادر الملهية ، والألفاظ السخيفة ، والمعاني المهجورة »[2] ، وهو ما يعيب كل كتاب مهما يكن شأنه . كذلك انتقد أبو حيان لأنه فتح صفحات كتابه للغة والنحو ، ومكانهما في غير مثل هذا الكتاب[3] ، وعلى أن جميع ما في كتابه أفضل من كتابته[4] ، بينما واجهه آخرون بالتشكيك المبدئي في قيمة عملٍ مبني على المختارات قائلين : « وما في جمع مُلَحِ الناس ونوادرهم من علامة الفضل ودلالة الأدب وصواب الاختيار حتى يقال : ما قصّر أبو حيان في كتاب البصائر : نقد واختار ، ونقل وامتار ، واعترض وطالب ، ودعا ورقّق ، واعتذر وقرّب ، واحتجّ وانتصر ، ومن هذا الذي يعجز عن مثل هذا ، بل من هذا الذي لا يزيد عليه ولا يأتي بخير منه ؟» [5] وزاد بعضهم من قوة هذه التهمة الخطيرة حين وضع كتاب البصائر بإزاء كتب المختارات الأدبية السابقة عليه متسائلاً بتشكيك : « ما مزية هذا الكتاب على جميع ما تقدم من الكتب . . . وهل ينتدب إنسان لجمع كلام وتأليف كتاب – مع هذا الاحتفال العجيب – إلا وهو يحب الزيادة على النقص ، ويودّ رفع جهل قد ثبت ، ويقصد رقع واهية قد تركت ؟ »[6] وهذه التهمة الأخيرة توصلنا إلى قضية من أخطر القضايا المتعلقة بكتاب البصائر ، وهي مكانه بين الكتب الأدبية حتى عصره .

١ من مقدمة الجزء السابع ؛ وانظر أيضاً مقدمة الجزء الثامن .
٢ من مقدمة الجزء الرابع .
٣ من مقدمة الجزء الثامن .
٤ من مقدمة الجزء الثامن .
٥ من مقدّمة الجزء الرابع .
٦ من مقدمة الجزء الثامن .

كتاب البصائر بين المؤلفات الأدبية التي تقدمته :

بيّن أبو حيان منذ البداية أنه اعتمد في هذا الكتاب على مجموعة من المؤلفات التي تقدمته ، وعدّد بعضاً منها في مقدمته على الجزء الأول فقال : « جمعت ذلك . . . من **كتبٍ شتّى** حكيت عن أبي عثمان عمرو بن بحر **الجاحظ** الكناني ، وكتبه هي الدرّ النثير ، والنَّور المطير ، وكلامه الصرف الحلال ، ثم **كتاب النوادر** لأبي عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ، ثم **كتاب الكامل** لأبي العباس محمد بن يزيد الثّمالي ، ثم **كتاب العيون** لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري ، ثم **مجالسات ثعلب** ، ثم كتاب ابن أبي طاهر الذي وسمه **بالمنظوم والمنثور** ، ثم **كتاب الأوراق** للصولي ، ثم **كتاب الوزراء** لابن عبدوس ، **والحيوانات** لقدامة . هذا **إلى غير ذلك** من **جوامع للناس** مضافات إلى حفظ **ما فاهوا به** ، واحتجوا له ، واعتمدوا عليه ، في محاضرهم ونواديهم ، وحواضرهم وبواديهم ، **مما يطول إحصاؤه** ، ويملّ استقصاؤه . . . » . ويدلّ هذا النصّ على أمرين رئيسيين ، الأول : أنَّ أبا حيان اعتمد على مؤلفات كثيرة سبقته ، لا تشكّل الكتب المذكورة بالاسم والعنوان هنا إلا جزءاً صغيراً منها ، والثاني : أنه اعتمد إلى جانب الكتب على روايات شفوية كثيرة ، وكلا الأمرين مما يجد مصداقيته في الكتاب بشكل بيّن لا يحتاج إلى برهان ، وسأحاول في هذا المجال أن أبيّن طبيعة اعتماده على من تقدموه ، بحسب ما تبين لي خلال عملي في البصائر ، علماً أن هذه المحاولة تبقى محدودة بما اطلعت عليه من مجاميع ، بل بما وصلنا في الأصل من مؤلفات ، إذ إن الكثير من الكتب التي نقل منها أبو حيان قد ضاع بمرور الزمن – دون ريب – ولعل الأيام تكشف عنه في المستقبل . كذلك أجدني مضطرة في غير مكان إلى سلوك طريق التقدير والترجيح ، إذ لعلّي أن أجد نصاً مشتركاً بين البصائر وكتاب الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار – مثلاً – **فأقدّر** أن

أبا حيان نقله عن كتاب الزبير ، ولا تكون الموفقيات هي المصدر المباشر له ، وسنظل محدودين بهذه القيود إلى أن يتوفر لدينا عدد أكبر من مؤلفات الأولين ، وبخاصة وأن أبا حيان كثيراً ما يغفل ذكر مصدره في النصّ . أما حيث يذكر مصدره في النقل ، أو على الأقل يذكر اسم المؤلِّف الذي ينقل عنه ، فإن الإشكال يقلّ أو يزول . ويبدو أن أبا حيان قد رأى - في مرحلة مبكرة من عمله في البصائر - أن يسند أخباره إلى رواتها سنداً كاملاً أو شبه كامل ، وخاصة في الجزء الثاني ، فإذا بنا نقرأ مثلاً : ابن دريد عن الرياشي عن العتبي (الفقرة : ٦٥) ، السكري عن أبي حاتم عن أبي عبيدة (الفقرة : ٦٧) ، ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل الضبي (الفقرات : ٧٢ - ٧٤) - ولكنه سرعان ما ترك هذه الطريقة ، ولم يعد إليها في سائر الكتاب ، وذلك - في نظري - تخفيفاً على القارئ وخوفاً من أن يقع في الملل .

ونظراً للتعقيد الشديد في طبيعة المصادر التي اعتمد عليها أبو حيان ، ولكثرتها أيضاً ، فإني سوف أقسمها في أقسام بحسب الموضوعات الكبرى ، فأبدأ بمصادره في القرآن وتفسيره ، ثم في الحديث النبوي ، ثم في علم الكلام ، ثم في الطب والتنجيم ، ثم في النحو ، ثم في اللغة ، ثم في النقد الأدبي ، وأخيراً في الأدب .

أ - القرآن وتفسيره

كان القرآن على رأس ما اعتبره أبو حيان من منابع لـ « أمهات الحكم وكنوز الفوائد » ، كما يقول في مقدمته على الجزء الأول ، وقد وصفه هنالك بأنه الكتاب الذي « حارت العقول الناصعة في رصفه ، وكلّت الألسنة البارعة عن وصفه ، لأنه المطمع ظاهره في نفسه ، الممتنع باطنه بنفسه ، الداني بإفهامه إياك إليه ، العالي بأسراره وغيوبه عليك ، لا يُطار بحواشيه ، ولا يملّ من تلاوته ، ولا يُحَسُّ بإخلاق جدّته . . . » . وقد جاء كثير من الآيات

القرآنية في كتاب البصائر ، إما عرضاً في درج الكلام ، أو في فقرات مستقلة ، وعندما كانت تجيء في فقرات مستقلة ، كانت تقترن بتفسير أحد العلماء لما يرد من أمرٍ غامض فيها . وقد أورد أبو حيان تفسيرات لآيات مختلفة من أقوال أبي هريرة (٦/ ف ٣١٨) ، وابن عباس (٦/ ف ٣٨٩) ، وجعفر بن محمد (٦/ ف ٥٩٠) ، والحسن البصري (٧/ ف ١٠) ، والأخفش (٦/ ف ٥٥٢) ، والجنيد (٦/ ف ٥٩١) ، وعلي بن عيسى (٦/ ف ٦٧٣) ، والسيرافي (٦/ ف ٦٧١) ، ومرة قام هو نفسه بتفسير آية (٦/ ف ٤١٣) ، وأورد تفسيراً لـ « بعض النحويين » مرة (٦/ ف ٤٢٤) ، ومرتين لـ « بعض العلماء » (٦/ ف ٤١٢ و ٤١٣) . أما تفسير أبي هريرة ، فإن أبا حيان قد يكون استقاه من أي مصدر في التفسير ، وكذلك تفسير ابن عباس ، إلا أن يكون مأخوذاً من كتابه المشهور في التفسير[1] ، وأما تفسير جعفر بن محمد فمصدره أيضاً لا يمكن تحديده ، وأما الأخفش فإن له كتاباً عنوانه « تفسير معاني القرآن »[2] ، وقد يكون أبو حيان رآه ، كما قد يكون رأى تفسير الحسن بن أبي الحسن البصري[3] ، وللجنيد بن محمد بن الجنيد كتاب « أمثال القرآن »[4] لعله اطلع عليه – إن كان الجنيد الذي يقصده هو المترجم له في الفهرست لابن النديم – ، كما قد يكون وقع على تفسير علي بن عيسى الرماني في كتابه « إعجاز القرآن » أو أنه سمع منه تفسيره شفوياً ، إذ كان الرماني أستاذه في النحو[5] ، أما السيرافي فما نعرف له كتاباً في التفسير ، والأرجح أن أبا حيان

---

١ انظر الفهرست : ٣٦ .
٢ انظر الفهرست : ٣٧ و ٥٨ .
٣ انظر الفهرست : ٣٦ .
٤ انظر الفهرست : ٤١ و ٢٣٨ .
٥ انظر الفهرست : ٦٩ ، وانظر أيضاً : مجتمع القرن الرابع في مؤلفات أبي حيان التوحيدي لوداد القاضي : ٢٩ .

نقل ما نقله عنه شفوياً . وبقي أن نضيف أن أبا حيان قد عرف كتاب « مجاز القرآن » لأبي عبيدة ، وعنه (في ٦/ ف ٤٦٠) ينقل قوله إن اسم السلام هو السلام ، وكذلك كان يعرف كتاب نظم القرآن لأبي زيد البلخي ، وكان معجباً به ، إلا أنه لم ينقل منه شيئاً إلى البصائر[١].

ب - الحديث النبوي

وعلى وجه الإجمال يعدّ التفسير في كتاب البصائر قليلاً ، إذا هو قورن بالحديث النبوي الشريف ، الذي يرد إما منثوراً بين ثنايا الفقرات ، أو مجموعاً معاً في فقرة واحدة أو في فقرات متتالية ، وقد سيطر الحديث بشكل خاص على الجزء السابع من الكتاب إذ جاء في أوله مجموعة أحاديث قصيرة تبلغ ثلاثة وثلاثين حديثاً ، وجاء في آخره ما يناهز المائتي حديث على التوالي ، لا يقطعها سوى بعض التوقفات للشرح[٢] ، أو للتعليق عليه[٣] ، أو لذكر المناسبة[٤] ، أو لتفسير ما غمض لغويًّا فيه[٥] ، أو لمقارنة حديث بحديث آخر[٦] ، دون أن يخلو الأمر من بعض الاستطرادات القصيرة والطويلة[٧] . وتظهر حماسة التوحيدي الشديدة للحديث النبوي ظهوراً جلياً في كتابه ، وخاصة في تعليقاته ، وهو يعتبر السنّة النبوية ثاني منبع لـ « أمهات الحكم وكنوز الفوائد » بعد القرآن

....

١ انظر الجزء الثامن ، الفقرة : ٢٢٧ جـ .

٢ انظر مثلاً الفقرتين : ٦٤٧ و ٦٥٠ من الجزء السابع .

٣ انظر مثلاً الفقرتين : ٦٤٦ و ٦٤٩ من الجزء السابع .

٤ انظر ٧ : الفقرة ٦٥١ لمناسبة قول الرسول الكريم « حسن العهد من الإيمان » و ٧ : الفقرة : ٦٥٣ لمناسبة قوله « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » .

٥ انظر الفقرات : ٦٥٥ و ٦٧٠ و ٦٧٤ من الجزء السابع .

٦ انظر المقارنة بين « الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة » و « الناس كأسنان المشط » في ٧ الفقرة : ٦٤٨ ؛ وانظر أيضاً الفقرة : ٦٥٧ .

٧ انظر أمثلة من ذلك في ٧ : الفقرات : ٦٤٥ ، ٦٤٩ ، ٦٥١ ب و جـ ، ٦٥٨ ب . . . .

الكريم ، وذكر – في مقدمته على الجزء الأول – أنها «السبيل الواضح ، والنجم اللائح ، والقائد الناصح ، والعلم المنصوب ، والأَمَم المقصود ، والغاية في البيان ، والنهاية في البرهان ، والفزع عند الخصام ، والقدوة لجميع الأنام » .

ولقد كان أبو حيان التوحيدي قد درس الحديث في مرحلةٍ مبكرة من طلبه العلم ، فأخذه – بحسب ما تخبرنا المصادر – عن أبي بكر الشاشي المعروف بالقفّال ، وأبي الفرج المعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طرارا وأبي الحسين ابن سمعون وجعفر الخلدي وأبي سعيد السيرافي وأبي الحسن القطان وغيرهم ، ولعله أيضاً سمع الحديث من الدارقطني عندما لقيه ببغداد سنة ٣٧٠[١] . لكن الغريب في الأمر أنه – باستثناء السيرافي الذي يشير إليه أبو حيان باسم « الثقة » – لا يظهر في كتاب البصائر لأي واحد من هؤلاء ذكر متصل بروايته للحديث النبوي ، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على بعد الزمن بين بدايات طلبه العلم وبين تدوينه الفعلي لكتاب البصائر ، أو يدل على أن أبا حيان اهتم بنصوص الأحاديث أكثر من اهتمامه بالإشارة إلى مصادرها . على أننا نجد في كتابه بعض الأقوال المبينة عن منابع استقائه للحديث ، وبعضها مكتوب مدوّن ، ككتاب أبي عبيد القاسم بن سلام « غريب الحديث »[٢] ، وقد كان أبو حيان شديد الإعجاب به ، يرى أنه لم يسبقه إليه أحد « والناس من بعده سلكوا طريقه »[٣] ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ[٤] ، وإنه لمن اللافت للنظر أن يعتمد أبو حيان على البيان والتبيين بالذات في مجال الحديث ، وأن يؤكد هذا الاعتماد بالقول : « وقد سبق أبو عثمان إلى جمعه (أي الحديث) في كتاب البيان والتبيُّن ، وليس على ما يأتي به أبو عثمان مزيد ، فإنه الشيخ المقدم والبليغ

....

١ انظر : مجتمع القرن الرابع في مؤلفات أبي حيان التوحيدي لوداد القاضي : ٢٩ .

٢ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٨٦ .

٣ الجزء السابع ، الفقرة : ٧١٠ .

٤ انظر حاشية الفقرة : ١ من الجزء السابع ، وكذلك الفقرة : ٦٤٣ من الجزء نفسه .

المعظَّم »[1] ، إذ كتاب البيان كتاب أدب قبل أن يكون كتاباً في الحديث ، على أن ما يربط بين صاحب البصائر وصاحب البيان هو حسن الانتقاء وحذف الإسناد[2] . هذا بالنسبة للمصدر الكتابي للحديث ، أما المصدر الشفوي له ، فإن أبا حيان ينبئنا صراحة أن الأحاديث الواردة في الجزء السابع من الكتاب – أي معظم ما فيه من حديث – قد قرأه كله في آخرين على أبي الشيخ الأصبهاني[3] ، فيما يخبرنا في مكان آخر أن « الثقة » – يعني السيرافي – روى له الحديث الطويل عن ابن أبي سمرة[4] ، وأن أحمد بن منصور الحافظ روى له حديثاً آخر[5] ، وأن أبا بكر الشافعي روى له حديثاً غيره[6] .

جـ – علم الكلام

يحتوي كتاب البصائر على أقوال كثيرة للمتكلمين رغم وقوف أبي حيان موقفاً عدائياً شديداً منهم ، كما سأبين من بعد ، وإنما أدرج نقوله الكلامية هذه في كتابه فيما أظن ، حتى لا يخلي الكتاب من ناحية هامة من نواحي الثقافة الإسلامية التي أراد تدوينها . وقد سجّل التوحيدي أقوالاً[7] لعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وأبي الهذيل العلاف ، واهتم من المعتزلة أكثر ما اهتمّ ، بأقوال ثُمَامة بن الأشرس والنظام ، ولم يخلِ الكتاب من أقوال متكلمين مغمورين بعض الشيء كبرغوث ويحيى بن كامل وسعيد المقرئ ، ومن اللافت

....

١ الجزء السابع ، الفقرة : ٦٤٣ .
٢ انظر الجزء الثاني ، الفقرة : ٢٠٠ .
٣ انظر الجزء السابع ، الفقرة : ٦٨٢ .
٤ انظر الجزء الرابع ، الفقرة : ٦ .
٥ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٠٣ .
٦ انظر الجزء الثاني ، الفقرة ٢٠٠ .
٧ انظر فهرس الأعلام .

للنظر أنه لم يدوّن أية أقوال كلامية بالذات من أقوال الجاحظ . كذلك اهتم التوحيدي بأقوال هشام بن الحكم وهشام الآخر (الجواليقي أو الفوطي) والإسكافي وأبي عيسى الورّاق ، وخاصة منها ما يتعلق بالتجسيم . لكن المسألة التي ما تزال مجهولة حتى الآن هو مصادره في علم الكلام ، إذ لم أجد تطابقاً بين الأقوال الواردة في البصائر وما ورد في أي مصدر آخر ، وإن كان من السهل أن نقول إن كلاماً شبيهاً بما ورد فيه قد جاء في مقالات الإسلاميين للأشعري أو سواه من الكتب ، غير أن ذلك يظل ضمن دائرة التخمين المطلق . غير أن أبا حيان نقل نصوصاً من كتابين فريدين لا أظن أنهما وصلا إلينا ، أحدهما من تأليف محمد بن زكريا الطبيب في قضية كلامية : هل يكون حكيماً مَن وجد طريقين فسلك أبعدهما وأوعرهما (يشير إلى فعل الله بخلقه) ، والثاني ردّ على كتاب الرازي من عمل الحارث الورّاق[1] . إلا أن قرائن الأقوال في هذا المقطع من البصائر قد تشير إلى أن التوحيدي يلخّص كلام الرجلين ولا ينقله نَصّاً عن كتابيهما . وبقي أن أضيف أن أبا حيان كان يعرف كتاب المقالات للكعبي ، ولكنه لم ينقل منه على ما يبدو[2] .

د - الطب والتنجيم

هذان حقلان لم يصرف أبو حيان عدداً كبيراً من صفحات كتابه لهما ، إلا أن ميزتهما بالنسبة لمتتبع مصادر أبي حيان ، أن مصادرهما معروفة نسبياً بنصّ أبي حيان على ذلك أو بإشارته إليه . أما في النجوم فقد اعتمد أبو حيان على كتاب مذكرات أبي معشر[3] ، وعلى رجل يسميه « بعض أصحابنا »[4] ، وطبيعة

١ انظر الجزء الرابع ، الفقرة : ٢٨ .
٢ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٨٦ .
٣ انظر الجزء الثالث ، الفقرة : ١٩٧ ؛ وانظر ترجمة أبي معشر في تاريخ الحكماء للقفطي : ١٥٢ .
٤ انظر الجزء السادس ، الفقرة : ٣٣٢ ب - جـ ؛ وانظر ترجمة غلام زحل ومؤلفاته في تاريخ الحكماء : ٢٢٤ .

النص تنبىء بأن هذا الرجل هو غلام زحل عبيد الله بن الحسن ، وهو أحد زملاء التوحيدي في حلقة أبي سليمان المنطقي السجستاني ، فمن الطبيعي أن نتصور أنه أخذ عنه ما أخذ شفويًّا . كذلك لا بد أن يكون أحد مصادر أبي حيان في الطبّ شفوياً ، وهو فيروز الطبيب المجوسي ، كما في نصه هو على ذلك[1] ، وكان أيضاً زميل أبي حيان في حلقة أبي سليمان ، ولعله هو المقصود بـ « بعض الأطباء » (في ٦/ ف ٣٠٨ و ٥٧١) و « بعض شيوخ الطبّ » (في ٩/ ف ٧١١) ، هذا إذا كان من العرب ، أما إذا كان من أطباء يونان فإن المعني يكون إما أبقراط أو جالينوس ، وقد نقل التوحيدي بعض أقوالهما في كتابه[2] ، وأحد هذين الاثنين لا بد أن يكون هو المعنيّ بقوله « قال بعض الأوائل » لدى حديثه عن بعض طرق العلاج[3] .

هـ - النحو

يحتل النحو مكانة لا بأس بها بين مختارات أبي حيان ، وقد أفرد فقرات للبدل (٢/ ف ٦٨١) ، والرفع بأوجهه السبعة (١/ ف ٥٦٩) ، والنصب بأوجهه الاثني عشر (١/ ف ٦٦٢) ، والفعل بأجناسه الخمسة (١/ ف ٧٦١) ، وكيفية دخول الألف واللام في الكلام (٤/ ف ٤٥٣) ، والمنصرف وغير المنصرف (٦/ ف ٣٤٢) ، والأقوال المختلفة في « حاشا » (٥/ ف ٧٠٣) ، و « عسى » (٥/ ف ٤٥٤ ب) ، والفرق بين الحارث وحارث والعباس وعباس . . . الخ (٤/ ف ١ و ٤٧٥) ، وبيَّنَ الفرق بين النحويين فيما يضعون على الكلام من ألقابٍ كالرفع والخفض والإمالة وغير ذلك وبين

....

١ انظر الجزء السادس . الفقرة : ٣٠٧ ب .
٢ انظر الجزء السادس . الفقرة : ٣٠٨ و ٣٠٩ . وانظر أيضاً : ٣١٠ .
٣ انظر الجزء الخامس . الفقرة : ٤٦٤

العرب الذين لا يعرفون ذلك (٦/ ف ١٩٩ و) ، كما أورد بعض النوادر عمن يخطئ في النحو أو هو لا يعرفه (٦/ ١٩٩ بفروعها المختلفة) ، بالإضافة إلى ما كان يمرّ في الكتاب من النحو عرضاً لأبي حيان أو غيره أثناء تفسير لآية قرآنية أو حديث نبوي أو بيت من الشعر . غير أن المشكلة التي يواجهها دارس مصادر البصائر بالنسبة لحقل النحو ، أنه يجد غير قول منسوبٍ على التعميم إلى «شيخ من النحويين»[1] أو إلى «بعض أرباب النحو»[2] ، أو إلى «بعض النحويين»[3] ، على أن هذه الأماكن كلها تبدأ فقراتها بكلمة «سمعتُ» ، مما يعني أن أبا حيان كان يستعمل مصدراً شفوياً وليس مصدراً كتابياً ، وهذه – على الأرجح – طبيعة مصدره في نقوله النحوية عن أبي سعيد السيرافي ، وعنه فيما يبدو أخذ أكثر مواده النحوية في كتابه ، فحديث المنصرف وغير المنصرف مصدره أبو سعيد ، وكذلك الحديث عن الأقوال في «عسى» (رغم احتوائها على آراء سيبويه والأخفش والمبرّد) ، وأما الكلام الطويل على «حاشا» فإن الفقرة عنه يتصدرها أبو سعيد ، فإذا سرنا في القطعة وجدنا فيها آراء سيبويه والمبرّد وأبي عمرو الشيباني والزجّاج ، لكن ما إن نصل حتى آخر القطعة حتى نتأكد من أن السيرافي هو مصدرها الوحيد («هذا آخر كلام أبي سعيد ، سقته لأنه تَمَام المعنى في لفظ مختلفٍ فيه») ، وكل القرائن تدل على أن نقل التوحيدي هنا كان شفويًّا . بقي أن نشير إلى أن كتاب سيبويه كان من المصادر التي استعملها أبو حيان[4] ، ويبدو أنه استعمله على نحو مباشر لا بواسطة السيرافي ، رغم أن السيرافي كان من كبار من تصدوا لشرحه ، ولكن يظل هناك احتمال بأن يكون أبو حيان قد قرأ كتاب سيبويه على السيرافي[5] .

١ الجزء الثاني . الفقرة : ٦٨١ والجزء الأول . الفقرة : ٦٦٢ .
٢ الجزء الأول . الفقرة : ٧٦١ .
٣ الجزء الأول . الفقرة : ٥٦٩ والجزء الرابع . الفقرة : ٤٥٣ .
٤ الجزء الرابع . الفقرة : ١ و ٤٧٥ .
٥ انظر تقريظ أبي حيان لشرح السيرافي لكتاب سيبويه في الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٣١ .

و – اللغة

عندما نصل إلى حقل اللغة نكون قد وصلنا إلى واحد من أغزر الحقول التي عني التوحيدي بإدراجها في كتابه ، إذ كانت اللغة من الموضوعات اللصيقة بقلبه القريبة من نفسه ، بل إنه يقول في البصائر إن المعرفة اللغوية الصحيحة هي التي تجعل من الإنسان إنساناً على الحقيقة وليس بالخلقة فقط[1] . ولعل مجال اللغة هو المجال الأوسع الذي تظهر فيه ثقافة التوحيدي الذاتية ، فقد كان شديد العناية بها حثيث التتبع لصوابها ، وقد روى في البصائر حكاية تنبىء أنه كان قلقاً بشأن كلمة « الاحتلاط » – بالحاء المهملة – فسأل أعرابياً عنها ، ولم يصل إلى الراحة حتى قال له الأعرابي إن معنى الاحتلاط هو الغضب ، وأنشده في ذلك شعراً[2] . وروى أيضاً أنه سمع بالبادية بفيد رجلاً من العرب يقول لآخر عند قاضيها : أنا الضامن المخبور والجذع المفرور ، فحفظ هذا الكلام من غير معرفة ، ثم سأل عنه العلماء فوضح الجواب[3] . بالمقابل كان أبو حيان يغضب ممن يدعي العلم ويخطىء في اللغة ، وممن يحاول أن يتعالم عليه فيها ، وقد روى في البصائر قصة « شيخ من سراة أذربيجان » أراد أن يخجله فخجل ، قال : « وذلك أنه قال لي : ما تقول في رجل زنا ؟ فقلت : الحال معتبرة ، فإن كان بكراً فالجَلْد ، وإن كان ثيباً فالرَّجْم ، والتغريب على ما يرى الإمام ، ففيه الخلاف ؛ فقال لي : اخطأتَ ، إني ما أردتُ إلا غير هذا المعنى ، قلت : كأنك أردت رجلاً زنا بامرأة ، قال : أردت صعد الجبل ، قلت : فاعلم أيها المخطّىء أنك مخطىء ، قال : كيف ؟ قلت : لأن ذاك بالهمز لا غير ، ومتى حذفتَ الهمز فسد المعنى ، فالتقم حصاة سكوتاً »[4] .

---

١ انظر الجزء الرابع . ضمن الفقرة : ٨١٨ ب .

٢ انظر الجزء الخامس . الفقرة : ١٥١ .

٣ انظر الجزء الأول . الفقرة : ٣٠٠ .

٤ الجزء الأول . الفقرة : ٥٧١ .

واللغة في كتاب البصائر قد تجيء في أي مكان منه دون تمهيد ، إذ يعمد أبو حيان إلى ضبط الكلمات أو إلى شرحها أو إلى تبيان استعمالاتها الخاصة في التعابير الخاصة أو إلى إيضاح الصواب من الخطأ ، أو إلى تخليص العربي من غير العربي ، أنّى خطر له ذلك ، على أثر آية قرآنية ، أو حديث نبوي ، أو حكمة منقولة ، أو شعر مروي ، أو نادرة طريفة ، أو حكاية تاريخية ، أو مقولة لأعرابي ، غير أنه في بعض الأحيان كان يعقد فقرات خاصة للشروح اللغوية ، وفي أحيان أخرى كان يشرح بالتفصيل مقطوعة كاملة من الشعر ، كما فعل عندما تعرض بالضبط والشرح لأبيات أنشدها ابن الأعرابي[1] مطلعها :

* المرءُ يَكدحُ للحياةِ وحَسْبُهُ خَبَلاً حياتُهْ *

وكما فعل أيضاً بكلامٍ للرشيد[2] . على أن الظاهرة التي ينفرد بها كتاب البصائر هو تلك المجموعات من الكلمات التي كان التوحيدي يأتي بها مجتمعةً معاً ثم يشرحها مباشرة أو بعد قليلٍ مجتمعة معاً ، وكل مجموعة منها تتألف من كلمات متشابهة متساوية في عدد المقاطع وعدد الحروف مختلف بعضها عن بعضها الآخر إما بالإعجام أو بحرف واحد يتغير منها (وقد يسير التوحيدي بهذه الكلمات من أول الأبجدية حتى آخرها) بينما تبقى الحروف الأخرى ثابتة ، وذلك من مثل قوله (في ٥/ ٢٤٦) : ما الشائف ، وما الخائف ، وما الزائف ، وما السائف ، وما الصائف ، وما الضائف ، وما العائف ، وما القائف ، وما الرائف ، وما النائف ، وما الطائف ، وما الآيف ، وما الحائف .

وأبو حيان في ضبطه اللغوي أو شرحه إما أن يتوقف عند ما يريد أن يقوله ، وهذا يعني أن الكلام له أو أنه بغير حاجة إلى استشهادٍ يضفي عليه

....

١ شرح الأبيات جاء في الفقرة : ٢٩٨ من الجزء الخامس ، ووردت الأبيات بعدها في الجزء نفسه ، الفقرة : ٥١٩ .

٢ كلام الرشيد في الفقرة : ٤٨٩ من الجزء الثامن ، وشرحها في الفقرة : ٤٨٩ ب من الجزء نفسه .

التصديق ، أو أن يُتْبع الضبط أو الشرح بالمصدر الذي ينقل عنه ، وقد يعمد في بعض الأماكن إلى تصدير الكلام باسم قائله . غير أن أبا حيان قلما يذكر اسم الكتاب الذي ينقل عنه ، ولم يفعل ذلك – فيما أحصيته – إلا بالنسبة إلى أحد عشر كتاباً هي : أفعل وفعل أو فعلت وأفعلت ليعقوب ابن السكّيت[1] ، وكتاب الأجناس ، ولعله من مؤلفات الأصمعي[2] ، وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري[3] وكتاب اللغات ليونس بن حبيب[4] ومجالس ثعلب[5] ، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد[6] ، وكتاب الأضداد ، ولا نعرف أي كتاب من كتب الأضداد هو[7] ، وكتاب النوادر للأموي[8] ، وكتاب النوادر للكسائي[9] ، وكتاب المنطق للنضر بن شميل[10] (وهذا كتاب لا يعرفه ابن النديم) ، وكتاب الجمهرة لابن دريد[11] ، وهو في معظم الأماكن يذكر اسم الشخص الذي عرف عنه هذا التفسير أو ذلك الضبط ، وهنا تكثر الأسماء دون أن نتمكن من تحديد أسماء الكتب المعينة المنقول عنها ، من مثل أسماء الخليل[12] ، وأبي عمرو بن العلاء[13]

....

١ مثلاً الجزء الخامس ، الفقرة : ٢٧٤ و ٤٥١ جـ .
٢ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ١٤١ ؛ وانظر أيضاً الفهرست : ٦١ .
٣ انظر مثلاً الجزء الخامس ، الفقرة : ٤٥١ ب .
٤ انظر مثلاً الجزء الثاني ، الفقرة : ٩٧ .
٥ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ١٣٩ .
٦ انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ٨٨ .
٧ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ١٠٠ .
٨ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٢٥٥ .
٩ انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ٧٦
١٠ انظر مثلاً الجزء الثامن ، الفقرة ٦٧٧ .
١١ انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ٣١١ .
١٢ انظر مثلاً الجزء الثامن ، الفقرة : ٥٢٢ .
١٣ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٤٨٣ .

والأصمعي[1] وأبي حاتم السجستاني[2] ويونس بن حبيب[3] والكلابي[4] وأبي زيد الأنصاري[5] وابن الأعرابي[6] وأبي صاعد الكلابي الأعرابي[7] والمفجَّع[8] وأبي مرثد[9] ، والفرّاء[10] ومحمد بن سلام الجمحي[11] والمبرّد ومحمد بن يزيد الواسطي[12] وأبي بكر بن العلاف الشيباني[13] وابن جنّي[14] والتوّزي[15] والزجّاج[16] وغير هؤلاء ، ومن بينهم مَن وسمهم التوحيدي بسمات خاصة لجهة المعرفة باللغة ، فقال في يونس بن حبيب مثلاً إنه « سيّد العلماء ومقدّم في الثقة » (٥/ ف ٢٧٣) ، وقال في ابن السكّيت يعقوب « وهو ضابط» (٥/ ٢٧٤) ، ولكن مثل هذا غير كثير لديه . وقد يعمد التوحيدي إلى إيراد السند الذي به حصل رواية لغوية ما ، كقوله (٢/ ف ٣٤٢) : السكري عن الرياشي عن الأصمعي ، وقوله (١/ف ٤٣٦) : التوّزي عن أبي عبيدة ، ولكنّي بيّنت من قبل أن هذا لديه قليل ، وهو أقل في مجال اللغة بالذات . كذلك قد يعمد

---

١ انظر مثلاً الجزء الثامن . الفقرة : ٤٨٩ ب .
٢ انظر مثلاً الجزء السادس . الفقرة : ٤٦٥ .
٣ انظر مثلاً الجزء الخامس . الفقرة : ٢٧٣ .
٤ انظر مثلاً الجزء السادس . الفقرة : ٥٢٧ .
٥ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٥٥٦ .
٦ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٤٣٢ – ٤٣٣ .
٧ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٥٩٨ .
٨ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٦٩٧ – ٧٠١ .
٩ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٧١٠ .
١٠ انظر مثلاً الجزء الخامس ، الفقرة : ٢٧٦ .
١١ انظر مثلاً الجزء السادس . الفقرة : ٦٠ .
١٢ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٤٦٠ ب .
١٣ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ١٥١ .
١٤ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٤٣٤ .
١٥ انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ٤٣٢ .
١٦ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٤١٤ .

التوحيدي إلى ذكر بعض مصادره بالتكنية ، كأن يقول : « القائل بالاشتقاق » (٥/ ف ٣٨٦) أو « البصير بالاشتقاق » (٥/ ف ٢٧٦) ، وفي أحيان أكثر يبهم بحيث يتعذر تماماً معرفة المراد بمصدره كأن يقول : « قال بعض أهل اللغة » (٦/ ف ١٥٦ و ١٧٣) و « قال بعض الأدباء » (٦/ ف ٤٧٣) . بالإضافة إلى ذلك هناك عدد غير قليل من الألفاظ شرحت على لسان أعرابي أو أعرابية أو على لسان « العرب » ، والمعني بذلك : الفصحاء ، إلى مجموعة كبيرة من الشروح المصدّرة بكلمة « يقال » .

ز - الأدب

هذا هو المجال الأرحب في كتاب أبي حيان ، إذ هو لبّ الكتاب وصلبه ، وإنما تجيء الموضوعات الأخرى متناثرة في داخله لتمنحه لوناً خاصاً دون أن تفقده هويته الأدبية الخالصة . وما أعنيه بالأدب هو ما قرره الجاحظ ومن بعده ابن قتيبة : أنه كل ما يمتع ويفيد في فقر قصيرة على وجه الإجمال تتضمن الشعر الرائق ، والنثر الأنيق ، والخطبة المؤثرة ، والحكمة البليغة ، والموعظة الحسنة ، والمثل السائر ، والحادثة الطريفة ، والمجادلة اللطيفة ، والخبر التاريخي ، والرواية التقريرية ، والنقد الأدبي ، والنادرة الملهية ، والطريفة المتفردة . فهو اسم لما يتضمن - بكلام التوحيدي عن البصائر - « من الذهن لواقحه ، ومن العقل قرائحه ، ومن العلم غنائمه ، ومن الفهم نتائجه ، ومن الصدر ذخائره ، ومن الدهر سرائره ، ومن الأدب أرواحه ، ومن البال خواطره ، ومن الروية جواهرها ، ومن الحكمة حقائقها ، ومن التجربة أعيانها ، ومن الحنكة فرائدها ، ومن الأخلاق محاسنها ، ومن العرب بيانها ، ومن الفرس سياستها ، ومن اليونان دقائقها ، ومن الشريعة رقائقها . . . »[1] .

---

١ من مقدمة الجزء السادس .

وعندما يحاول الدارس اكتشاف المصادر التي استقى منها أبو حيان مادته الأدبية في البصائر ، يجد نفسه أمام حشد هائل من المؤلفات يصعب التعرض لها جملة معاً ، ولذا لا بد من تقسيمها إلى أنواع أو مجموعات ، ولعل خير ما يبدأ به هو المصادر التي ذكرها أبو حيان نصاً في مقدمته على الجزء الأول ، والتي سبق اقتباسها في هذه الدراسة[1] .

وأول المصادر التي أشار إليها أبو حيان كتب الجاحظ . والحقيقة أن الناظر في كتاب البصائر يجد أن التوحيدي اعتمد على غير كتاب أو رسالة منها ، وفي رأسها يأتي كتاب البيان والتبيين الذي نقل منه أبو حيان الشيء الكثير[2] ، وسبق أن ذكرنا أنه كان بين مصادره في الحديث النبوي ، كما نقل من كتاب الحيوان[3] ، وكتاب البرصان والعرجان[4] ، والرسالة العثمانية[5] ، ورسالة الحنين إلى الأوطان[6] ، وكتاب المحاسن والأضداد المنسوب للجاحظ[7] ، ولعله أيضاً نقل من نسخة من كتاب البخلاء تختلف عن النسخة التي وصلتنا[8] ، هذا بالإضافة إلى ما أورده من فصول أدبية له[9] ، أي من تأليفه ، وقد كان ردّها إلى كتب الجاحظ ورسائله أمراً مستعصياً .

....

١ انظر ما سبق . ص : ٢٤٣ .

٢ انظر أمثلة من ذلك وحسب في الجزء الأول . الفقرات : ١٣ و ١٥ و ٢٩ . والجزء الخامس ، الفقرات : ١٨٤ و ٣١٨ و ٣٤٠ و ٣٧٠ و ٣٧٩ و ٣٨٨ و ٣٩١ و ٤١٢ و ٤٩٣ ، والجزء السابع . الفقرة الأولى . والجزء التاسع . الفقرة : ٤٤١ و ٤٤٢ .

٣ انظر مثلاً الجزء الخامس . الفقرة : ٤٥٩ . والجزء السادس . الفقرة : ٤٦٧ .

٤ انظر مثلاً الجزء الرابع . الفقرة : ٦٦٩ والجزء الخامس . الفقرة : ١٨ .

٥ انظر مثلاً الجزء السادس . الفقرة : ٧٨٨ .

٦ انظر أمثلة من ذلك في الجزء التاسع . الفقرات : ٢٦٨ – ٢٧٢ . والجزء الثامن . الفقرات : ٦٣٨ – ٦٤٠ .

٧ انظر مثلاً الجزء التاسع . الفقرتين : ٢٥٤ و ٢٧١ .

٨ انظر الجزء التاسع . الفقرة : ٣٣٩ ب . وانظر حاشيتها .

٩ انظر نماذج من ذلك في الجزء الثالث . الفقرات : ٤٥٢ – ٤٥٥ . والجزء الرابع ، الفقرة : ٦٦٧ . والجزء السادس . الفقرة : ٤٢٦ .

ولعل أهمّ ما يتعلق بنقول أبي حيان عن الجاحظ ذكره لثلاثة كتب للجاحظ نقل عنها ، وكلها مما لا نعرف عنه شيئاً ولا ذكرته المصادر بالاسم أو بالعنوان ، وهذه الكتب هي كتاب الملح[1] ، وكتاب النحل[2] ، وكتاب الإبل[3] .

بعد ذلك ذكر أبو حيان أنه استقى مادته من كتاب النوادر لابن الأعرابي ، وهذا أمر تحقق فعلاً في الكتاب[4] ، ثم من كتاب الكامل للمبرّد ، وقد نقل منه أكثر مما نقل من كتاب ابن الأعرابي[5] ، كما نقل عن كتاب آخر للمبرّد هو التعازي والمراثي[6] .

ويذكر التوحيدي من بعد أنه اعتمد على كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة ، والحقيقة أنه نقل منه الشيء الكثير ، وكانت نقوله عنه أكثر من نقوله عن كتاب البيان والتبيين ، بحيث لا تكاد تَمُرّ بضع صفحات إلا ويكون كتاب العيون أحد مصادر الرواية فيها . ولعل من المفيد أن نأخذ هنا نموذجاً واحداً على هذا الأمر ، وهو الفقرات ذات الأرقام : ١٨٨ إلى ٢٠٧ من الجزء الخامس من البصائر ، فنجدها كلها – باستثناء رقمي : ١٩٨ و ٢٠٤ – منقولة من أماكن متقاربة من كتاب العيون ، تتراوح بين الصفحات : ٢٣١ و ٣٧٢ من الجزء الأول من هذا الكتاب . على أن أبا حيان قد اعتمد على كتب أخرى لابن قتيبة ، منها كتاب الشعر والشعراء[7] ، وكتاب ديوان المعاني[8] ، وكتاب

....

١ انظر الجزء الثامن ، الفقرة : ٢٠٥ . والجزء الخامس ، الفقرة : ١٥٤ ب .

٢ انظر الجزء الثاني ، الفقرتين : ٢١٨ و ٢١٩ .

٣ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ٣٠٠ .

٤ انظر مثلاً الجزء الثالث ، الفقرة : ٣٦٢ .

٥ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٦٦٩ والجزء الثامن ، الفقرة : ٤٣٦ و ٤٦٣ ، والجزء التاسع ، الفقرة : ٢٥١ .

٦ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٣٠ ، والجزء السادس ، الفقرة : ١٣٨ .

٧ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٤٨٧ .

٨ انظر أمثلة من ذلك في الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٤١ ، والجزء السادس ، الفقرة : ٥٠٨ ، والجزء الثامن ، الفقرة : ١٨٧ .

الأشربة[1] ، وكتاب أدب الكاتب[2] ، وكتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة[3] ، وإن لم يصرّح بنقله عن هذه الكتب نصاً .

ويلي كتاب العيون في لائحة أبي حيان لمصادره كتاب مجالسات ثعلب ، الذي طبع بعنوان مجالس ثعلب ، ونقوله عنه كثيرة جداً تستعصي تماماً على الحصر ، ويكفي أن نذكر أن الفقرات ٧٤٠ إلى ٧٦٠ من الجزء التاسع منقولة كلها عن المجالس (باستثناء رقم : ٧٥٩) ، وهذا في مكان واحد ، فكيف بسائر الكتاب . على أنّ أهمّ ما يذكر في هذا المجال أن التوحيدي يجيء في أماكن متعددة كثيرة بنقول عن المجالسات لا وجود لها فيما بين يدينا من طبعة المجالس[4] ، وهذا يدلّ على مقدار النقص في هذه الطبعة ، كما يدل على أن كتاب البصائر مصدر لا يستغنى عنه في أي تحقيق لكتاب المجالس في المستقبل .

بعد ذلك يذكر التوحيدي أنه يعتمد على كتاب ابن أبي طاهر طيفور في كتابه النظوم والمنثور ، ويبدو أنه نقل منه الشيء الكثير ، كما نقل من كتاب الآخر ، كتاب بغداد[5] ، إلا أن ضياع معظم هذين الكتابين جعلنا غير قادرين في معظم الأحوال على تتبع هذه النقول فيهما .

ويشكّل كتاب الأوراق للصولي مصدراً لأبي حيان بنصه أيضاً على ذلك[6] ، وقد أمكنني تتبعه في أماكن قليلة وحسب ، نظراً لأن ما قد وصلنا من هذا الكتاب لا يتجاوز القطع الثلاث . وكان هذا الحال نفسه بالنسبة

---

١ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٧٨٢ .
٢ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٧٥ .
٣ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٢٠ .
٤ انظر نماذج من ذلك في الجزء الثامن ، الفقرات : ٢٢٧ و ٢٤٠ و ٣٣٨ و ٤٠٩ ، والجزء السادس ، الفقرة : ٤٢ .
٥ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ٢٥٧ .
٦ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٦٢٢ .

لكتاب الوزراء والكتاب للجهشياري[1] ، إذ يبدو أن ما لدينا منه يمثّل جانباً قليلاً منه فقط ، ومرة أخرى يكون كتاب البصائر مصدراً لمن يريد أن يعمل في المستقبل في تحقيق هذين الكتابين . أما آخر كتاب ذكره التوحيدي بين مراجعه فهو كتاب الحيوانات لقدامة بن جعفر ، وهذا الكتاب لم يصلنا ، ولعل بعض المقاطع التي أوردها أبو حيان في البصائر عن ذَكَر الحيوان ، وأنثى الحيوان ، وأسماء الحيوان[2] منتزعة من هذا الكتاب ، ولا ندري إذا ما كانت القصص الطريفة التي جاء بها عن الثعالب والكلاب وغيرها[3] تعود إليه أو لا .

هذه هي الكتب التي ذكرها أبو حيان بين مصادره في مقدمته على الجزء الأول ، أما سائر الكتب فقد أجملها بتعبير « جوامع للناس » . وما سوف أتصدّى له هنا هو محاولة اكتشاف هذه « الجوامع » .

أما بالنسبة للشعر ، فيبدو أن أبا حيان اعتمد على مجموعة ضخمة من دواوين الشعراء ، وذلك أمر كان متيسراً له لعمله في الوراقة ، ولعل هذه الدواوين تتجاوز عدداً الدواوين المسرود ذكرها في فهرست مصادر الكتاب ، نظراً لعدم توفر عدد كبير منها لدينا اليوم . غير أن أبا حيان لا يذكر في كتابه نصاً سوى ثلاثة دواوين ، هي ديوان امرئ القيس رواية السكري[4] ، وأراجيز رؤبة بتفسير أبي عمرو[5] ، وديوان الطرمي[6] ، وقد قال في هذا الديوان الأخير ، وكأنه يصف ما يرى : « للطرمي ديوان كبير ، كان في أيام المعتمد ، وله ترخيم طريف ، وسمع المعتمد شعره فنال به هباته ، وأمر فكتب ديوانه

---

١ انظر مثلاً الجزء الثامن . الفقرة : ١٧٥ .
٢ انظر الجزء السابع . الفقرات : ٢٦٩ – ٢٧١ .
٣ انظر الجزء الأول . الفقرة : ٧٤٩ . والجزء التاسع . الفقرات : ٣١٩ – ٣٢١ و ٣٥٧ – ٣٦٠ و ٣٧٩ – ٣٨٠ .
٤ انظر الجزء الأول . الفقرة : ٣٠٠ .
٥ انظر الجزء الرابع ، ضمن الفقرة ٨١٨ ب (ص : ٢٢٩) .
٦ انظر الجزء الرابع . الفقرة : ٨٢٧ .

بالذهب ، وديوانه مشهور ، وإنما دللت في هذا المكان عليه تعجباً » . ولا يشك الدارس في أن أبا حيان استقى الشعر في البصائر من المجموعات الشعرية مثل نقائض جرير والفرزدق[1] ، وحماسة أبي تَمّام[2] ، ووحشيات أبي تَمّام ، وحماسة البحتري[3] ، وعلى الكتب الأدبية المختلفة ، بالإضافة إلى الدواوين ، وهذه سنتعرض لها في أثناء الدراسة ، وأن الرواية الشفوية كانت بين مصادره ، كما نراه مثلاً في إنشادات السيرافي[4] وأبي محمد الأندلسي[5] ، وأنه أيضاً قد قرأ بعض الشعر على السيرافي[6] . وسوف أعود إلى هذه القضية في موضعٍ تالٍ من هذا البحث .

وعندما ننتقل من الشعر إلى النثر الفني ، نجد أنفسنا مرة أخرى مضطرين إلى تقدير مصادر التوحيدي ، إذ لا يذكر هذه المصادر ، وإنما يصدر الفقرة باسم الكاتب واسم المرسل إليه (إذا كان هناك من مرسلٍ إليه) ، تَمَاماً كما يفعل في الشعر عندما يصدّر الفقرة باسم الشاعر ، وفي أحيان كثيرة لا يورد اسم الكاتب أو الشاعر ، ويقول : « وأنشد » أو « شاعر » في الشعر ، ويقول «كاتب » أو « بعض الأدباء » في النثر ، على أنه من السهل التصوّر أن أبا حيان اعتمد على مجموعة كبيرة من رسائل الكتاب ، كرسائل عبد الحميد[7] ،

---

١ انظر مثلاً الجزء السابع ، ضمن الفقرة : ٢٧٣ .
٢ انظر مثلاً الجزء الأوّل ، الفقرة : ٥٦١ .
٣ انظر مثلاً الجزء السادس . الفقرة : ٣١٣ .
٤ انظر أمثلة من ذلك في الجزء الرابع . الفقرات : ٢٥ - ٢٧ و ١٤٩ . والجزء السادس . الفقرة : ١٤٩ .
٥ انظر مثلاً الجزء السادس . الفقرتين : ٤١٤ و ٦٣٤ . والجزء الثامن . الفقرة : ٧٣٧ .
٦ انظر مثلاً الجزء السادس . الفقرة : ٥٩٩ .
٧ انظر مثلاً الجزء الرابع . الفقرة : ٤٧٧ و ٥٦٥ .

والعتّابي[1] ، وأبي العيناء[2] ، وابن أبي الدنيا[3] ، وابن ثوابة[4] ، وأبي القاسم الإسكافي[5] ، وغير هؤلاء كثير . ويعتبر كتاب كليلة ودمنة والأدب الكبير من مصادر التوحيدي وإن لم يشر إليهما ، إذ الاشتراك فيما بين البصائر وبينهما كبير[6] ، ويكاد يكون من اليقيني أن التوحيدي استعملها استعمالاً مباشراً ، والشيء نفسه ينطبق على كتاب النّمر والثعلب لسهل بن هارون ، وإن كانت مواطن اللقاء بينه وبين البصائر قليلة[7] . وإن كتب المجاميع الأدبية كانت أيضاً من بين مصادره ، وإلى هذه المجاميع ترجع - على الأرجح - « التوقيعات » التي ذكرها عن بعض الخلفاء والوزراء والعمّال[8]، وكذلك « الخواتم »[9] .

ويدل تتبع أبي حيان في مصادره على أنه اعتمد على بعض المؤلفات في أدب الكاتب ، وقد مرّ من قبل نقله عن كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة ، وأضيف هنا أنه أيضاً نقل من كتاب أدب الكتّاب للصولي[10] ؛ أما نقوله عن كتاب أدب النديم لكشاجم فهي كثيرة جدًّا[11] ، وقسم كبير منها غير ثابت في

....

١ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٤٧٦ .
٢ انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ٢١٨ .
٣ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٨٦٠ .
٤ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٤٤٥ .
٥ انظر الجزء السادس ، الفقرة : ٥١٣ .
٦ انظر أمثلة من ذلك في الجزء الرابع ، الفقرة : ٦٩٣ و ٧٠٦ ، والجزء الخامس ، الفقرة : ٥٠٨ و ٥٠٩ .
٧ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٦٩٣ .
٨ انظر نماذج من ذلك في الجزء السادس ، الفقرات : ٤٩٤ - ٤٩٦ و ٦٢٩ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٧٤٠ و ٧٧١ .
٩ انظر نماذج من ذلك في الجزء الرابع ، الفقرات : ٣١٤ - ٣١٩ ، والجزء الخامس ، الفقرة : ٢١٩ و ٦٨٥ ، والجزء السادس ، الفقرة : ٢٦٩ و ٧٣٠ .
١٠ انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ٦٨ ، والجزء التاسع ، الفقرات : ٤٢ و ٤٣ و ٤٦ .
١١ انظر أمثلة من ذلك في الجزء الثاني ، الفقرتين : ٣١٨ و ٣١٩ ، والجزء الثالث ، الفقرات : ١٥٥ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٦٢ - ١٦٤ و ٣٨٤ - ٣٨٥ و ٣٩٨ .

المطبوع من أدب النديم[1] ، وقسم آخر قد ورد بلفظ مختلف[2] .

ويقدر الدارس أنه كان بين مصادر أبي حيان مجموعة كبيرة من المجاميع الأدبية ، لأنه يجد فيما هو متيسر منها نصوصاً واردة في متن البصائر ، ومن هذه المجاميع كتاب العقد لابن عبد ربه ، الذي يشترك مع البصائر في عشرات المواطن إن لم نقل المئات[3] ، وكذلك كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني[4] ، وكتاب الأخبار الموفقيات للزبير بن بكار[5] ، وكتاب البديع لابن المعتز[6] ، وكتاب الزهرة لمحمد بن داود الأصفهاني[7] ، وكتاب المؤتلف والمختلف للآمدي[8] . ومن المجاميع الأدبية أيضاً كتابان لأحمد بن الطيب السرخسي يذكر التوحيدي نصاً أنه ينقل عنهما ، وهما كتاب الأخلاق[9] وكتاب مراح الروح[10] ، وكلاهما لم يصلنا ، وكتاب ثالث لجراب الدولة[11] ، وهو الكتاب المعروف باسم

....

١ انظر أمثلة من ذلك في الجزء الأول ، الفقرة : ٤٤٢ والجزء الثالث ، الفقرات : ١٦٠ و ٣٨٤ — ٣٨٥ و ٣٩٨ و ٤٥١ .

٢ انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ٤٤٦ .

٣ انظر أمثلة من ذلك في الجزء الخامس ، الفقرات : ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣١٤ و ٣٢٤ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٣٧٤ و ٣٧٦ و ٤٩٦ و ٥٠٠ و ٥١٠ و ٥١٣ .

٤ انظر نماذج من ذلك في الجزء الرابع ، الفقرة : ٢٥٦ والجزء الخامس ، الفقرات : ٣٩٥ — ٣٩٧ ، والجزء الثامن ، الفقرة : ٣٠ .

٥ انظر مثلاً الجزء الخامس ، الفقرة : ٤٦ ، والجزء الثامن ، الفقرة : ١٨٦ ، والجزء التاسع ، الفقرة : ٦٦ .

٦ انظر الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٢٠ .

٧ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٧١ ، والجزء السادس ، الفقرة : ١٢٠ .

٨ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٢٨٧ .

٩ انظر الجزء التاسع ، الفقرة : ٦٦٤ .

١٠ انظر الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٥١ ، والجزء السادس ، الفقرة : ٣٣٣ ؛ وهناك فقرات كثيرة في البصائر تتصدرها عبارة « قال أحمد بن الطيب » ، ولكننا لا نعرف من أي كتاب ينقلها التوحيدي (انظر فهرس الأعلام) .

١١ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرات : ٦٠ و ٦٣ و ٦٤ .

ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح[1] ، وما يزال مخطوطاً ، وكتاب رابع لم أهتد إلى عنوانه بدقة ، وصورته « العار والساعد » لأبي عمرو الشيباني[2] . كذلك يتصل بهذا النوع من الكتب – على الأرجح – كتاب يذكره أبو حيان بعنوان « الشدة » ، والمصادر لا تعرفه ، وقد قرأه على أبي سعيد السيرافي ، وعنه نقل عدة نقول أدبية[3] ، كما يتصل بهذا النوع أيضاً فيما أقدّر كتاب غريب يبدو أنه قديم اسمه كتاب « الرتب » ، لم يصلنا أيضاً ، نقل عنه أبو حيان في بضعة مواطن[4] ، وبعضه مضمن في كتاب النّحل للجاحظ ، وخطبته التي أثبتها أبو حيان من أغرب ضروب التعبير ، إذ هي تبدو معارضة للقرآن ، ونصّها : « الحمد لله داحي المدحوات ، وباري المسموكات ، الذي بنعمه تتمّ الصالحات ، وتزكو الحسنات ، وتنال الخيرات ، وتنشأ الأمم ، الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم ، وجبل النفوس على فطرها ، شقيها وسعيدها ، وصلّى الله على نبيّ الرحمة ، وخير البريّة ، والهادي إلى الحقّ ، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما أغلق ، والمعلن الحق بالحق ، وسلم تسليماً »[5] . كذلك نصّ التوحيدي على استقائه من كتاب حيلة ومحالة المذكور في الفهرست (ص ٦٠) وسماه هو « محالة »[6] ، وهذا كتاب لم يصلنا ، كما لم يصلنا كتاب آخر ذكره التوحيدي غير مرة في البصائر ، وهو كتاب المصون لأبي عبيدة الريحاني ، وقد وصفه هناك بأنه « يحوي آداباً حسنة وألفاظاً حلوة »[7] وأن أهل

....

١ انظر الفهرست : ١٧٠ .
٢ انظر الجزء السادس ، الفقرة : ٦٣٥ .
٣ انظر الجزء السادس ، الفقرة : ١٤١ و ١٤٩ .
٤ انظر الجزء الأول ، الفقرتين : ٩٣ و ٣٩٧ ، والجزء الثاني ، الفقرتين : ٢١٨ و ٢١٩ ، والجزء الثالث ، الفقرات : ٨٤ و ٢٣١ و ٢٤٠ .
٥ الجزء الثالث ، الفقرة : ٢٣١ .
٦ انظر الجزء الرابع ، الفقرة : ٤١ .
٧ الجزء السابع ، الفقرة : ٨٤ .

خراسان كانوا يعجبون به كثيراً[1] ، ولكن أبا حيان لم ينصّ في أي مكان من كتابه على أن المصون هو مصدره المباشر .

ومن المجاميع أيضاً كتب النوادر ، وقد سبق أن ذكرت ثلاثة منها هي نوادر ابن الأعرابي ونوادر الكسائي ونوادر الأموي ، (وقد كان لدى التوحيدي نسخة منه بخط ابن الكوفي ، وهو خط موثوق به كما يقول أبو حيّان[2]) ، وهذه مصادر استعملها التوحيدي لأغراض أدبية وليس وحسب لأغراض لغوية ، ويُمكن أن يضاف إليها كتاب نوادر الفرّاء[3] ، وقد نصّ التوحيدي على استعماله ، كما أنه من المحتمل أن يكون أبو حيان قد استعمل كتاب نوادر سيفويه القاص في حكاياته عن سيفويه[4] ؛ وأما نوادر حجا . وهي كثيرة في كتاب البصائر ، فإن هناك كتاباً بعنوان نوادر جحا[5] ، ولا نعرف ما إذا كان التوحيدي قد شاهده أو لا ، ولكن الأمر المؤكد أن عدداً من نوادر جحا الواردة لديه مصدرها شفوي ، وهو القاضي ابن قريعة ، بنصه هو نفسه على ذلك[6] . وكذلك ينص التوحيدي على نقله من كتاب نوادر القضاة للمدائني[7] ، إلا أنني لم أجد للمدائني كتاباً بهذا العنوان ، وإنما وجدت له كتابين ، أحدهما قضاة أهل المدينة ، والثاني قضاة أهل البصرة[8] ، فلعل أبا حيان عنى واحداً منهما ، أو أنه عنى كتاباً آخر لم يصلنا .

....

١ انظر الجزء الرابع . الفقرة : ٥٢٠ .
٢ انظر الجزء الرابع . الفقرة : ٢٥٦ ؛ وانظر أيضاً الفهرست : ٨٧ ؛ وكذلك الجزء الأول . ضمن الفقرة : ٣٠٠ .
٣ انظر الجزء الثامن . الفقرة : ٢٢٦ ؛ والكتاب مذكور في الفهرست : ٧٣ .
٤ انظر الفهرست : ٣٧٦ . وانظر فهرس الأعلام للبصائر لنوادر سيفويه .
٥ انظر الفهرست : ٣٧٥ .
٦ انظر الجزء الرابع . الفقرة : ٣٣٦ .
٧ انظر الجزء التاسع . الفقرة : ٣٠٠ .
٨ انظر الفهرست : ١١٧ .

ويقترب من هذا النوع من التأليفات كتب المجالس ، وقد جاء بعض المشترك بين البصائر وبين بعضها ، كمجالس ثعلب ، وقد سبق ذكره ، ثم كتب الأخبار ككتاب أخبار الزجّاجي[١] ، وأخبار المفجع ، وقد نصّ أبو حيان على أخذه منه[٢] ، ولم يرد ذكره لدى ابن النديم ولا لدى ياقوت ، وأخبار أبي تمام للصولي[٣] ، ومن المتصور أنه اطلع على كتاب أخبار أبي العيناء لابن أبي طاهر طيفور[٤] ، فإن الحكايات التي يوردها عن أبي العيناء كثيرة في الكتاب . كذلك يلحق بهذه الكتب كتب الأمالي ، وهناك قدر مشترك بين بعض ما في البصائر وكتاب أمالي القالي[٥] ، وأمالي الزجاجي[٦] ، ومن المتصور أن التوحيدي رجع إليهما لدى كتابته البصائر ، ويلحق بها أيضاً كتب المعاني ، ومنها معاني الأشناندانى الذي ينقل عنه التوحيدي كثيراً[٧] .

ويدل الاستقصاء لمصادر البصائر على أن التوحيدي اعتمد على بعض كتب الطبقات لما فيها من أقوال وقصص ونوادر ونثر وشعر ، وهناك بعض أماكن اللقاء بين البصائر وبين بعض الكتب في طبقات الشعراء ، مثل طبقات فحول الشعراء لابن سلّام الجمحي[٨] ، وطبقات الشعراء لابن المعتز[٩] ، ومعجم

....

١ انظر الجزء الثامن ، الفقرة : ٣٢٦ ، والجزء الرابع ، الفقرة : ٧٧١ و ٤١٩ .

٢ انظر الجزء الثامن ، الفقرة : ١٩٦ ؛ وانظر أيضاً الفقرتين : ١٩٩ و ٢٠٠ ، والجزء السادس ، الفقرات : ٥٦٥ ، و ٥٦٧ – ٥٦٩ .

٣ انظر الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٧١ ، والجزء التاسع ، الفقرة : ٢٥٠ و ٣٦٦ .

٤ انظر الفهرست : ١٣٩ .

٥ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ١٢١ ، والجزء الثامن ، الفقرة : ٢١٩ و ٤٦٣ ، والجزء التاسع ، الفقرة : ٢٩٧ .

٦ انظر مثلاً الجزء الثامن ، الفقرة : ٢٨٥ ، والجزء الرابع ، الفقرة : ٤١٩ .

٧ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٨٢ .

٨ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٢٨٧ .

٩ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٤٨٧ .

الشعراء للمرزباني[1] ، وبينه وبين الكتب في طبقات اللغويين والنحويين ، مثل كتاب أخبار النحويين البصريين للسيرافي[2] ، والمقتبس للمرزباني (ولدينا مختصره المعروف بنور القبس)[3] ، ثم بينه وبين الكتب في طبقات القضاة ، ككتاب أخبار القضاة لوكيع[4] . ويلحق بهذه الكتب كتب النسب ، وهناك احتمال قوي جدًّا بأن يكون قد اعتمد على جمهرة النسب لابن الكلبي ، إذ كثيراً ما ينقل عنه[5] ، ولكن فقدان الجزء الأكبر من الجمهرة يجعلنا عاجزين عن تتبع نقوله من هذا الكتاب ، على أن هناك بعض مواطن اللقاء بين البصائر وبين كتاب آخر في النسب ، وهو نسب قريش للمصعب الزبيري ، وليس من المستبعد أن يكون التوحيدي قد رآه ونقل عنه[6] .

ومن المتوقع أن يكون أبو حيان قد اعتمد على بعض كتب التاريخ ، ومنها كتاب أنساب الأشراف للبلاذري ، ويلتقي مع البصائر في مواطن كثيرة[7] وكتاب مروج الذهب للمسعودي ، والتقاؤه مع البصائر أقلّ[8] ، ثم تاريخ القطربلي الذي ألفه بالاشتراك مع ابن أبي الأزهر[9] ، ولم يصلنا منه سوى بعض النقول ، وهذا الكتاب قد نصّ التوحيدي على استعماله له بقوله « قال القطربلي في كتابه » .

....

١ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٥٣ ، والجزء الثامن ، الفقرة : ١٧٦ .
٢ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٦٢ .
٣ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٥٢ ، والجزء الرابع ، الفقرة : ٦٤٨ ، والجزء التاسع ، الفقرة : ٦٧ ، والجزء الثامن ، الفقرة : ١٨٢ و ١٨٣ .
٤ انظر مثلاً الجزء الثالث ، الفقرة : ١٦٣ ، والجزء الرابع ، الفقرة : ١٧ و ١٩ .
٥ انظر فهرس الأعلام للبصائر .
٦ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٨١٦ .
٧ انظر أمثلة من ذلك في الجزء الأول ، الفقرة : ٢٨ و ٧٤ ، والجزء الرابع ، الفقرة : ٦٣٢ ، والجزء الخامس ، الفقرة : ٤٦٦ ، والجزء السادس ، الفقرة : ٣٦٦ .
٨ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ١٢٥ .
٩ انظر الجزء السادس ، الفقرة : ٥٨٥ ، وانظر حاشيتها .

ويرد لدى التوحيدي في البصائر بعض النصوص السياسية التي لا نعرف مصدرها ، باستثناء مصدر واحد نقل عنه نصاً مطولاً ، وهو كتاب السياسة لأبي زيد البلخي[1] ، وهو من الكتب التي لم تصلنا ، ولعل النصوص السياسية الأخرى مأخوذة من هذا الكتاب . أما الرسالة التي أفادها أبو سليمان المنطقي لأبي حيان زاعماً أنها لأرسطاطاليس ، فقد أدرجها أبو حيان في البصائر وقال : « وقرأها بعض مشايخ الفلسفة فقال : هي من كلام بعض الملوك ، ولا أقف على أكثر مما حكيت ، ولولا جلالتها في نفسها ما سقتها ها هنا »[2] .

فإذا مضينا إلى أقوال الفلاسفة في البصائر ، وجدناها كثيرة جداً ، ولكن ليس ما يبين مصدرها بدقة ، وإن كان من المتصوّر أنها منقولة عن كتب الأدب العامة والمترجمات عن اليونانية التي كانت متوفرة لأبي حيان أكثر مما هي متوفرة لدينا اليوم ، ولعل قسماً كبيراً منها يرجع إلى نوادر الفلاسفة لحنين بن إسحاق . وهناك قدر من الأقوال المشتركة بين البصائر وبين كتاب الحكمة الخالدة لمسكويه[3] ، ولكننا لسنا على يقين ما إذا كان كتاب مسكويه قد كتب قبل البصائر أو بعده ، والأرجح أنه كتب بعده ، والشيء نفسه يمكن أن يقال عن كتاب السعادة والإسعاد لأبي الحسن العامري ، والتوحيدي يذكر العامري بالاسم[4] ، وهناك مقدار مشترك بين كتابه وبين البصائر[5] . وكذلك هو الحال بالنسبة لكتاب صوان الحكمة ، الذي وصلنا منه منتخب ومختصر[6] ، ولكتاب

---

١ انظر الجزء التاسع ، الفقرة : ٤٧٥ .

٢ الجزء التاسع ، الفقرة : ٧٣١ .

٣ انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ٤٥ ، والجزء الرابع ، الفقرة : ٢ ، والجزء التاسع ، الفقرة : ٢٣٠ .

٤ انظر الجزء التاسع ، الفقرة : ٤٨٢ .

٥ انظر مثلاً الجزء التاسع ، الفقرة : ٣٣٣ و ٣٣٤ .

٦ انظر بعض النقول الموجودة في منتخب صوان الحكمة في الجزء الأول ، الفقرة : ١٠٨ و ١٠٩ والجزء التاسع ، الفقرات : ٢٣٠ و ٢٥٣ و ٢٦٨ و ٤٨٤ ؛ وفي المختصر من صوان الحكمة الجزء التاسع ، الفقرتين : ٢٥٣ و ٤٨٤ .

الكلم الروحانية[1] . أما أقوال الصوفية فمن العسير المستعصي تحديد مصادرها ، وقد كانت متيسرة لأبي حيان أكثر مما هي متيسرة لنا اليوم ، ولم أجد سوى النزر القليل من مواطن التطابق بين الأقوال التي يوردها هو وبين نصوص مجاميع الكتب التي وصلتنا حتى عصره (اللمع للسراج ، والتعرف لمذاهب أهل التصوف للكلاباذي ، وقوت القلوب للمكي ، وآداب الصوفية وطبقات الصوفية للسلمي) . أما كتاب حلية الأولياء الذي يشترك مع البصائر في مواطن متعددة[2] ، فإنه متأخر في الزمن عن البصائر . وأما أقوال الزهّاد ، فإنني أعتقد أن أبا حيان استقاها من المجاميع الأدبية الكبرى ، إلا أن نفترض أنه توفرت لديه مصادر فرعية صغيرة لا نعرف عنها شيئاً يذكر .

وهناك كتابان في نوعين خاصين من التأليف كلاهما لابن أبي عون الكاتب قد نقل عنهما التوحيدي على التأكيد رغم أنه لم يذكرهما بالاسم ، أولهما كتاب التشبيهات ، وقد نقل عنه مرة فقراً متتالية بشكل لا يترك مجالاً للشكّ في أنه وضعه أمامه واحتذى ترتيبه ، وذلك في الجزء الخامس من البصائر ، حيث معظم الفقرات من رقم : ٨٩ وحتى رقم : ١٢٥ مأخوذ نصًّا من كتاب التشبيهات ، الصفحات : ٣١٢ – ٣١٨ على التوالي ؛ وثانيهما هو كتاب الأجوبة المسكتة ، ولم ينقل عنه التوحيدي نقولاً متتالية كما فعل في كتاب التشبيهات ، وإنما نثر نصوصه بين ثنايا الفقرات نثراً[3] .

ومن الكتب ذات النوع المعين في التأليف كتب الحيوان . وقد اعتمد التوحيدي على كتاب آخر غير حيوان الجاحظ وحيوانات قدامة السابق

1 انظر مثلاً الجزء الأول ، الفقرة : ١٠٨ و ١٠٩ . والجزء الثامن ، الفقرات : ١٥ و ٤٠٤ – ٤٠٨ .

2 انظر مثلاً الجزء الثامن ، الفقرات : ١١٢ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٦ .

3 انظر مثلاً الجزء الثامن ، الفقرة : ٣٦ . والجزء التاسع ، الفقرة : ٣٥٦ .

ذكرهما ، وهو يذكر نصوصاً عن « أرسطاطاليس في كتاب الحيوان »[1] ، وهذه قد تكون من جملة نقوله عن ابن المعتز كما سوف أبيّن بعد قليل ، والكتب في النبات ، وقد مرّ بنا ذكر كتاب أبي حنيفة الدينوري في هذا الموضوع ، وكتب خلق الإنسان ، وفي البصائر مادة لا بأس بها من طبيعتها غير أنني لم أهتد إلى مصادرها الدقيقة ، وكذلك الأمر بالنسبة للكتب في الخيل .

وليس هناك من شك في أنه كان أمام التوحيدي وهو يجمع كتاب البصائر مجموعة غير قليلة من كتب الأمثال ، كأمثال العرب للمفضل الضبي ، وأمثال أبي عبيد القاسم بن سلام ، والفاخر للمفضل بن سلمة ، وقد خرّجت هذه الأمثال حيثما وجدتها على قدر الطاقة ، والانطباع الذي يخرج به المرء من العمل فيها أن كتاب البصائر بات هو نفسه مصدراً للأمثال ، كما أنه كان مستقياً لها مما سبقه من مؤلفات .

أما موضوع النقد الأدبي فلا إشكال في مصادره لدي أبي حيان ، إذ هو ينقل بنصه على ذلك دائماً من كتابين اثنين : كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي[2] ، وقد وصلنا ، إلا أن قراءات البصائر الجديدة فيه تتطلب إعادة تحقيقه من جديد ، وكتاب الناشئ الأكبر في النقد[3] ، ولم يصلنا ، وهو الكتاب الذي كان التوحيدي معجباً أشدّ الإعجاب به ؛ قال[4] : « وما أصبت أحداً تكلم في نقد الشعر وترصيفه أحسن ممّا أتى به الناشئ المتكلم ، وإن كلامه ليزيد على كلام قدامة وغيره ، وله مذهب حلو وشعر بديع واحتفال عجيب » .

وقبل خاتمة هذا المقطع عن مصادر الأدب لكتاب البصائر والذخائر ، أودّ

---

١ انظر الجزء التاسع ، الفقرات : ٨٥ - ٨٨ و ١٣٤ - ١٣٦ .
٢ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٥٤ ، والجزء السابع ، الفقرات : ٧٨ و ٢٧٣ و ٢٩٥ - ٢٩٧
٣ انظر الجزء الخامس ، الفقرتين : ٧٣٦ و ٧٧١ ، والجزء التاسع ، الفقرة : ٦٤ .
٤ الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٥٥ .

أن أتوقف عند ثلاثة مؤلفات يجمع بينها أنها - على ما يبدو - كانت مسوّدات بخطوط أصحابها ، اطّلع عليها التوحيدي فأعجبته ، فنقل منها الشيء الكثير ، وغنيّ عن القول أن هذه المؤلفات لم تصلنا . أما الكتاب الأول فهو من عمل ابن المعتزّ ، وهو في المختارات الأدبية ، وقد سيطر على جانب كبير من الجزء التاسع من البصائر ، إذ قرائن الكلام تدلّ على أنّ الفقرات : ٧٣ حتى ١٦١ منقولة منه (ومن بينها النصوص عن كتاب الحيوان لأرسطاطاليس) ، وقد جاء في هذه الفقرة الأخيرة : إلى ها هنا نقلت من كتاب ابن المعتزّ ، وعاد أبو حيان في الفقرة : ١٧٥ من الجزء نفسه إلى النقل عن « خطّ ابن المعتزّ » واستمرّ في النقل فيما يبدو حتى الفقرة : ٤١٦ ، وكان بين الحين والحين يذكّر باستمرار النقل عن كتاب ابن المعتزّ ، فيقول (ف ١٨٣ - ١٨٥) « قال ابن المعتزّ » ، ويقول (ف ٢٩٠) « وقال ابن المعتزّ في رسالة يذكر فيها محاسن أبي تمّام ومساويه » ، ثم يقول (ف ٣١٦) : « من خطّ ابن المعتزّ » ، و (ف ٣٣٠) : « قال ابن المعتزّ » ، وكذلك (ف ٣٦٥) ، وفي الفقرة الأخيرة (٤١٦) : « قال ابن المعتزّ في بعض مخاطباته » . وقد عاد أبو حيان إلى النقل عن كتاب ابن المعتزّ في الجزء السادس من البصائر (ولعله العاشر) فسيطر هذا الكتاب مرة أخرى على هذا الجزء ، وقد اتبع فيه الطريقة نفسها التي اتبعها في الجزء السابق ، بالتذكير دائماً أن نقوله عن ابن المعتزّ مستمرة (ويسميه « عبد الله » أحياناً ، ويكتفي بكلمة « قال » أو « وقال » أحياناً أخرى) ، بل هو يسرف في ذلك أكثر من الجزء التاسع ، فيشير إليه سبعاً وعشرين مرة في مطلع سبع وعشرين فقرة ، وذلك في الفقرات : ٢١٦ حتى ٢٦٨ ، وفي هذه الفقرة الأخيرة يقول : « انتهى ما حكيناه عن ابن المعتزّ » .

والكتاب الثاني في هذا النّمط هو على الأرجح تعليقات جمعها أبو سعيد السيرافي ، وقرائن الكلام تدل على أن التوحيدي نقل منها الفقرات : ٣٢٠ إلى ٤٨٨ من الجزء السابع من البصائر . فبعد بداية هذه النقول يقول أبو حيان

(ف ٣١١) : « الخاء من خدعة كانت مضمومة في شكل بخطّ السيرافي » ؛ ويقول (ف ٣٧٥) تعليقاً على حديث أحد آل صوحان مع عبد الملك بن مروان : « هكذا وجدت بخطّ السيرافي ، وما وجدت له إسناداً » ؛ ويقول (ف ٣٨٢) : « هكذا كان بخطّ أبي سعيد فنقلته على هيئته » ؛ وفي (ف ٣٩٨) يقول : « هكذا وجدت بخطّ السيرافي ، والخبر مشهور ، إلا أنني أَنستُ بخطّه » ؛ وفي (ف ٤٠٥) يقول : «كانت حربهما فيما أظنّ بالفلج ، كذا كان بخطّ السيرافي » ؛ ويقول (ف ٤١٩) : « هكذا كانت هذه اللفظة بخطّ السيرافي ، ونقلتها كما وجدتها ، ولولا أنني وجدتها بخطّ هذا الرجل ما تجوّزت روايتها» ؛ وفي آخر النقول يقول (ف ٤٨٨) : « هذا آخر ما نقلته من خطّ السيرافي ، **ولم أضف إليه شيئاً من مواضع أخر** ، وحكيت خطّه وشكله ، وأعود الآن إلى الطريقة الأولى في اعتراض ما يجري حسب ما ينتظم المعنى فيه . . . » وبذلك تكون مسودة السيرافي قد سيطرت على جانب غير قليل من الجزء السابع من البصائر .

والكتاب الأخير في هذه المجموعة مسوّدة لأبي الفضل ابن العميد ، ذكرها التوحيدي بهذا الاسم[1] ، **ولعلها هي** كتاب الخَلْق والخُلُق الذي كان ابن العميد يشتغل فيه ، وكان بعد في المسوّدة ، وذكره التوحيدي في أخلاق الوزيرين بقوله : « وكان (يعني ابن العميد) يعمل كتاباً سماه الخلق والخلق ، **فمات** سنة ستين وهو في المسوّدة ، وقد رأيت ورقات منه ، **ونقلت إلى البصائر** حروفاً كانت منها ، أفادنيها أبو طاهر الورّاق »[2] . والنقول التي نقلها أبو حيان تقع في نوعين ، الأول في « أمثال العرب إذا حثّت على المواساة في الشيء القليل » ، وقد وردت في الفقرة : ٥٠٦ من الجزء السادس ، وعدد الأمثال فيها تسعة

....

١ انظر الجزء السادس ، الفقرة : ٥٠٦ ب .
٢ أخلاق الوزيرين : ٣٢٨ - ٣٢٩ .

وخمسون مثلاً ، والثاني في « تشبيه الذوائب بالكرم والعناقيد » ، وفيه تسع مقطعات جاءت في الجزء نفسه ، الفقرة : ٥٠٦ ب . وقد جاء في كتاب البصائر بعض النقول الأخرى عن ابن العميد[١] ، غير أننا لا نعرف إن كانت منتزعة من هذه المسوّدة أو لا .

وفي خاتمة هذه الفقرة أود أن أنبّه إلى أن هناك اشتراكاً في بعض مادة البصائر وموادّ الكتب والرسائل الأخرى لأبي حيان ، وخاصة رسالته في الصداقة والصديق[٢] ، حيث الاشتراك مع البصائر كثير جدًّا ، ثم رسائل التوحيدي[٣] ، فأخلاق الوزيرين[٤] ، ثم الإمتاع والمؤانسة[٥] ، وكتاب المحاضرات الذي لم يصلنا[٦] ، إلا أن الاشتراك بين البصائر والإمتاع قليل .

كتاب البصائر بين الكتب المعاصرة له

كثيرة هي الكتب التي ظهرت في زمن ظهور البصائر ، إذ كان النصف الثاني من القرن الرابع من أغنى الفترات في التأليف في شتى فروع المعرفة في تاريخ أمتنا الثقافي ، ونظرة سريعة على كتاب الفهرست لابن النديم كفيلة بتوضيح هذه الحقيقة . وقد تعرضت تعرضاً عابراً فيما سبق من هذه الدراسة لبعض الكتب التي ظهرت في الوقت نفسه مع البصائر ، خاصة في مجال أقوال

....

١ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرات : ٣١ و ٢٧٨ و ٣١٤ .
٢ انظر أمثلة من ذلك في الجزء الأول ، الفقرة : ٢٤ و ٥٧ . والجزء الرابع ، الفقرة : ٥٤٠ — ٥٤١ . والجزء الخامس ، الفقرات : ٤٤٥ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٩٧ و ٤٩٩ . والجزء الثامن ، الفقرات : ٢٢ و ٣٧ و ١٢٤ و ١٢٦ .
٣ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٣٣٦ و ٣٣٧ ، والجزء التاسع ، الفقرة : ٥٢١ .
٤ انظر مثلاً الجزء السادس ، الفقرة : ٣٤٠ . والجزء الثامن ، الفقرة : ٦ .
٥ انظر مثلاً الجزء الرابع ، الفقرة : ٨٦ . والجزء التاسع ، الفقرة : ٤٣٣ .
٦ انظر مثلاً الجزء الخامس ، الفقرتين : ٢٨٥ و ٢٨٧ ، وقد وردا لدى ياقوت في معجم الأدباء ، ونصّ على أنهما في كتاب المحاضرات للتوحيدي .

الفلاسفة ، ولكنني هنا أودّ أن أتوقف وقفة أطول عند المؤلفات المعاصرة للبصائر والتي تشترك معه في الطبيعة والمضمون ، أعني بها المجاميع الأدبية ، وهنا يجد الدارس ثلاثة كتب رئيسية : كتاب الجليس الصالح للمعافى بن زكريا النهرواني المعروف بابن طرّارا ، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني ، وكتاب نثر الدرّ للآبي .

أما كتاب النهرواني ، فما ظهر منه[1] ينبئ بأن لا صلة هناك بينه وبين كتاب البصائر ، والاختلاف بين الكتابين أشبه ما يكون باختلاف ما بين شخصيتي مؤلفيهما ، فالأول مُغْرَم باللغة كَلِفٌ بالغرائب ، والثاني نشيط يقفز من موضوع إلى موضوع ، يحبّ اللغة ولكن لا يصل بالقارئ إلى حدّ الإملال ، فإذا قارب الوصول إلى الإملال اعتذر[2] ، ويمزج الجدّ بالهزل ولا يتحرج من ذلك ، فكأنه في عمله مسرور منطلق لا كئيب منطبق . وعلى أية حال فإن مواطن الالتقاء عملياً بين البصائر والجليس الصالح قليلة محدودة .

ومع كتاب محاضرات الراغب الأصبهاني تختلف الصورة تمَاماً ، وأول ما يلفت نظرنا هذا القدر الكبير جدًّا المشترك بينه وبين كتاب البصائر[3] . فهل نقل أبو حيان عن الراغب أو الراغب عن أبي حيان ؟ إن كلا الرجلين لا يذكر الآخر في كتابه ، وأكثر ما تكون المواطن المشتركة بين الاثنين متباعدة ، وقلما تكون متتالية بشكل يلفت النظر ، وهذا يرجع أن كلاً من الرجلين كان يعمل عمله مستقلاً عن الآخر ، وإن كان متعاصرين[4] . غير أننا نلاحظ أمراً ، وهو أنه فيما

---

١ ظهر منه جزآن بتحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي (عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨١ - ١٩٨٣) .

٢ انظر مثلاً الجزء الخامس ، الفقرة : ٢٧٦ .

٣ انظر نماذج من ذلك وحسب في جانب من الجزء التاسع وحده ، الفقرات : ٧١ و ٧٣ و ٧٦ و ١١٢ و ١١٦ و ١٤٦ و ١٥٤ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٣١٩ - ٣٢١ و ٣٥٧ .

٤ لقد بتت قضية تاريخ وفاة الراغب بحدود سنة ٤٠٤ .

كتاب التوحيدي لا يتبع أي ترتيب في مادته على الإطلاق ، هناك ترتيب واضح في العناوين الكبيرة لدى الراغب الأصفهاني ، واسمها لديه « الحدود » ، فهنالك حد في العقل والعلم والجهل وما يتعلق بها ، وهناك حد في السيادة والولاية ، وحد في الإنصاف والظلم والعفو والعقاب والعداوة والحسد والتواضع والكبر وما يتعلق بذلك . . . الخ ، وكلّ « حد » ينقسم في موضوعات فرعية ، فنجد في ضمن الحدّ الأول مثلاً : « مما جاء في البلاغة وما يضادها » ، و « مما جاء في السرّ » ، و « مما جاء في النصح » ، و « مما جاء في الوعظ والمتعظين والآمرين بالمعروف والقصاص والمفتين » . . . الخ . وهذا النوع من التبويب فيه قدر لا بأس به من الترتيب ، وإن كان الترتيب التام ما زال ناقصاً في الكتاب ، إذ ما علاقة « السرّ » مَثَلاً (وهو موضوع فرعي) بـ « حد » العقل والعلم والجهل ؟ وهكذا . ورغم ذلك كله فمن السهل أن نرى « ترتيب » محاضرات الراغب مقارناً بـ « فوضى » البصائر . فإذا كان الأمر كذلك ، فهل من مجال للقول أيهما أخذ عن الآخر : أبو حيان أو الراغب الأصفهاني ؟ إن طبيعة الأشياء تفترض أن تأتي « الفوضى » قبل « الترتيب » ، ولا بد أن تكون المادة متفرقة قبل أن تصبح « مرتّبة » وهذا إن كان يعني شيئاً فهو أنه إذا كان أحد الكاتبين قد اعتمد على الآخر ، فإن الراغب هو الذي نقل من كتاب التوحيدي لا العكس ؛ على أن القطع النهائي في هذه الناحية أمر متعذر .

وعندما ننتقل إلى الكتاب الأخير ، وهو كتاب نثر الدرّ للآبي نكون قد وصلنا إلى مرحلة متقدمة من مراحل التأليف والتصنيف . فالآبي يرتب « أبواب » كتابه – كما يسمّيها – ترتيباً دقيقاً للغاية ، بحيث لا يحدث أي تداخل بين مادة الباب الواحد والباب الآخر ، فالباب الأول : في النظائر من القرآن الكريم ، والباب الثاني : كلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، والباب الثالث : كلام عليّ كرّم الله وجهه ، والباب الرابع : من كلام الأئمة رضي

الله عنهم (واحداً بعد واحد) ، والباب الخامس : كلام جماعة من بني هاشم (واحداً بعد واحد) ، وبعد ذلك يأتي كلام أبي بكر الصديق ، فكلام عمر بن الخطاب ، فكلام عثمان بن عفّان ، فكلام الصحابة (واحداً بعد واحد) ، فكلام عمر بن عبد العزيز ، فباب لمزح الأشراف والأفاضل والعلماء ، فباب في الجوابات المسكتة الحاضرة ، فباب خاص بنوادر المتنبئين ، ثم آخر في نوادر المدنيين ، ثم ثالث في نوادر الطفيليين والأَكَلَة ، وهكذا . وهذا الترتيب العجيب يشير – من ناحية منطقية – إلى كون الكتاب نتاج فترة تالية على فترة ظهور البصائر ، وإن كان الفرق بين ظهور الواحد منهما والآخر قد لا يتعدى السنوات المعدودة ، بل إنني لأقدّر أن كتاب نثر الدرّ قد صدر بعد كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني بناءً على القاعدة نفسها ، وإن كان الآبي والراغب متعاصرين ، فإنهما كانا يدوران معاً في فلك الصاحب ابن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥ .

ولنذهب إلى مزيد من التدقيق بين البصائر والنثر . إذ ذاك نجد قدراً هائلاً من المادة المشتركة ، تتجاوز القدر المشترك فيما بين كتاب البصائر ومحاضرات الراغب ، وهذه المادة توحي أحياناً بأن الكتابين واحد (وإن كان هناك بعض المبالغة في مثل هذا القول لأن هناك مادة لدى الآبي لم ترد عند أبي حيان) ، وأن كل ما يختلفان فيه هو الترتيب ! بل إن الدارس ليتبيّن ما هو أكثر من ذلك . إن المادة المتقاربة في كتاب البصائر ، والتي تدور على موضوع واحد أو شخصية واحدة ، تجيء متقاربة أيضاً في نثر الدرّ . ولنأخذ أمثلة على ذلك ، وليكن ذلك على شكل جدول :

البصائر ٤/ ف ٣٤ – ٣٦ = نثر الدرّ ٥ : ١١ – ١٢ ؛
البصائر ٤/ ف ١٩٩ – ٢٠٢ = نثر الدرّ ٥ : ١١٧ ؛
البصائر ٤/ ف ٢٢٥ – ٢٢٧ = نثر الدرّ ٥ : ١١٧ ؛
البصائر ٤/ ف ٣١٢ – ٣١٣ = نثر الدرّ ٥ : ١١٧ ؛

البصائر ٤/ ف ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ = نثر الدرّ ٣ : ٩٤ ؛
البصائر ٤/ ف ٣٣٣ – ٣٣٥ = نثر الدرّ ٥ : ١٠٨ ؛
البصائر ٦/ ف ٤٦ – ٥٠ = نثر الدرّ ٥ : ٧٦ و ١١٣ ؛
البصائر ٦/ ف ٤٥٠ – ٤٥٥ و ٤٥٨ = نثر الدرّ ٢ : ٣٠ و ٣٧ ؛
البصائر ٦/ ف ٤٩٤ – ٤٩٦ = نثر الدرّ ٥ : ٤١ ؛
البصائر ٨/ ف ٤٠٥ – ٤٠٨ = نثر الدرّ ٧ : ١٥ – ١٦ ؛
البصائر ٨/ ف ٣٨١ – ٣٨٢ و ٣٩١ – ٣٩٢ = نثر الدرّ ٦ : ١٦ .

على ماذا يمكن أن يدلنا هذا الجدول ؟ إنه يشير – في نظري – إلى اعتماد صاحب نثر الدرّ على البصائر ، وليس العكس ، في الأرجح ، فالأول يرتّب ما كان قد نثره الثاني ، إذ هو يتلقط متشابهاته ليضعها في قَرَن . ومع هذا كله ، فإن ما قمت به هو محض استنتاج ، والحسم النهائي يتطلب المزيد من الأدلّة .

كتاب البصائر بين الكتب التي تلته

لقد كان أحد أهداف التوحيدي من كتابته لكتاب البصائر أن يكون له فيمن دونه أثر ، كما كان لمن فوقه عنده أثر[1] ، وهذا الأمر قد تحقق له من دون شك ، ونظرة واحدة إلى لائحة المصادر المعتمدة في التحقيق كفيلة بتبيان ذلك . طبعاً قد يكون ابن الجوزي في كتاب الأذكياء – مثلاً – ينقل عن الآبي أو عن الراغب أو غيرهما لا عن كتاب البصائر ، ولكن من المستحيل أن تكون هذه الطائفة الكبيرة من المصادر قد نقلت عن غير التوحيدي وحده ، فالأمر الذي لا شك فيه أن كتاب البصائر قد نال ذيوعاً شديداً منذ أول ظهوره ،

....

١ انظر الجزء السابع ، الفقرة : ٧٦٧ .

وإذا صحّ أن الراغب الأصبهاني والآبي قد اتخذاه في كتابيهما مصدراً أساسياً لهما ، فهذا يدل على ما وصل إليه من ذيوع سريع بين طلاب الأدب . أما السبب لذلك فسوف أتعرض له في قسم تالٍ من هذه المقدمة ، وأودّ أن أتوقف هنا عند كتابين كان للبصائر الأثر البالغ فيهما بنصّ مؤلفيهما على ذلك ، وهما : ربيع الأبرار للزمخشري ، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . ولقد أشرت إلى مواطن التقاء هذه المصادر بالبصائر في حواشي الفقرات من الكتاب ، وإنما يهمني هنا أن أقول كلمة في كل واحد منهما على حدة .

أما ربيع الأبرار فإنه كتاب أدبي مصنف مرتب حسب الموضوعات ، فهناك باب للسحاب والمطر والثلج والرعد والبرق وما يتصل بذلك من ذكر الاستمطار وغيره ، وباب في النار وأنواعها وأحوالها ، وباب في الجهل والخطأ والتصحيف والتحريف واللحن وما أشبه ذلك ، وباب في الاحتيال والكيد والمكر والنكر والدهاء والخبث والخديعة والطر وخبث الدخلة وفساد النية ونحو ذلك . . . الخ . ولقد وجد الزمخشري في كتاب البصائر معيناً لا يكاد ينضب من المادة الأدبية ، فأخذها وبوّبها ورتبها ، وإن تحقيق البصائر أو ربيع الأبرار ليحتاج إلى مقارنة الكتابين حتى يكون العمل تاماً . بقي أن أشير إلى أن جار الله الزمخشري كان شديد التحرج من إيراد الهزل والنوادر السخيفة ، فكل ما يرد في كتاب البصائر منها ليس له ذكر في كتابه ربيع الأبرار .

أما شرح نهج البلاغة فإن صاحبه لم ينقل وحسب من كتاب البصائر ، وإنما كان شديد الإعجاب به ، وخاصة بمقدماته الدعائية ، وقد نقل عدداً منها إلى شرح النهج ، وهناك مادة من البصائر موجودة فيه لا نجدها في مخطوطات البصائر ، وهذا يعني أنها – على الأرجح – تقع في الجزء الضائع منه ، وقد ألحقتها وغيرها في آخر هذا الجزء التاسع من الكتاب ، هذا علماً بأن ابن أبي الحديد كان يمتلك على الأرجح نسخة كاملة من البصائر . ولعل خير ما يدل على إعجاب ابن أبي الحديد بكتاب البصائر ذلك النص الذي نقله عنه في تفضيل جعفر

ابن أبي طالب على أخيه علي (٧/ ف ٢٠٩) ؛ صحيح أنه ردّ عليه ، ولكن مجرّد إيراده له يدل على ما يكنّه للبصائر – ولفرادة ما فيه أيضاً – من تقدير كبير . والملاحظ في هذا النصّ أن ابن أبي الحديد لم ينقل ردّ أبي حيّان – إن صحّ أن الردّ له – على القائلين بأفضلية جعفر على علي ، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدل على أن النسخة التي كانت بيد ابن أبي الحديد مختلفة عن بعض النسخ التي استعملتها في تحقيقه . ولا بد من الإضافة أن ابن أبي الحديد أورد نصوصاً من كتاب آخر للتوحيدي غير البصائر ، هو الإشارات الإلهية[1] ، وهذا يؤكد ناحية التذوق الفني في موقفه من أبي حيان .

وقد كان البصائر مورداً خصباً لعدد من المؤلفين على مرّ الزمن ، نقلوا عنه مباشرة أو بالواسطة ، منهم ابن عقيل في كتابه « الفنون » ، وياقوت في معجم الأدباء ، والوطواط في غرر الخصائص ، والصفدي في سرح العيون ، والسبكي في طبقات الشافعية وغيرهم . أما النهروالي فلعلّ المصادفة هي التي وضعت كتاب البصائر ذات يوم في يده وهو يقوم برحلته إلى الآستانة ، فنقل منه فقراً كثيرة .

مكان البصائر بين المؤلفات الأدبية عامة

عندما شرع أبو حيان التوحيدي بتأليف كتاب البصائر والذخائر ، كان مدركاً لقيمة عمله ، كما كان يعرف أيضاً أن الجانب الأكبر من المادة التي سيتضمنها كتابه قد جاءت في كتب أخرى ، وليس له فيها دور سوى دور المنتقي المختار ، وكانت تلك من الاتهامات التي وُجِّهت له حين بدأ كتاب البصائر بالظهور جزءاً بعد آخر ، كما سبق أن ذكرت . ورغم ما ووجه به أبو حيان من نقد ، استمرّ في عمله ، مؤمناً به . فما الذي دفع التوحيدي إلى ذلك ، وهل

....

١ انظر مثلاً الإشارات الإلهية : ٤٣٩ و ٤٤١ .

كان يريد لكتابه أن يكون مجرد « مستودع » لأقوال الآخرين ، أم أنه كان ينوي أن يجعل له « شخصية » تُميّزه بين سائر كتب الأدب العامة ؟

في محاولة للإجابة على هذا السؤال إجابة متأنية ، لا بد من العودة إلى بدايات الأمور ، فقد نشأ أبو حيان ذوّاقة للجميل من شعر ونثر وفكرة وخاطرة وملحة ، ومن كان له مثل هذا الذوق المرهف ، فإنه يظل لديه الاستعداد النفسي ليسجّل كلَّ ما يمر به من تلك الروائع ؛ يضاف إلى ذلك أنه أثناء الجمع والانتقاء اتصل بمجالس ابن عبّاد وابني العميد ، فوجد أن شخصية « النديم » هي الشخصية الناجحة عند أمثال أولئك الكبراء والوزراء ، وقد كان أول اتصاله بالصاحب يضيق ذرعاً بالنكت البذيئة التي يرويها الصاحب وندماؤه في مجلسه ، وينتقده على ذلك من زاوية أخلاقية ، غير أنه ما لبث أن تخلّى عن موقفه المعادي للنوادر الملهية ، فهو يختار تلك النكت نفسها التي أنكر على الصاحب ترديدها ، وكان إعجابه بالجاحظ ينمو ويتزايد ويحمله على تبنّي رأيه في إيراد الملحة الهزلية بلغة قائليها ، فأراد من جمع التفسير والحديث واللغة والحكاية والشعر و . . . الخ : تضمين كتابه المادة التي تساعد على تكوين « النديم » كما عرفه في مجالس الوزراء ، وبخاصة وأن هذا الأمر يسد نقصاً عند التوحيدي نفسه ، إذ كان ما يزال « نكرة » في تلك المجالس . ولما انتدب أبو حيان ليكون نديماً للوزير ابن سعدان ببغداد ، غلب عليه الجدّ والعمق الفكريّ والحكم النقدي والتحليل السياسي ، ولم يستطع أن يكون نديماً لمحض التسلية ، وتلك هي الصورة التي يمثلها كتاب الإمتاع والمؤانسة . فبين البصائر والإمتاع مرحلة من نقلة واضحة لأن أولها يحاول تكوين النديم المثقف المسلي والآخر يحاول تكوين المثقف المفكر (مع شيء يسير من التسلية المريحة) .

كذلك لا بدّ أن نتذكّر أن البصائر كان النتيجة المباشرة لعمل أبي حيان في الوراقة مدى سنوات طويلة ، فقد عرّفته هذه المهنة – بكل ما فيها من سيئات – إلى أمهات الكتب العربية ، وأمكنته من أن يكون على صلة مستمرّة

بالتراث العربي الإسلامي بعامة ، وجعلته يدرك مدى اتساع هذا التراث ، ومدى الصعوبة التي يواجهها المثقف في السيطرة عليه أو حتى على جانب صغير منه . من هنا – فيما يبدو لي – بدأت تختمر في ذهنه فكرة انتزاع مختارات من التراث ، هي أفضل ما فيه ، تكون مضمومة بعضها إلى بعض ، وتكون وسيلة لتكوين « الأديب » الذي يأخذ من كل فن بطرف ، وذلك بالاطلاع السريع – نسبياً – على مختلف الأشكال من الإنتاج الفكري والأدبي للأمة عبر العصور ، ويكون « الأديب » قد كفي النصب بتعب غيره ، كما لا يفتأ أبو حيان يكرر في البصائر . ولئن كان الدافع الذاتي حافزاً قوياً لدى أبي حيان في كتابته لكتاب البصائر ، فإن همه الأكبر هو القارئ ، له جمع ما جمع ، وزيّن ما زيّن ، وهذا هو الأمر الوحيد الذي يفسّر تَوَجُّهَ التوحيدي إلى القارئ باستمرار في كتاب البصائر ، في مقدمات كل جزء منها وفي معظم خواتِمها ، وفي عرض الكتاب بين الحين والحين ، بدرجة ملحوظة لا تخفى على الناظر فيه ، ولا يجدها الدارس في أي من الكتب الأدبية الأخرى . ولأجل هذا أقول إن تَصَوُّرَ معظم الدارسين المحدثين أن أبا حيان جمع كتاب البصائر احتذاءً لطريقة الجاحظ وحَسْبُ تَصَوُّرٌ قاصر ، وإنما قام أبو حيان بهذا العمل من حيث هو مثقف مسؤول عن خدمة المجتمع ، وكانت تلك طريقته في تلك الخدمة . فقد كان أبو حيان يدرك أهمية « تخليد » الأدب بكتابته ، كما سبق أن أشرت ، ونحن الآن عندما نقرأ في البصائر مادة لا رديف لها فيما قد وصلنا من مصادر ، ندرك كم كان لهذا الرجل من الفضل على التراث عندما احتفظ منه بعيون لم تعد أصولها متوفرة بين أيدينا . ومن هذا المنطلق يمكن أن نقول إن أبا حيان كان « مجدداً » وإن في حدود التقليد ، وهذه أولى الخطوات التي تجعل من كتابه شيئاً مميزاً بين سائر الكتب الأدبية .

غير أن المسألة تتجاوز ذلك كله بكثير إذا نظرنا بدقة فيما في كتاب البصائر إلى جانب المنقولات إليه من الكتب السابقة عليه . إذ ذاك نجد أن التوحيدي

قد وسم كتابه بسمته الشخصية على نحو حادّ ، لا فيما اختاره وانتقاه (وإن كان الذوق الشخصي بارزاً في ذلك) وحسب ، وإنما في أمرين كبيرين ، الأول : ما أبان به عن فلسفته الذاتية في النظرة إلى الكون وإلى بعض القضايا التفصيلية ، والثاني : ما دوّنه من تجاربه الشخصية وانطباعاته الخاصة عن عصره .

أما بالنسبة للأمر الأول ، فإن كتاب البصائر يمكن أن يعتبر معرضاً لموقف أبي حيان من مختلف القضايا الإنسانية التي كانت تشغل ذهنه ، والتي ما زال بعضها يشغل بال الإنسان حتى اليوم .

وأولى القضايا التي يتعرض لها التوحيدي في كتاب البصائر قضية علاقة الإنسان بالله . ولقد تحدث عنها في أماكن كثيرة من هذا الكتاب ، وموقفه منها واضح تَمَاماً ، فمرتبة الإنسان هي مرتبة العبودية ، ومرتبة الله هي مرتبة الألوهية أو الربوبية ، وشتّان ما بين العبودية والربوبية[1] ! فالله سبحانه وتعالى «أنشأ العبد ثم تولاه ولم يخله من يده ، و . . . العبد يتصرف بين علمه وإرادته وأمره ونهيه في ظاهر تكليفه ، وطرفاهما بين الحالين يلتقيان ، وكلتاهما مستويتان ، و . . . الخَلْق ظهر منه ، وثبت به ، وانقلب إليه ، أعني أنه أبدأه وأنشأه في الأول ، وهو غذّاه وأنمَاه في الثاني ، وهو قبضه ورقّاه في الثالث ، باستطاعته ، واستبدّ بقدرته ، وانفرد بحوله وقوته . . .»[2] . وقد خلق الله للإنسان العقل ، والعقل هو «الوصلة ما بين الإنسان والله»[3] . وقد عرّف الله الإنسان عن طريق العقل الشيء الكثير عنه وعن الكون ، ودعاه إليه ، وعن طريقه أوصله إلى التكليف ، إلا أنه لم يعرّفه كل شيء عنه ،

---

١ انظر مثلاً الجزء الثامن ، الفقرة : ٢٣٨ . والجزء السابع ، الفقرة : ١٨٧ د . وانظر أيضاً مقدمة الجزء السادس .

٢ الجزء الخامس ، الفقرة : ٧٤٠ .

٣ من مقدمة الجزء الأول .

فإنه – كالمَلِك – « لو بسط الجميع إلى معرفة ما غيب عنه ساووه في الإلهية . وهذا محال ، ولو حسم الأطماع عن معرفة ما يمكن لكان غير داعٍ إلى نفسه . ولا حائش إلى أُنْسه ، ولا باعث على الإقرار بإلهيته والاعتراف بربوبيته ، فأودع العقول ما تَمّت به العبودية ، ودفع عنها ما تعلق بالإلهية »[1] ، ولذلك فمن « ظن أنه جهله من جميع الوجوه أبطل . . . ومن ظن أنه عرفه من جميع الوجوه أبطل . . . »[2] . على أن الإنسان كثيراً ما يغترّ بعقله إلى درجة أنه يعترض على أحكام الله ، وهذا في نظر أبي حيان لا يجوز ، لأن « العبد أحقر من أن يعترض على مولاه »[3] ، وفي بعض الأحيان يجعل عقله حَكَماً بينه وبين الله تعالى ، ما أجازه لله حَسُن فِعْلُهُ ، وما أباه قبحَ فعله ، وهذا أيضاً لا يكون ، « وكيف يكون هذا وهو إله من قبل العقل والعاقل والمعقول ، وإنما أبدع هذه كلها داعية إليه لا معترضة عليه ، وواصلة به لا قاطعة عنه ، ودالة على قدرته لا مضلّة عن حكمته ، ومتيقّنة لما بانَ لا شاكّة فيمَا أشكل »[4] . ولهذا كان أبو حيان يعجب بقول أبي زيد البلخي : « العقل آلة أُعطيناها لإقامة العبودية لا لإدراك الربوبية ، فمن طلب بآلة العبودية حقيقة الربوبية ، فاتَتْه العبودية ولم يحظَ بالربوبية »[5] . ولهذا على الإنسان أن يقف عند حدود ما لا يعرف ، ويسلّم أمره لله ، الذي هو له خير منه لنفسه[6] ، فبذلك وحده يصفو سره ، ويزكو عمله ، وتحمد عاقبته ، وإنما على الإنسان أن يظل « عالماً بأن البدء منه ، والحجة منه عليك ، وأن الذي بنسبتك إليه أن تكون عبداً ذليلاً ،

---

١ الجزء الثامن . الفقرة : ١٨٧ د .
٢ الجزء الثامن . الفقرة : ١٨٧ د .
٣ الجزء الرابع . الفقرة : ٢٨ .
٤ الجزء الثامن . الفقرة : ٧١٧ د .
٥ الجزء الثامن . الفقرة : ١٨٧ د .
٦ انظر الجزء الأول . الفقرة : ٩٦ ب .

والذي لك عنده أن يجعلك ملكاً عزيزاً »[1] .

ويتفرع عن قضية علاقة الإنسان بالله قضية الجبر والاختيار : هل الإنسان مقيد بالقَدَر أم أنه حرّ الإرادة في التصرّف ؟ وهنا أيضاً يقف أبو حيان موقفاً وسطاً أَمْيَل إلى الإيمان بالقضاء ، فهو يرى أولاً أن التّمييز بين الاضطرار والاختيار تمييز متكلّف ، وقد حدث هذا التّمييز ، إما لعسر المراد في هذا الموضوع ، أو لضيق الإعراب وصعوبة التعبير عن هذه المسألة ، وإما للاصطلاح الذي يجهل سببه[2] . إذ الحقيقة البسيطة هي أن « الاضطرار موشّح بالاختيار ، والاختيار مبطّن بالاضطرار »[3] ، والإنسان « مطلق في صورة مقيّد ، ومختار في هيئة مضطرّ ، ومرسل في حلية ممنوع »[4] ، وهو أيضاً « مطلق الظاهر مأسور الباطن ، مخيّر العلانية مملوك السرّ »[5] . وتعليل ذلك أن الإنسان لو كان متمكّناً كل التّمكّن ، غير خاضع قطّ للقدر ، لكان غنيًّا بنفسه من ناحية ، ولكان غير سائل للتوفيق في كل ما يعمله من ناحية أخرى ، ولو كان خاضعاً خضوعاً تاماً للقدر لكان غير مطالَبٍ ولا مخاطَب من ناحية ، ولما عرف أمثال الندم والفرح[6] من ناحية أخرى ، وهذا هو جانب التوسط في موقف أبي حيان ؛ لكن هذا التوسط ليس توسطاً مطلقاً إذ يتبين من بعض النصوص الأخرى أنه توسط يميل إلى جهة الاضطرار ، لأن الإنسان عامةً ، في نظره ، محبوس في ملك الله ، « مقيد بحكمه ، مرتبط بعلمه ، مراد بمشيئته ، ملحوظ بعينه ، محفوظ بعونه »[7] وعليه بالتالي ألّا يحاول تجاوز ما أراده الله به[8] ، فإنه

....

١ من مقدمة الجزء الخامس .

٢ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ٤٩٨ .

٣ الجزء الأول ، الفقرة : ٤٩٨ .

٤ الجزء الخامس ، الفقرة : ٧٤٠ .

٥ الجزء الثامن ، الفقرة : ٢٣٨ .

٦ انظر الجزء الثامن ، الفقرة : ٢٣٨ .

٧ الجزء الأول ، الفقرة : ٩٦ ب .

٨ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٧٤٠ .

« لا رادّ لقضائه ، ولا معقّب لحكمه ، ولا سائل عن فعله ، ولا باحث عن سرّه ، ولا معارض لحكمه ، جَلَّ عما يجوز لخلقه . . . ، له الخَلْق والأمر ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه مخلصين له الدين . . . »[1] .

ويزداد موقف التوحيدي المائل إلى الأخذ بالاضطرار وضوحاً لدى معالجته مسألة الرزق : هل الرزق « مقسوم » للناس بغضّ النظر عن جهودهم لتحصيله ، أم أن الرزق مرتبط بالسعي إليه . وقد كان أبو حيان يعرف دقة هذا الموضوع وحساسيته ، وقد قال : « والكلام في الرزق خفيّ ، والبحث عنه شاقّ ، والمدخل فيه غامض ، والناس على طبقاتهم يَموجون فيه بالصحيح والسقيم ، والفاسد والسليم »[2] . غير أن إلحاح هذه المشكلة عليه ، وهو المحروم على الدوام ، جعله يتعرض لها في البصائر – وفي غيره من مؤلفاته – وموقفه منها في البصائر واضح ، وهو أن الرزق بيد الله تعالى ، يؤتيه من يشاء كيفما يشاء ، متى يشاء ؛ قال : « والحق الذي لا يطور به الباطل ، والحجة التي لا تتخونها شبهة ، أن الإنسان منذ يسقط من بطن أمه إلى أن يلحد في ضريحه ، مكفول به مصنوع له ، وأن كافله وصانعه يدبّره بمشيئته وإرادته على ما سبق من علمه وحكمته »[3] . وعلى الرغم مما في هذا الموقف من تسليم كلي ، فإنه يمكن أن يُشْتَمَّ منه نبرة من الارتياح ، كأنّ الله لا يمكن أن يترك أيًّا من عباده دون رزق يبقي على رمقه على الأقلّ ؛ وأيا كان الأمر ، ففي بعض نصوص التوحيدي ما يفيد أنه كان يؤمن باستمرار التراوح في الرزق بين الضيق والسعة لدى الإنسان ، وذلك للتراوح القائم في صلب تكوين الإنسان ، ولذلك يقول : « فالعبد مرة محروم ليبتلى صبره ، ومرة واجد ليعرف شكره ، ولن يصفو من الدنس ، ولا يعرى من لباس الهوى ، ولا يصلح لسكنى الجنة إلا

---

١ الجزء السابع ، الفقرة : ١٨٧ د .
٢ الجزء السابع ، الفقرة : ٧٧٠ .
٣ الجزء السابع ، الفقرة : ٧٧٠ .

بهذا النوع من التقليب ، وهذا الشكل من الترتيب »[1] . ولذلك فعلى الإنسان ألا يقنط عندما يضيق عليه رزقه ، بل عليه أن يتذكر أيام السعة ويحمد الله عليها ، ويتوقع أن ترجع في مستقبل الأيام ، على عادة الرزق في التقلب والتحول ، وأبو حيان لذلك يستشهد بقول الشاعر :

فلا تجزعْ إذا أعسرتَ يوماً فقد أيسرتَ في الزمن الطويلِ
فلا تيأسْ فإن اليأس كفرٌ لعلّ الله يغني عن قليلِ
ولا تظنن بربكَ ظنَّ سوءٍ فإنّ الله أولى بالجميلِ[2]

على أن موقف أبي حيان من الرزق لا يجعله يصل إلى الإيمان بالقعود بدل السعي ، إذ في رأيه أن السعي أمر ضروري جدًّا للإنسان ، وأخطر ما يقع فيه الإنسان أن يستسلم « للمدافعة والوكال وحبّ الهوينا . . . والضجر والكسل وحب العاجلة »[3] ، فهذه في رأيه من أخلاق البهائم ، وهي داءٌ دويّ ، وعلى الإنسان أن يجنح نحو الاجتهاد « فإنه كاسب النجح ، وجالب الظفر » ، كما عليه أن يتحرك باستمرار : « فإن التحرك طريق إلى المنالة مشرف على حميد العاقبة ، ولذلك قيل : الحركة وَلُود والسكون عاقر »[4] . غير أن التوحيدي كان يدرك أن المعترض قد يعترض عليه فيقول : ولِمَ أسعى إذا كان كل شيء بقضاء وقدر ؟ وهل سعيي سوف يغيّر القضاء القدر ؟ ولذلك أعدّ الإجابة على هذا الاعتراض فقال : « أما تعلم أن الاجتهاد والحركة مدمجان في أثناء القَدَر ، والقصد والسعي مدرجان في طيّ القضاء ، وأنّ الذي عليك بحكم عقلك ، وصحيح نظرك ، أن تعمل بظاهر ما أُلقي لك ، لأنك جاهل بحقيقة ما غيب

....

١ الجزء السابع ، الفقرة : ٧٧٠ .
٢ من مقدمة الجزء الخامس .
٣ من مقدمة الجزء الثاني .
٤ من مقدمة الجزء الثاني .

عنك ، فكيف تجنح إلى خفيٍّ عنك وتستوحش من جليٍّ عندك ؟ إنك إذن من الجاهلين ! »[1] .

وتقترن مسألة السعي – أو العمل – في نظر أبي حيان ، كما يبدو من كتاب البصائر ، بمسألة العلم بالضرورة ، فالعلم والعمل صنوان لا يفترقان ، فإذا عري العلم من العمل كان قاصراً ، وكذلك العمل ، إذا ارتبط بالهوى[2] أو اقترن بحب المال[3] . أما الهوى فإنه « سحّار خدوع ، وقرن جدوع ، وقرين خلوب »[4] ، وأما حب المال فإنه لا يمكن أن يقارن قطّ بالعلم : « فالمال عَرَض ، والعلم جوهر ، والجوهر ما قام بنفسه والعَرَض ما ثبت بغيره ، والعلم من قبيل العقل والمال من قبيل الجسم ، والجسم فانٍ وتابعه معدوم والعقل باقٍ وصاحبه موجود ، وشهادة المال زور وشهادة العلم حقيقة ، وبيّنة المال كاذبة وبيّنة العلم صادقة ، والعلم يحتاج إلى المال ولكن للزينة والمال يحتاج إلى العلم ولكن للكمال . . . »[5] . والعلم في نظر أبي حيان يجب أن يؤخذ بأصالة تامة ودون النظر إلى ما يمكن أن يجلبه من أرباح ، يقول : « ولا تطلب العلم إلا بعد أن تعشق الحق عشقاً ، وتموت على الحجة موتاً ، وتنفر من الباطل نفوراً ، وتمقت الشبهة مقتاً . . . »[6] ، وعندما يتوفر للمرء العلم الأصيل والعمل الصالح ، فإنه يكون على الطريق إلى السلامة والنجاة : « تأهب أيها الرجل لأمرين جسيمين لا أمان لك إلا بهما ، ولا نجاة لك إلا معهما : لعلم يهديك إلى الله وعمل ينجيك من الله ، فبالعلم تقصد وبالأعمال تصل ، وبالعلم

....

١ من مقدمة الجزء الثاني .
٢ من مقدمة الجزء الثاني .
٣ من مقدمة الجزء السابع .
٤ من مقدمة الجزء الثاني .
٥ من مقدمة الجزء السابع .
٦ من مقدمة الجزء السابع .

تعرف وبالعمل تجزى . . . وحينئذٍ ترى العمل زاداً ، والإخلاص عتاداً »[1] .

والحديث عن رفض المال يقودنا إلى موضوع أكثر أبو حيان من التوقف عنده في البصائر ، وخاصة في مقدماته على أجزاء مختلفة ، وهو موضوع الزهد في الدنيا ، وهو يسميها « الدار المؤوفة »[2] و « العاجلة »[3] ، وينعتها بـ « اللئيمة »[4] ، إذ المشكلة فيها تقع في أمرين ، الأول هو عدم دوامها وعدم ثباتها : « وإلا فحدثني لمن وَفَتْ ، ولمن صَفَتْ ، وعلى من بَقَّتْ ، وإلى مَنْ أحسنتْ ؟ »[5] والثاني : أنها تغرّ الإنسان وتشعره بالعظمة ثم لا تلبث أن تنقضّ عليه فتوصله إلى الخسران : « هيهات ، من ذا الذي لبس وَشْيَها فلم يبطر ، ومن ذا الذي ثَمل من خمرها فلم يسكر ، ومن ذا الذي حُميَ عنها فلم يضجر ، ومن ذا الذي نظر إلى زخرفها فلم يغترّ ، ومن ذا الذي سمع غناءها ولم يرقص ، ومن ذا الذي تمَّ عليها وبها فلم ينقص ، ومن ذا الذي ربح فيها فلم يخسر ؟! »[6] على أن ترك الدنيا وفطم النفس عنها أمر عسير[7] ، « ولكن الثواب على قدر المشقة ، والجزاء على قدر العمل »[8] ، وإن من يستطيع أن يكبح جماح نفسه عنها يكون قد وصل إلى « باب السعادة ، ودرجة السلامة ، ووعاء النجاة ، وظرف الراحة »[9] ، والتوحيدي يخاطب القارئ مبيناً مزايا الزهد في الدنيا بقوله : « بالزهد تملك هواك عن الجماح ، وطباعك من الغي ،

---

١ من مقدمة الجزء السابع .
٢ من خاتمة الجزء السادس .
٣ الجزء السابع . الفقرة : ٧٠٣ .
٤ الجزء الثامن . الفقرة : ٢٦٩ ب .
٥ الجزء الثامن . الفقرة : ٢٦٩ ب .
٦ الجزء الثامن . الفقرة : ٢٦٩ ب .
٧ من مقدمة الجزء الثالث . والجزء السابع . الفقرة : ٧٠٣ .
٨ الجزء السابع . الفقرة : ٧٠٣ .
٩ من مقدمة الجزء السادس .

وظاهرك عن الهجنة ، وباطنك عن الفتنة ... هناك تتفرغ لحسابك ، وتتصفح ما يخصك واعتبار ما يكون صلاحه منوطاً بك ، وفساده منفياً عنك ، وآثاره راجعة إليك ، وريعه واقفاً عليك ، فلا تعتقد إلّا حقًّا يصحبه البرهان ، ولا تقول إلّا صواباً يشهد له الدليل ... »[1] .

ننتقل بعد هذا إلى بعض المواقف الدقيقة الأخرى التي أبان عنها التوحيدي في البصائر ، ويأتي على رأسها موقفه من آفة الرواية ، كما يسميها ، ويعني بذلك الخلل أو الخطأ أو الفساد الذي يصيب الخبر المعين عن طريق روايته بشكل ناقص أو مبالغ فيه ، أو حتى بشكل مختلف . ولعل أوضح النّماذج على ذلك تعليقه على الخبر القائل إن بلال بن أبي بردة أعطى رجلاً عشرة آلاف درهم ، فإنه قال : « قد سمعت هذه الحكاية على غير هذا الوجه تحكى لبعض من اجتدى ، وطرق الرواية مختلفة ، والكذب كثير ، والتزيّد واسع ، فكان أبو مخلد يقول : لا تصدق بقول المحدثين : فلان أعطى فلاناً عشرين ألف درهم ، وفلان وصل ندمانه في ليلة بمائة ألف درهم ، وفلان فعل وفلان صنع ، ويقول : هذه أكاذيب الورّاقين ، وليس لما يحكى عن البرامكة حقيقة ، وإنما يختلق هذه الألفاظ والمعاني ناسٌ ختلوا قوماً عن دينارهم ودرهمهم ، وإلا فلِمَ لا نرى في عصرنا مثل هذا؟ أترى الناس قد مُسخوا؟ »[2] . وعندما روى أبو حيان خبراً عن أبي جعفر المنصور شبَّهَ فيه نفسه بعمر بن الخطاب ، ثار أبو حيان واستبعد أن تكون الحادثة قد حدثت على الوجه الذي رويت به ، ووجه شكّه إلى الرواية بقوله : « وأبو جعفر أكبر من ذلك ، ولعل الحكاية موضوعة عليه ، فآفة الأخبار كثيرة ، والظنة إلى أهلها سريعة ، وتخليص السقيم من الصحيح صعب ، وقد دهي الناس في جميع

....

١ من مقدمة الجزء السادس .

٢ الجزء الرابع . الفقرة : ٣٥٩ ب .

مذاهبهم وأتوا منها »[1] . كذلك عندما روى أبو حيان أن المنصور وقّع على رقعة رجل يطلب بناء مسجد : « من شرائط الساعة كثرة المساجد » ثار ثورة أعنف من ثورته الأولى ، وألقى التهمة على الرواية ؛ قال : «كيف ترى هذا الكلام ؟ تَعَجَّبْ ففيه متعجَّب ! ومن أين له أن كثرة المساجد من شرائط الساعة ؟ أفقلة المساجد من شرائط بُعْدِ الساعة ، أم ماذا ؟ اللهم غفراً ! ولعل الخبر من الضرب المعمول ، والقول المنحول »[2] . والقول الفصل في مسألة الرواية أن يكون الحَكَم في قبولها أو ردّها ما يسبق في النفس منها ، وما يقترب أو يبتعد من المنطق فيها ، على أن حسن الظن لا بد أن يكون متوفراً[3] .

ويلحق بموقف أبي حيان من الرواية موقفه من الأقوال التي ترسل جزافاً دون تعليل أو شاهد أو برهان ، وهذه غير مقبولة ، خاصة إذا جاءت عن كبير أو رئيس أو عالم ، فإنه غير معذور في ذلك[4] ؛ كذلك كان تعليقه على قول المأمون : « خصلتان لا تصنعان على موائد الخلفاء : نكت المخّ وكثرة أكل البقل »[5] ، وعلى قول ابن عباس : « الشيب في مقدمة الرأس كرم ، وفي الشارب سفه ، وفي العارض روع ، وفي القفا لؤم »[6] ، وعلى قول أبي العميثل في أن النعمان من أسماء الدم[7] ، وعلى قول يحيى بن خالد البرمكي : « ما رأينا العقل قطّ إلا خادماً »[8] ، وعلى قول أبي سليمان الداراني : « إذا استُكملت المعرفةُ في القلب ، سُلِبَ العارف العمل » ، قال أبو حيان : « ما

....

١ الجزء الثاني ، الفقرة : ٢٠ .
٢ الجزء الثاني ، الفقرة : ٢٢ .
٣ انظر الجزء الثاني ، الفقرة : ٢٠ .
٤ انظر الجزء الثاني ، الفقرة : ١٥٨ .
٥ الجزء الثاني ، الفقرة : ١٥٨ .
٦ الجزء الخامس ، الفقرة : ٤٠٨ .
٧ الجزء السابع ، الفقرة : ٥٣٠ .
٨ الجزء الثامن ، الفقرة : ٢٨٧ .

كان أحوج أبا سليمان أن يوضح علة هذا فإنه شنيع . ولقد رأيت من أبناء التصوف مَنْ هجر العبادة بمثل هذا القول »[1] ، وقال تعليقاً على قول النخعي : « لا يحرّم النبيذ إلا صاحب بدعةٍ أو هوى » : «ليته ذكر العلة ، فقد والله آلمني غير مكترث ، وما هذا احتياط الفقهاء المتحرّجين »[2] .

هذا ومما له صلة بالرواية مسألة نسبة الحكمة الواحدة إلى غير قائل ، وقد روى التوحيدي مرة حكمة لعلي ثم علّق عليها فقال : « هذا رواه لي بعض المجوس لبزرجمهر ، ورواه لي بعض العلوية لجده ، ورواه لي آخر مرسلاً »[3] . وتشكل هذه الظاهرة مشكلة لدى أبي حيان ، إلا أنه لا يرى لها حلاً ، نظراً لطبيعة الحكمة نفسها ؛ قال : « والله تعالى أعلم وأحكم بالصواب ، فالحكمة نسبتها فيها ، وأبوها نفسها ، وحجتها معها ، وإسنادها متنها ، لا تفتقر إلى غيرها ويُفْتَقَر إليها ، ولا تستعين بشيء ويُستعان بها »[4] .

وللتوحيدي موقف واضح من مسألة علاقة الألفاظ بالمعاني ، وقد واجهه مرة الفقيه الداركي بقوله إن اللحن لا يهم وإنما المهم هو المعاني وقال : « أنا ألحن وألحن ، ولكن كلموني على المعاني إن كان لكم إليها سبيلاً »[5] ، فهبّ التوحيدي لمعارضته مؤكداً أن « المعاني ليست في جهة والألفاظ في جهة ، بل هي متمازجة متناسبة ، والصحة عليها وقف ، فمن ظن أن المعاني تخلص له مع سوء اللفظ ، وقبح التأليف ، والإخلال بالإعراب ، فقد دلّ على عجزه ونقصه »[6] . وفي مكان آخر من البصائر[7] أكّد هذا الموقف ، وتحدث عنه

---

١ الجزء الثامن . الفقرة : ٥١٩ .
٢ الجزء الرابع . الفقرة : ٢٨٤ .
٣ الجزء الأول ، الفقرة : ٢٢٨ ؛ وانظر أيضاً الجزء الثامن ، الفقرة : ٥٥٣ .
٤ الجزء الأول ، الفقرة : ٢٢٨ .
٥ الجزء السادس . الفقرة : ٩٢ .
٦ الجزء السادس . الفقرة : ٩٢ .
٧ انظر الجزء الخامس . الفقرة : ٢٧٦ .

بإسهاب ، مقرراً أن الألفاظ والمعاني متواشجة متلاحمة متناسجة ، وأن الإخلال بالواحدة يؤدي إلى الإخلال بالأخرى ، وأن هذا ليس مقتصراً على العربية وحدها بل هو صحيح في اللغات جميعها ، وإنمَا أُكِّدَ عليه في العربية لاتساع طرقها واختلاف أسباب استعاراتها وما إلى ذلك ؛ وأما القول بأننا نفهم عن العجمي طمطمته ، « فإن ذلك المفهوم لم يكن عن تَمَام اللفظ وصحة التأليف ، وإنما حدث بدلالة ما كان قارًّا في الصدر ومنسوخاً عند العقل » . والمكان الوحيد الذي استحلّ فيه أبو حيان اللحن هو في النادرة ، لأن الصواب قد يخلّ بها[1] .

وينبئنا كتاب البصائر عن جانب من آراء أبي حيان النقدية ، وتلخيص رأيه في البلاغة أن يتوفر في صاحبها أمور ثلاثة : الطبع الجيد ، والدرس للأدب ، وشهوة النفس لحظة الإنشاء ، وأضاف : « والسرّ كلّه أن تكون ملاطفاً لطبعك الجيد ، ومسترسلاً في يد العقل البارع ، ومعتمداً على رقيق الألفاظ ، وشريف الأغراض ، مع جزولة في معرض سهولة ورقة في حلاوة بيان ، مع مجانبة المجتلب وكراهة المستكره »[2] . أما السجع فيجب ألا يكثر منه الكاتب ، بل يكون السجع في كتابته « كالطراز من الثوب ، والعلم من المطرف »[3] و « كالملح في الطعام »[4] ، وإلّا جاء كلامه ككلام النسأة والكهنة من العرب ، أو هو أشبه بكلام المستعربين من الأعاجم[5] ، والمهم في استعمال السجع هو أن يوضع في موضعه « وقد يسلس السجع في مكان دون مكان » ، والمهمّ بعد ذلك كله أن يوازن المرء بين الألفاظ والمعاني ، فلا تغلب الواحدة على

....

١ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ٣١٢ .
٢ الجزء الثاني ، الفقرة : ١٨٧ .
٣ الجزء الثاني ، الفقرة : ١٨٧ ب .
٤ الجزء الثاني ، الفقرة : ١٨٧ .
٥ انظر الجزء الثاني ، الفقرة : ١٨٧ .

الأخرى : « فأما من جمع بين هذه وهذه ، وكان قيّماً بمنثورها ومنظومها ، عارفاً باختلاف مواقع تأليفها ، فإنه الحاوي قصب الرهان ، والمعدود في أفاضل الزمان »[1] . هذا وقد أورد أبو حيان غير حكم نقدي على بعض ما اختاره من الفقرات ، ولكن هذه الأحكام عامة انطباعية كقوله بعد كلمة لعلي : « انظر إلى انتثار اللؤلؤ في هذا الفصل ، فإنك ترى ما يعجب . . . »[2] ، وقوله بعد حكمة لمحمد بن الحنفية : « هذا كلام عجيب من معدن شريف ومكانة تامة . . . »[3] .

وقد أشار أبو حيان إلى موقفه من موضوع السرقات الأدبية ، فكان ميّالاً إلى التسامح في هذه الناحية ، وقال : « ما أكثر أن يقال : أخذ فلان من فلان ، وأغار فلان على فلان ، والخواطر تتلاقى وتتواصل كثيراً ، والعبارة تتشابه دائماً ، ومن عرف خواصّ النفس وقوى الطبيعة وأسرار العقل ، لم يستنكر توارد لسانين على لفظ ، ولا تسانح خاطرين على معنى حاضر ، وباطنه ظاهر »[4] .

هذه هي الموضوعات الأساسية التي اهتمّ التوحيدي في كتاب البصائر بإيراد رأيه فيها ، ولا شك أن آراءه هذه قد منحت الكتاب سمة شخصية فارقة ، وجعلته مصدراً رئيسياً لدراسة فكر المؤلف ، كما جعلت كتاب البصائر متميزاً بين سائر الكتب الأدبية العامة ، إذ لا نعرف أي كتاب أدب آخر ظهرت فيه شخصية صاحبه كما ظهرت شخصية التوحيدي في كتاب البصائر .

على أن هناك أمراً آخر أعطى الكتاب تفرداً بين كتب الأدب ، وهو ما فيه

....

١ الجزء الثاني ، الفقرة : ١٨٧ ب .
٢ الجزء السابع ، الفقرة : ٢ .
٣ الجزء الأول ، الفقرة : ٤٤٨ .
٤ الجزء الثاني ، الفقرة : ٢٥ ؛ وانظر أيضاً الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٥٩ .

من مدونات عن تجارب التوحيدي الشخصية وانطباعاته الخاصة عن عصره ، حسبما أشرت من قبل .

والحقيقة أن في كتاب البصائر مجموعة من الإشارات إلى لقاءات التوحيدي لرجال عصره ، وفي معظم هذه الأماكن تأتي الإشارات مرفقة بالتاريخ الذي حدثت فيه تلك اللقاءات ، كأن يقول عن ابن الخلقاني : « سئل ابن الخلقاني عن هذا الحديث (الدنيا سجن المؤمن) سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وأنا أسمع ، فقال . . . »[1] ، أو يقول عن أبي زيد المروزي : « . . . وشاهدته بمكة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة »[2] ، أو يقول بعد ذكره لحديث نبوي : « . . . هذا الحديث رواه لنا أبو بكر الشافعي ببغداد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة »[3] ؛ وغير ذلك كثير . وكان في أحيان غير قليلة يعطينا أخباراً تفصيلية لا نجدها في أي من المصادر التاريخية أو الأدبية أو كتب الطبقات ، كما قال مثلاً عن أبي القاسم التّميمي اللغوي : « وكان قدم بغداد مع عضد الدولة سنة أربع وستين وثلاثمائة ، وكان جيّد الكلام ، فسيح العارضة ، وكان يقرف بالكذب مع هذا كله »[4] . وكثيراً ما كان التوحيدي يبدي رأيه بشكل دقيق في بعض شخصيات عصره ، فأبو سعيد السيرافي أستاذه مثلاً «كان شيخ زمانه ثقة ومعرفة وديناً وفضلاً ، ومات في رجب سنة ثَمَان وستين وثلاثمائة »[5] ؛ وأبو حامد المروروذي أستاذه الآخر هو « شيخ أصحاب الشافعي »[6] وهو « أنبل من شاهدته في عمري ، وكان بحراً يتدفق حفظاً للسير ، وقياماً بالأخبار ،

....

١ الجزء السابع ، الفقرة : ٦٥٦ .
٢ الجزء الثاني ، الفقرة : ٣٠٥ .
٣ الجزء الثاني ، الفقرة : ٢٠٠ .
٤ الجزء السابع ، الفقرة : ٨٥٠ ب .
٥ الجزء السابع ، الفقرة : ٣٢٠ .
٦ الجزء الأول ، الفقرة : ٤٥٢ .

واستنباطاً للمعاني ، وثباتاً على الجدل ، وصبراً في الخصام »[1] ، وكان أيضاً « ذا عارضة عريضة . ولسن بيّن ، وصدر جموع ، وقلب ذكيّ ، ولهجة بسيطة . مع لكنة خراسان وفجاجة العجم وقلة فصاحتهم ، لأنه كان من مرو الروذ . ودخل إلى العراق وهو باقل الوجه مجتمع القوة . وكان من العرب من بني عامر . . . ومات بالبصرة سنة ٣٦٢»[2] ؛ والقاضي ابن قريعة كان «كثير النوادر ، غزير الحفظ ، فصيح اللسان ، على تكلف مع ذلك »[3] ؛ وبشر بن الحسين قاضي القضاة ، يقول عنه أبو حيان : « ما رأيت رجلاً أقوى منه في الجدال ، ولا أخبث مأخذاً في اللفظ ، . . . كان بيّن اللفظ كثير الإنصاف »[4] ؛ وغلام زحل كان « شيخ هذا الشأن (يعني التنجيم) ، وله صواب مدوّن وخطأ مدفون ، وحسن ظاهر وقبح مستور ، وصدق مرويّ وكذب متأوَّل . . . »[5] ؛ والفقيه الداركي «كان ركيك اللسان ، فدم الطباع ، سيء الخلق ، شهوداً بالزور ، خبيث الدين ، ومات ببغداد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة »[6] ؛ وفيروز الطبيب «كان ظريفاً ، وكان طويل اللسان كثير الكلام »[7] ؛ والقاضي ابن سيّار «كان نبيلاً جليلاً أديباً مفوّهاً . . . »[8] ؛ أما الخليلي فإنه «كان ذا عارضة عريضة ، ولسان بليل ، وقلب مكوي ، وركية غزيرة ، وله مذاهب استأثر بها وتوحَّدَ فيها ، وأشياء طريفة كان يكتمها ولا يعرب عنها ، وكان من كبار المعتزلة ، ولكنه خالفهم

---

١ من مقدمة الجزء الثاني .
٢ الجزء السادس ، الفقرة : ٤٧٧ ب .
٣ الجزء الرابع . الفقرة : ٣٣٦ .
٤ الجزء السابع . الفقرة : ٢٠٩ .
٥ الجزء السادس . الفقرة : ٣٣٢ ب .
٦ الجزء الخامس . الفقرة : ٢٩٩ .
٧ الجزء السادس . الفقرة : ٣٠٧ ب .
٨ الجزء الرابع ، الفقرة : ٨١٨ ب .

وأفرط في التشنيع عليهم ، وتناهى في تتبع قبائحهم »[1] ؛ وكان أبو عبد الله الطبري «كثير النوادر ، فصيح اللسان ، وكان رئيساً في الباطنية ، وكان جريء المقدم ، متَّقَى اللسان ، وكان ابن العميد يحبّه ويقدّمه ، وله إليه رسالة مشهورة تتضمن عتباً ممضّاً ، وأجابه عبد الله عنها فما عجز عن موازنته . على أنّ الكتابة لم تكن ديدنه ، ولكنه كان عجيب الكلام في كل فنّ ، وكان معتمده على الإبهام دون الإفهام . . . وقد قاوم بالريّ أبا يعقوب الجبائي شيخ القوم ، بل أوفى عليه فكشف عنه . . . ومات سنة تسع وخمسين وثلاثمائة »[2] ؛ إلى غير ذلك من أحكام شديدة الإبانة – في تفصيلاتها – عن معاصري أبي حيان .

ونجد في كتاب البصائر مقاطع عديدة يتحدث فيها أبو حيان عن الزمان الذي كان يعيش فيه ، والصورة الإجمالية لهذا الزمان قاتمة جدًّا ، فهو زمان خلا من الديّن والديانين ، فأخذ الشيطان بحظه منه ، و أخذ يسرح ويمرح ، وأبو حيان يتجه إلى الله في هذا الموضوع قائلاً : « قد استحوذ الشيطان ، وخبثت النفس ، وساءت العادة ، وكثر الصادّون عنك ، وقلّ الداعون إليك ، وذهب الراعون لأمرك ، وفقد الواقفون عند حدودك ، وخلت ديار الحق من سكانها ، وبيعَ دينك بيع الخَلَق ، واستُهزئ بناصر مجدك ، وأُقصي المتوسل بك »[3] . في مقابل ذلك أخذ أهل الزمان بالاهتمام بالأمور المادية وحدها دون سواها وصاروا يتبجّحون باللؤم والسخف ويحتجّون للبخل بالحزم ، « وقد تواصى الناس بكلام الكندي لعنه الله حيث يوصي ابنه : يا بني ، أما بعد ، فكن مع الناس كلاعب الشطرنج ، تحفظ شاهك وتأخذ شاههم ، فإنّ مالك

....

١ من مقدمة الجزء السادس ؛ وانظر أيضاً الجزء نفسه ، الفقرة : ٥٨٨ .
٢ الجزء السابع ، الفقرة : ٢٢٠ .
٣ من مقدمة الجزء الرابع .

إذا خرج من يدك لم يعد إليك ، واعلم أنّ الدينار محموم فإن صرفته مات . . . »[1] . كذلك فُقِدَ في هذا الزمان السيء الرئيس الذي يرغب في المكارم ، ويرى اصطناع الخير إلى الأدباء[2] ، وبدلاً من أن يقوم من بين هؤلاء الأدباء أو المفكرين من يصلح رؤساء العصر ، صاروا أنفسهم ضحيته : « أتباعَ مرغوبٍ إليه مرهوب منه »[3] . وهكذا صار الرجل الصالح في هذا الزمان كالكبريت الأحمر[4] ، وانقلبت المقاييس كلها انقلاباً تامًّا ، فالإحسان من الإنسان « زلّة ، والجميل غريب ، والخير بدعة ، والشفقة ملق ، والدعاء حيلة ، والثناء خداع ، والأدب مسألة ، والعلم شبكة ، والدين تلبيس ، والإخلاص رياء ، والحكمة سفه ، والقول هذر ، والاطراق ترقّب ، والسكوت نفاق ، والبذل مكافأة ، والمنع حزم ، والإنفاق تبذير »[5] ، ولما لاحظ الخليلي هذه الناحية وقال : « اعلم أني أصبحت بين إمام لا يعدل ، ووزير لا يفضل ، وعالم لا يتألّه ، وغنيّ لا يؤاسي ، وفقير لا يصبر ، وجليس لا يحلم ، وواعظ لا يعفّ ، وحاسد لا يكفّ ، وصديق لا يعين ، وجار لا يستر ، وجاهل لا يتعلم ، ومتعلم لا يتحرّج ، وقاضٍ لا ينصف ، وشاهد لا يصدق ، وتاجر لا يتورع ، وعدوٌّ لا يتّقي »[6] - عندما قال الخليلي ذلك ، علّق أبو حيان على قوله بأن قال : « . . . ولكن كما علمتَ أن ما طوى أكثر مما نشر ، وما دفن أخبث مما أنشر ، وما أشار إليه أقبح ممّا نصّ عليه ، وما روي عنه أفحش مما أفصح به » .

---

١ الجزء التاسع . الفقرة : ٣٣٩ ب .
٢ من خاتمة الجزء التاسع .
٣ الجزء السابع . الفقرة : ٣٧٥ .
٤ انظر الجزء السابع . الفقرة : ٥٩٠ .
٥ من مقدمة الجزء الرابع .
٦ من مقدمة الجزء السادس .

وقد كان للتوحيدي موقف من بعض الجماعات في عصره . فأما الفقهاء فموقفه منهم إيجابي على وجه الإجمال ، وإن انتقد بعضهم كالفقيه الداركي مثلاً كما مرّ من قبل ، وهم يختلفون فيما بينهم إلا أن اختلافاتهم متقاربة[1] ولكنه كان يرى أنهم لا يحسنون العربية كما يجدر بهم أن يفعلوا ، فهم يقولون للتعنين « العنّة »[2] ، ويقولون « انمَاعَ » وهو قليل مرذول[3] ، وقد روى أبو حيان عن أحد فقهاء عصره أنه قال « هم خُروجٌ » ، يعني بها : هم خارجون ، فلما قيل له إن هذا لم يسمع ، قال إنه يقيس على كلام الله ﴿إذ هم عليها قعود﴾ أي قاعدون[4] . ولا يختلف موقف أبي حيان من المحدّثين عن موقفه من الفقهاء ، غير أنه حكم عليهم بأنهم «كحاطب ليل » لجمعهم بين الغثّ والسمين[5] ، وقد بلغ جهل بعضهم باللغة حدًّا عظيماً ، فروى أحدهم الحديث في النهي عن التشقيق (أي التكلف) في الخُطَب : النهي عن التشقيق في الحَطَب ، ولما قام إليه بعض الناس معترضاً لشدة الحاجة إلى الحَطَب أصَرّ على أنه هكذا وجده في كتابه[6] .

أما المعدّلون فالنقص فيهم – في نظر أبي حيان – فاشٍ جدًّا[7] ، وقد روى خبر المعدّل الذي روى حديث رسول الله « اعقلها وتَوَكَّلْ » : اعقرها وتوكل ؛ قال أبو حيان : « فاستثبتُّهُ مغالطاً لسمعي ، فكان أشدّ » ، ولما شرح له أبو حيان وجه الصواب في الحديث ، غضب المعدّل منه وعاداه وعمل على

---

١ انظر الجزء الثامن ، الفقرة : ٤٨٩ ب .
٢ الجزء السابع ، الفقرة : ٦٥ .
٣ الجزء الخامس ، الفقرة : ٢٩٨ .
٤ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ١٠١ .
٥ الجزء الثاني ، الفقرة : ٣٩ .
٦ انظر الجزء السادس ، الفقرة : ٣٦٥ .
٧ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ٢٤٨ .

إفساد حقٍّ كان له عند بعض التجّار[١] . كذلك روى أبو حيان قول المروروذي في أن العدالة قد أصبحت حبالة وشركاً ومحالة[٢] ؛ قال : « وكان الثوري يقول : الناس عدول إلا العدول ، وكان بعض البصريين يكره أن يقول « العدول » ويقول « هؤلاء المعدلون » . . . »[٣] .

وأكثر الجماعات التي تحدث عنها أبو حيان التوحيدي في البصائر هم المتكلمون ، وقد وقف منهم موقفاً عدائياً شديداً جدًّا ، وفي أصل عدائه لهم هناك موقفه المبدئي من علم الكلام والآخذين به . فأكبر مآزق علم الكلام في نظره أنه علم قائم على النظر العقلي فيما لا يسوغ للإنسان أن ينظر فيه ، أي في تلك الأمور التي أخفاها الله عن الإنسان لحكمة لديه ، وستظل مخفية عن الإنسان مهما حاول التنطح لها بعقله وادّعاء الوصول إليها كما يزعم المتكلمون ، وأبو حيان يقول في التعليق على قول أحدهم ، وهو الحارث الورّاق : « وإنما وَهَى ركن الدين ، وكثرت سنّة المبتدعين بأمثالك الذين بسطوا ألسنتهم فيما طوى الله عزّ وجلّ عن ملائكته وأنبيائه وأوصياء أنبيائه وعن أحبابه وأصفيائه »[٤] . فهؤلاء المتكلمون يريدون في كل مسألة ، دقّتْ أو جلّت أو اتضحت أو أشكلت : لا أو نعم ، قال أبو حيان : « كأنهم لا يعلمون أنهم لا يعلمون كل شيء ، ولا يحيطون بكل شيء ، وأن الدين مشروع على التسليم والتعظيم . . . » ورسول الله نفسه لم يجب عن كل شيء ، وإنمَا أُمِرَ بالسكوت إلا عمّا عمَّ نفعه[٥] . ومن أجل ذلك اخترع المتكلمون ألفاظاً مثل الجزء والطفرة ، والجوهر والعرض ، والكمون والظهور ، والمداخلة والمجاورة ، وأخذوا

---

١ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ٢٤٨ .
٢ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ٢٤٦ .
٣ الجزء الأول ، الفقرة : ٢٤٦ .
٤ الجزء الرابع ، الفقرة : ٢٨ .
٥ انظر الجزء الثاني ، الفقرة : ٣٠٥ .

يتحككون بقضايا لا يجوز لهم التطرق إليها ، ولا جدوى من ورائها ، ومن أجلها أخذوا بالتجرؤ على الله سبحانه وتعالى بأسئلة من مثل : ما مراد الله بكذا ؟ وما علته في كذا ؟ ونصبوا من أنفسهم حكاماً على الله – تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً – فقالوا : واجب عليه أن يفعل كذا ، ويستحيل عليه فعل كذا ، ولو فعل كذا لكان كذا ؛ قال أبو حيان : « وهذا تحكك بالإله ، وتمرّس بالربّ ، وليس لك إلا ما ألقاه إليك ، وعرضه عليك ، وسهّله لك ، ورفع الشبهة عنك ؛ فأما ما غمض واستتر ، وخفي واستسرّ ، فإياك أن تتعرض له ، وتحوم حوله وتطلب قياسه ونظيره . . . لأن الله لم يبنِ هذه الدار ولم يرتب هذا العالم ، ولم ينظم هذا الفلك على قدر عقلك الضعيف ، ولم يستشر استحسانك واستقباحك ، فإن تعدّيتَ طورك نكسك وردك على عقبيك . . . وجعلك عبرة للناظر إليك وآية للمعتبرين بك . . . »[1] ولقد جعل التجرؤ على الله المتكلمين أبعد الناس عن الورع والتقوى والدين الصالح [2] ، « ولهذا قلّ التألُّهُ فيهم ، ورحلت هيبة الله عن قلوبهم ، وكثر التأويل في كل أمورهم عليهم ، وطمع فيهم الشيطان في جميع أحوالهم »[3] ، وبدلاً من أن يصبح الله وجهتهم أصبحوا وذواتهم مقابل أعينهم ، إليها يتجهون ، وعليها يعوّلون ، فهم عاشقون لآرائهم ، راضون عن أنفسهم[4] .

والمأزق الثاني الذي وقع فيه علم الكلام والآخذون به هو ظنهم أن علمهم هو العلم الوحيد الصالح الذي به يُذَبُّ عن حياض الدين ؛ قال : « وادّعوا أن الإقبال على هذا النوع تصحيح للتوحيد ، ومعرفة بالأصول ، وإثبات

---

١ من مقدمة الجزء السادس .
٢ انظر الجزء الثاني . الفقرة : ٣٠٥ .
٣ الجزء السابع . الفقرة : ٧٠٤ .
٤ انظر الجزء السابع . الفقرة : ١٨٧ د .

للحقّ »[1] ، فهم « يظنون أن التوحيد لا يتمّ إلا بنظرهم ، والدين لا يثبت إلا بنصرتهم ، والحق لا يعرف إلا بمقاييسهم » ، قال أبو حيان : « وهم عن أسرار التوحيد في أبعد مطرح ، وأنأى منزح »[2] .

وقد ذهب المتكلمون أكثر في غيّهم عندما رفضوا الرواية وقدحوا في الأثر ، وفضلوا عليها الرأي الإنساني القاصر ، والقياس العقلي المحدود ، وليتهم مع ذلك ظلوا متفقين ، كما يقول أبو حيان ، بل إن الاختلاف استشرى بينهم[3] حتى وصل إلى حد أن كفّر بعضهم بعضاً[4] : «كذلك أبو هاشم (يعني الجبائي) يكفّر أباه أبا علي ، وأبو علي يكفّر ابنه ، وحدثني أبو حامد المروروذي أن أختاً لأبي هاشم تكفّر أباها وأخاها . . . وأما أصحاب أبي بكر الإخشيذ كالأنصاري وابن كعب وابن الرمّاني وغيرهم ، فكلّهم يكفّرون أبا هاشم وأصحابه وجُعَلاً وتلامذته . . . »[5] .

ولقد كان من الطبيعي أن يصل علماء الكلام في هذا العلم إلى الشك ، والشك يؤدي بصاحبه إلى الهلك[6] ، والأسوأ من ذلك أنهم زرعوا الشكوك في نفوس الناس ، وهذا لا يفعله القوم الصالحون[7] .

ولقد لقي أبو حيان جماعة كبيرة من المتكلمين في عصره منذ سنة خمسين وثلاثمائة ، فكانت تجربته معهم مريرة جدًّا ، وهو يقول إنه لم يجد فيهم واحداً تُرْجَى له السلامة رجاء قليلاً[8] ؛ منهم أبو القاسم الواسطي ، وكان « يرمى

---

١ الجزء السابع . الفقرة : ٧٠٤ .
٢ الجزء الثامن ، الفقرة : ٤٨٩ ب .
٣ انظر الجزء الثالث ، الفقرة : ١٤ .
٤ انظر الجزء الرابع ، الفقرة : ٧٨٣ .
٥ الجزء السابع ، الفقرة : ٧١٧ .
٦ انظر الجزء الرابع ، الفقرة : ٢٤٦ .
٧ من مقدمة الجزء السادس ؛ وانظر الجزء السابع ، الفقرة : ١٩٢ .
٨ انظر الجزء السابع ، الفقرة : ٧٠٤ .

بالنفاق ويقرف بالقبيح » ، ومنهم جُعَل وهو ممن هتك الله أستارهم وقبّح أخبارهم[1] ؛ أما أبو إسحاق النصيبي غلام جُعَل فإنه فتح على أحد الكتّاب باب الخنا ، وسوّغ له التهالك في المجون ، وهوّن عليه أمر الدين ، ومنعه من أسباب البرّ والصدقة والتعبّد ، وقد روي عنه أنه قال يوماً بعد أن انتشى سكراً : « لو صحّ أمر الدين في نفسي لما وجدتني عاكفاً على هذا ، لكني ما أجد صحة ولا أعرف حقيقة ، وأما الكلام الذي نديره بيننا وبين الخصوم مثاله مثال قول القائل : أين الباب المجصَّص؟ فيقول له المجيب : عند الدَّرب المرصَّص ، فيقول السائل : فأين الدرب المرصَّص؟ فيقال : عند الباب المجصَّص »[2] . وبعد أن أعطى أبو حيان هذه النّماذج من المتكلمين عمّم الحكم عليهم بالفساد الخلقي وبعدم التدين بل بالكفر والإلحاد ، فهم « يركبون من الدنيا سنامها ، ومن النار جاحمها » وهم طائفة « عاكفة على الفسوق والكفر باختيارها » تجاهر رب العالمين بالعناد وبالإلحاد ، بل هم قوم « لا خَلاق لهم ، ولا عقيدة معهم » ، قد فارقوا العمل وإخلاصه وأعرضوا عن الآخرة وطلبها بالتهجد والصوم وطول الصمت وبذل النفس ، وفسادُ الدين إن هو متأتٍ إلا منهم[3] .

هذا وقد سجّل أبو حيان بعض أخطاء المتكلمين في اللغة ، فذكر أنهم يقولون « مأووف » بدلاً من « مؤوف » ، وأضاف : « وليس للمتكلمين حجة في اللسان فضلاً عن أن يكونوا حجة في المعاني »[4] ، وعلق على استعمالهم لكلمة « الوجود » فقال إنه شنيع قد أباه العلماء[5] .

....

١ انظر الجزء السابع . الفقرة : ٧٠٤ .
٢ انظر الجزء السابع . الفقرة : ٧٠٥ .
٣ انظر الجزء السابع ، الفقرة : ٧٠٥ .
٤ الجزء الخامس . الفقرة : ٢٧٦ .
٥ الجزء السابع . الفقرة : ٨٤٥ .

وعندما ننتقل إلى الفلاسفة ، نجد أبا حيان يتخذ منهم موقفاً إيجابياً ، وإنما الفلاسفة في نظره هم أصحاب الحكم المروية ، فهو يقول في كلامهم إن له موقعاً عجيباً وتأديباً محموداً ، ويحضّ القارئ على ألّا يستوحش منهم ، ويدعو الله أن يقيه شرّ ما يقال فيهم[1] . وهو يشبّه أقوالهم بأقوال الصوفية[2] ، « فإن التصوّف والفلسفة يتجاوران ويتزاوران »[3] ، سوى أن أقوال الصوفية عويصة تحتاج إلى شرح[4] ، وعلى وجه الإجمال فلهم « إشارات سليمة وألفاظ صحيحة ومرامات بعيدة وفوائد جمّة »[5] .

وبقي من فئات المجتمع فئة العامة ، والتوحيدي لم يتعرض لأي حكم عليها في كتاب البصائر ، سوى ما ذكره من أخطائها في اللغة[6] ، والعامة معروفة باللحن[7] ، وهي لا تؤاخَذ به كما تؤاخَذ به الخاصة[8] . على أن التوحيدي اهتمّ اهتماماً خاصاً بتصوير العامة في عصره من خلال معتقداتها وأمثالها ومجالسها [9] ، فكان بذلك أول من فتح الطريق إلى هذا النوع من التدوين في تاريخ الأدب العربي كله ، وعنه نقل من نقل من بعد ، وإنّ احتفاله بما نسمّيه اليوم « الأدب الشعبي » من معتقدات وأمثال ونوادر ومواقف للشُّطّار ومناظر من

....

١ انظر الجزء الثاني ، الفقرة : ٥٥١ .
٢ انظر الجزء الثاني ، الفقرة : ٥٠٥ .
٣ الجزء السادس ، الفقرة : ٥٩٢ .
٤ انظر مثلاً الجزء الثاني ، الفقرة : ٤٧١ .
٥ الجزء السادس ، الفقرة : ٥٩٢ .
٦ انظر مثلاً الجزء السابع ، الفقرة : ٦٧٠ و ٧٣٦ ؛ والجزء الخامس ، الفقرات : ٢٤٠ ب و ٢٧٣ و ٣٨٦ .
٧ انظر الجزء الأول ، الفقرة : ١٥١ .
٨ انظر الجزء التاسع ، الفقرة : ١٦٢ / ٤ .
٩ انظر الجزء التاسع ، الفقرة : ١٦٢ و ١٦٣ ، والجزء السابع ، الفقرة : ٥٣٣ . والجزء الرابع . الفقرة : ٥٣٨ .

مكايدات الباعة في الأسواق ، وعفوية الحوار بين الكادحين – كالكنّاسين وغيرهم – إلى غير ذلك من صور الحياة اليومية ليؤكد اهتماماً خاصاً منه بكل أنواع التجارب الإنسانية ، ويمنح كتابه لوناً مميزاً وسمة فارقة .

الخاتمة

لقد طال الكتاب بين يدي التوحيدي طولاً كبيراً ، وشكا هو نفسه من هذا الطول في غير موضع منه ، مما جعل المادة تضطرب عنده ، حتى إنه في إحدى المرات أدرج تفسيراً لأبيات ظنّ أنه ذكرها من قبل ، ولم يكن قد ذكرها ، فعاد فأدرجها بعد شرحها بفقرات عديدة[1] . ويبدو أن هذا الطول ، مع ما يرافقه من إرهاق وكدّ ، جعل التوحيدي يغضّ النظر عن مجموعة من الوعود كان أطلقها في درج الكتاب ، مثل وعده بذكر شيء من الكيمياء[2] ، وبشرح معنى الدهر من الزاوية الفلسفية[3] ، وبالحديث عن المعرفة وحدّها وحقيقتها وكيفية طريقها[4] ، وبتخصيص جزء كامل لكلام المتصوفة[5] ، وبالتحدث عن المنافسة والحسد وما يقترن بهما[6] ، وبتبيان لماذا ذكر في القرآن « من فوقهم » عند ذكر

....

١ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٢٩٧ ، حيث ورد الشرح ، والأبيات نفسها تقع في الفقرة : ٥١٩ من الجزء نفسه .
٢ انظر الجزء السادس ، الفقرة : ٣٠٧ جـ .
٣ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٤٥١ جـ .
٤ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٨٦ .
٥ انظر الجزء الخامس ، الفقرة : ٣٨٦ ، والجزء السادس ، الفقرة : ٥٩٢ ، والجزء السابع ، الفقرة : ٢٢٠ .
٦ انظر الجزء السابع ، الفقرة : ٦٤٥ .

السقف في سورة النّحل وهو معروف أنه من فوقهم[1] ، وغير ذلك ، ولا شك أن الكتاب فعلاً تَخَنَّقَ في الآخر ، كما يقول أبو حيان[2] ، وطال طولاً عظيماً ، ولكنه يبقى – بالمقارنة – من أغزر كتب الأدب مادة ، وأكثرها تنويعاً ، وأقربها إلى النفس ، وألصقها بالقلب ، وأخفها على الروح ، وأشدّها شفافية في الكشف عن نفس صاحبها وفكره وتجربته معاً ، وأخصبها في عرض صورة للزمان والمكان اللذين عاش فيهما .

---

١ انظر الجزء الرابع . الفقرة : ٨١٨ ب .
٢ انظر الجزء السادس . الفقرة : ٥٩٢ .

نقول عن كتاب « البصائر » لم ترد فيما وصلنا منه وجاءت في المصادر الأخرى

١ ـــ وقال في مكان آخر : كان أبو حامد كثير العلم ، غزير الحفظ ، قيماً بالسير ، وكان يزعم أن السير بحر الفتيا ، وخزانة القضاء ، وعلى قدر اطلاع الفقيه عليها يكون استنباطه . (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٣ : ١٣) .

٢ – سألت السيرافي عن قوله عزّ وجلّ : قائماً بالقسط ﴾ (آل عمران : ١٨) بمَ انتصب ؟ قال : بالحال ، قلت : فلمن الحال ؟ قال : لله ، قلت : أيقال لله حال ؟ قال : إن الحال في اللفظ لا لمن يلفظ بالحال عنه ، ولكنّ الترجمة لا تستوفي حقيقة المعنى في النفس الابعد أن يصوغ الوهم هذه الأشياء صياغة تسكن إليها النفس ، ثم تكون حقائق الألفاظ في مقارّها غير مثلومة بلفظ ، ولا منقوصة باعتقاد . (الطبقات الوسطى للسبكي ، في الطبقات الكبرى ، حاشية الصفحة : ٢٩٠ من الجزء الخامس) .

٣ ـــ سألت القاضي أبا حامد عن السكران ، متى يقام عليه الحدّ ؟ فقال : إذا أفاق ، لأنّ الحدّ موضوع للردع ، والردع لا يقع إلا بالعلم ، والعلم لا يحضره (كذا) الإفاقة ؛ قلت : فإن أُقيم عليه في سكره ، هل يُعاد عليه ؟ قال : لا ، بل يسقط عنه ، قلت : إن كانت العبرة بالردع فلم يقع ، قال : لا خلاف في ذلك . (الطبقات الوسطى للسبكي ، في الطبقات الكبرى ، الجزء الخامس ، حاشية الصفحة : ٢٩٠)

٤ ــ حكى أبو حيان في كتابه الذي سمّاه « البصائر » أن الأستاذ الرئيس أبا الفضل ابن العميد ــ رحمه الله ــ كان كلفاً بأبي عثمان الجاحظ ، حريصاً على كتبه ، ومثله محروصٌ عليه ومتنافَسٌ فيه ، وكان يقول : ينبغي للفاضل أن يذهب في المعاني مذهب أرسطاطاليس ، فإنه وطّأ طُرُق الحكمة ، وضرب منارها ، ونشر أعلامها ، وأنشأه الله في دهر صالح ، وقيَّضَ له عدلَ ملكٍ فاضل ــ يعني الإسكندر ــ وحبّب إليه معرفة أسرار العالم ، وفرّغه لتمهيد المنطق ، وألهمه دقائقَ الحِكَم ، وأتمّ على لسانه حقائق ما سلف من الأمم . قال : وإنما يجهل قَدرَ هذا الحكيم عاميٌّ حشوي أو مَنْ هو في طباعه وإنْ كان بائناً عن ظاهر أمره ، أو عالماً لم يذق حلاوة الحقّ ولم ينسلخ من جلباب الهوى ، فهو يشنّع على هذا الرجل تارةً بالكفر وتارةً بالجهل ، تملّقاً لمن يطلب إليه ما في يديه ، أو يفرح بعَرَض الجاه عنده . وصاحب هذا الفصل ليس للحكمة [عنده] محلّ ، ولا للعلم في نفسه مَقَرّ ، وإنما هو متشيّعٌ بالدعوى ، ومظهر عنده للحيلة .

قال : وفي الألفاظ يكون مقتدياً بأبي عثمان الجاحظ ، فإنّه أوحدُ في غزارته وفصاحته ، وفي النظم لا يُختار على البحتري ، فإنه سهل الطريقة ممتنِعُها ؛ ومَنْ عرف جوهر الكلام ، ومواقع الاستعارة ، وآثار المعاني ، وسبيل التأليف في الكتابة ، لا يُخِلُّ بالمكني عنه وتصريح لا يفصح المصرّح به ، ورقّة لها تَغلغلٌ في القلب ، ودقّة فيها مجال للعقل ، وإيضاح يغني عن تحكُّم الظنّ ، وتلطّف خلوب السامع ، عَلِمَ ما دللتُ عليه وأشرتُ إليه ، ثم العمل معرض لك فخذه كيف وجدتَهُ وأردتَهُ . (المنتخب من صوان الحكمة : ١٥١ ــ ١٥٢) .

٥ - قلت : ومن غرائب ما وقعت عليه من العصبية القبيحة أن أبا حيان التوحيدي قال في كتاب « البصائر » إنّ خزيمة بن ثابت المقتول مع علي عليه

السلام بصفّين ليس هو خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، بل آخر من الأنصار صحابي اسمه خزيمة بن ثابت ، وهذا خطأ ، لأن كتُبَ الحديث والنسب تنطق بأنه لم يكن في الصحابة من الأنصار ولا من غير الأنصار خزيمة بن ثابت إلا ذو الشهادتين ، وإنما الهوى لا دواء له . على أنّ الطبري صاحب التاريخ قد سبق أبا حيان بهذا القول ، ومِنْ كتابه نَقَلَ أبو حيان ... (شرح نهج البلاغة ١٠ : ١٠٩) .

٦ ــ (تعليقاً على رسالة السقيفة) ومَنْ تأمّل كلام أبي حيان عرف أنّ هذا الكلام من ذلك المعدن خرج ، ويدلّ عليه أنه أسنده إلى القاضي أبي حامد المرورذي ، وهذه عادته في كتاب « البصائر » يسند إلى القاضي أبي حامد كلّ ما يريد أن يقوله هو من تلقاء نفسه ، إذا كان كارهاً لأن ينسب إليه .... (شرح نهج البلاغة ١٠ : ٢٨٥ ــ ٢٨٦) .

نقول عن أبي حيان لم ترد في كتاب « البصائر »

ولعلها من الضائع منه

١ ــ أدعية فصيحة من كلام أبي حيان التوحيدي :

أ ــ ومنها : اللهمّ إليك أرفع عُجَرِي وبُجَرِي ، وبك أستعين في عُسْرِي ويُسري ، وإيّاك أدعو رَغَباً ورَهَباً ، فإنّك العالم بتسويل النّفْس ، وفتنة الشيطان ، وزينة الهوى ، وصرْف الدهر ، وتلون الصديق ، وبائقة الثّقة ، وقنوط القلب ، وضعف المُنّة ، وسوء الجزَع .

فَقِني اللّهم ذلك كلّه ، واجمع من أمري شمله ، وانظمْ من شأني شتيتَه ، واحرُسْني عند الغنى من البَطَر ، وعند الفقر من الضّجَر ، وعند الكفاية من الغَفْلَة ، وعند الحاجة من الحسرة ، وعند الراحة من الفُسُولة ، وعند الطّلب من الخيبة ، وعند المنازلة من الطغيان ، وعند البحث من الاعتراض عليك ، وعند التسليم من التهمة لك .

وأسألُك أن تجعل صدري خِزانة توحيدك ، ولساني مفتاح تمجيدك ، وجوارحي خَدَم طاعتك ؛ فإنه لا عزّ إلا في الذلّ لك ، ولا غنًى إلا في الفقر إليك ، ولا أمْنَ إلا في الخوف منك ، ولا قرار إلا في القَلَق نحوك ، ولا رَوح إلا في الكرْب لوجهك ، ولا ثقةَ إلا في تهمة خلقك ، ولا راحة إلا في الرضا بقَسْمك ، ولا عيش إلا في جوار المقربين عندك .

ب ــ ومنها : اللهم ببرهانك الصادع ، وبنور وجهك الساطع ، صلّ على محمد نبيّك نبيٍّ الرحمة ، وقائد الأمّة ، وإمام الأئمة ، واحرس عليّ إيماني بك بالتسليم لك ، وخفف عنّي مؤونة الصبر على امتحانك ، وواصل لي أسباب المزيد عند الشكر على نعمتك ، واجعل بقيّة عمري في غنًى عن خلقك ، ورضا بالمقدّم من رزقك .

﴿ اللهم إنك إن آخذتنا بذنوبنا خسفت الأرض بنا ، وإن جازيتنا على ظلمنا قطعت دوابرنا ، فإنك قلت : فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَٱلْحَمْدُ للهِ رَب ٱلْعَالَمِينَ ﴾ . اللهم إليك نشكو قسوة قلوبنا ، وغلّ صدورنا ، وفتنةَ أنفُسنا ، وطموحَ أبصارنا ، ورفَث ألسنتنا ، وسخف أحلامنا ، وسوء أعمالنا ، وفُحْش لجاجنا ، وقبح دعوانا ، ونَتْن أشرارنا ، وخُبْث أخيارنا ، وتلزّق ظاهرنا ، وتمزّق باطننا .

اللهم فارحمنا ، وارأفْ بنا ، واعطف علينا ، وأحسِن إلينا ، وتجاوز عنّا ، واقبل الميسورَ منّا ، فإنّنا أهلُ عقوبة ، وأنت أهل مغفرة ، وأنتَ بما وصفت به نفسَك أحقّ منّا بما وَسَمْنَا به أنفسنا ، فإن في ذلك ما اقترن بكرَمِك ، وأدّى إلى عفوك . ومن قبل ذلك وبعده ، فأثِبْ عيشنا بنعمتك ، وأرحْ أرواحَنا من كَدّ الأمل في خلقك ، وخذ بأزمّتنا إلى بابك ، وألْهِ قلوبنا عن هذه الدار الفانية ، وازرع فيها محبّة الدار الباقية ، وقلّبنا على بساط لطفك ، وحُثّنا بالإحسان إلى كنَفك ، ورفّهنا عن التماس ما عند غيرك ، واغضض عيونَنا عن ملاحظة ما حُجب من غيرك ، وصِلْ بيننا وبين الرّضا عنك ، وارفع عنا مؤونة العَرْض عليك ، وخفّف علينا كلّ ما أوصلَنا إليك ، وأذِقْنا حَلاوة قُربك ، واكشف عن سرائرنا سواتر حُجبك ، ووكّل بنا الحفَظة ، وارزقنا اليقَظة ، حتى لا نقترف سيِّئة ، ولا نفارق حسنة ، إنّك قائم على كلّ نفس بما كسبت ، وأنت بما نخفي وما نعلن

خبير بصير .

* * *

ج ـــ ومنها : اللهمّ إنّا قرُبنا بك فلا تُنئنا عنك ، وظهرنا لك فلا تبطنّا دونك ، ووجدناك بما ألقيت إلينا من غيب ملكوتك ، وعزفنا عن كلّ ما لوانا عن بابك ، ووثقنا بكلّ ما وعدتنا في كتابك ، وتوكّلْنا بالسرّ والعَلَن على لطيف صنعك .

اللهم إليك نظرت العيون فعادت خاسئةً عَبْرَى ، وفيك تقسمّت الظنون فانقلبت يائسة حَسرى ، وفي قدرتك حارت الأبصار ، وفي حكمتك طاحت البصائر ، وفي آلائك غرِقت الأرواح ، وعلى ما كان منك تقطّعت الأنفاس ، ومن أجْلِ إعراضك التهبت الصدور ، ولذكر ما مَضى منك هملت الدموع .

اللهم تَوَلّنا فيما ولّيتنا حتى لا نَتَوَلّى عنك ، وأمّنّا ممّا خوّفْتَنَا حتى نقرّ معك ، وأوسِعْنا رحمتك حتى نطمئنّ إلى ما وعدتنا في كتابك ، وفرّق بيننا وبين الغلّ حتى لا نعامل به خلقك ، وَأغنِنا بك حتى لا نفتقر إلى عبادك ، فإنّك إذا يسّرت أمرا تيسّر ؛ ومهما بلوتنا فلا تبلُنا بهجرك ، ولا تجرّعنا مرارة سُخطك . قد اعترفنا بربوبيتك عبوديّة لك ، فعرّفنا حقيقتها بالعفو عنا ، والإقبال علينا ، والرفق بنا ، يا رحيم .

* * *

د ـــ ومنها : اللّهم إنّ الرغبات بك منوطة ، والوسائل إليك متداركة ، والحاجات ببابك مرفوعة ، والثقة بك مستحصفة (أي مستحكمة) ، والأخبار بجودك شائعة ، والآمال نحوك نازعة ، والأماني وراءك منقطعة ، والثناء عليك متّصل ، ووصفك بالكرم معروف ، والخلائق إلى لطفك محتاجة ، والرجاء فيك قويّ ، والظنون بك جميلة ، والأعناق لعزّك خاضعة ، والنفوس إلى مواصلتك مشتاقة ، والأرواح لعظمتك مبهوتة ؛ لأنك الإله العظيم ، والربّ الرّحيم ، والجواد الكريم ، والسميع العليم ، تملك العالم كلّه ، وما بعده وما قبله ، ولك فيه تصاريف القدرة ، وخفيّات الحكمة ، ونوافذ الإرادة ، ولك فيه ما لا ندريه ممّا تخفيه ولا تبديه ، جلَلت عن الإجلال ، وعظمت عن التعظيم ، وقد أزف ورودُنا عليك ، ووقوفُنا بين يديك ، وظنُّنا ما قد علمت ، ورجاؤنا ما قد عرفت ، فكن عند ظنِّنا بك ، وحقق رجاءنا فيك ، فما خالفناك جرأة عليك ، ولا عصيناك تقحّماً في سخطك ، ولا اتبعنا هوانا استهزاء بأمرك ونهيك ، ولكن غلبت علينا جواذب الطّينة التي عجنتَنا بها ، وبذور الفِطْرة التي أنبتنا منها ، فاسترخت قيودنا عن ضبط أنفسنا ، وعزبت ألبابنا عن تحصيل حظوظنا ، ولسنا ندّعي حُجّة ، ولكن نسألك رأفة ، فبسترك السّابغ الذيّال ، وفضلك الذي يستوعب كلّ مقال ، إلا تممت ما سلَف منك إلينا ، وعطفْتَ بجودك الفيّاض علينا ، وجذبت بأضْبَاعنا ، وأقررت عيوننا ، وحققت آمالنا ؛ إنك أهل ذلك ، وأنت على كل شيْ قدير . (شرح نهج البلاغة ١١ : ٢٧٠ – ٢٧٨) .

٢ ـــ قال أبو حيان التوحيدي : يجب على الكاتب أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته ، وأن يعرف كثيراً من السنّة والأخبار والسير ، حافظاً

لكثير من الرسائل والكتب ، وأن يكون متناسب الألفاظ ، متشاكل المعاني ، متشابه الخطّ ، ذكيّاً ، عارفاً بما يحتاج إليه ، خبيراً بالحلي والشيات ، مضطلعاً لعب (اقرأ : بعبْ) الكتابة ، له يد في السواد ، وعمل في الحساب ، وأن يكون له يد في عمل الشعر ، نظيف الثوب ، لطيف المركب ، ظريف الغلام ، لقيق الدواة ، حادّ السكّين ، صقيل الكاغد ، صلب الأقلام ، متودّداً إلى الناس مخالطهم ، غير متكبر عليهم ولا منقبض منهم (اقرأ : عنهم) ، دمث الأخلاق ، رقيق الحواشي ، ترف الأطراف ، عذب السجايا ، حسن المحاضرة ، مليح النادرة ، غير قنف ولا متعجرف ، ولا متكلّف للألفاظ الغريبة ، ولا معتسف للّغة العويصة . انتهى كلام أبي حيان (مطالع البدور ٢ : ١١٧)

٣ ــ قرأت بخط أبي سعد (اقرأ : سعيد) بإسناد له رفعه إلى أبي العباس ابن الهادي قال : كنت عند إسماعيل بن إسحاق القاضي في منزله ، فخرج يريد صلاة العصر ، ويدي في يده ، فمرّ ابن البرّيّ ، وكان غلاماً جميلاً ، فنظر إليه فقال وهو يمشي إلى المسجد :

لولا الحياءُ وأنّني مشهورُ والعيبُ يعلقُ بالكبيرِ كبيرُ
لحللتُ منزلَها الذي تحتلُّهُ ولكانَ منزلُها هو المهجورُ

وانتهى إلى مسجدٍ على باب داره فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، ثمّ مرّ في أذانه ، والشعر لإبراهيم بن المهدي . وحكى أبو حيان هذه الحكاية كما مرّ ، وزاد فيها : فقيل له : افتتحتَ الأذان بقول الشعر ؟ فقال : دعوني ، فوالله لو نظر أمير المؤمنين إلى ما نظرتُ إليه لشغَلَهُ عن تدبير ملكه ؛ قيل له : فهل قلتَ شيئاً آخر فيه ؟ قال : نعم ، أبيات عبثتْ بي وأنا في المحراب ، فما استتممتُ قراءة « الحمد » حتى فرغتُ منها ، وهي :

ألحاظُهُ ترجمانُ مَنْطِقِهِ ووجهُهُ نزهةٌ لعاشقِهِ
هَذَّبَهُ الظَّرْف والكمالُ فما يمرُّ عيبٌ على طرائقِهِ
قد كثرتْ قالةُ العبادِ فما تسمعُ إلا : سبحانَ خالقِهِ

(معجم الأدباء ٦ : ١٣٧ — ١٣٨ — ط . دار المأمون — في ترجمة إسماعيل ابن إسحاق الأزدي) .

٣ — قال أبو حيان التوحيدي : رأيت أصحاب أبي عليّ الفارسيّ يكثرون الطلب لكتاب شرح سيبويه ويجتهدون في تحصيله ، فقلت لهم : إنكم لا تزالون تقعون فيه وتزرون على مؤلفه ، فما لكم وله ؟ قالوا : نريد أن نردَّ عليه ونعرّفه خطأه فيه . قال أبو حيان : فحصّلوه واستفادوا منه ، ولم يردَّ عليه أحد منهم ، أو كما قال أبو حيان ، فإنّي لم أنقل ألفاظ الخبر لعدم الأصل الذي قرأته منه . (معجم الأدباء ٨ : ١٤٧ — ط . دار المأمون — ترجمة الحسن بن عبد الله المرزباني أبي سعيد السيرافي) .

٥ — وقال أبو حيان : جرى ليلةً ذكر أبي سعيد السيرافي في مجلس ابن عبّاد ، وكان ابن عبّاد يتعصّب له ويقدّمه على أهل زمانه ، ويزعم أنه حضر مجلسه وأبانَ عن نفسه ، وصادف من أبي سعيد بحرَ علمٍ وطَوْدَ حِلْم . فقال أبو موسى الخشكي : إلا أنه لم يعمل في كتاب شرح سيبويه شيئاً ، فنظر ابن عبّاد إليه متنمّراً ولم يقل حرفاً ، فعجبت من ذلك ؛ ثم إني توصلتُ ببعض أصحابه حتى سأل عن حِلْمه عن أبي موسى مع ذبّه عن أبي سعيد فقال : والله لقد ملكني الغيظ عن ذلك الجاهل حتى عزب عنّي رأيي ، ولم أجد في الحال شيئاً يشفي غيظي وغلتي منه ، فصار ذلك سبباً لسكوتي عنه ، فشابهتِ الحالُ الحلمَ ، وما كان ذلك حلماً ولكن طلباً لنوعٍ من الاستخفاف لائقٍ به . فوالله ما يدري ذلك الكلب ولا أحدٌ ممن خرج من قريته ورقةً من

ذلك الكتاب ! وهل سبق أحدٌ إلى مثله من أوّل الكتاب إلى آخره ، مع كثرة فنونه ، وخوافي أسراره ؟ وكان أبو موسى هذا من طبرستان ، فَعُدَّ هذا التعصُّبُ من مناقب ابن عبّاد ، وحجب أبا موسى بعد ذلك . (معجم الأدباء ٨ : ١٨٧ — ١٨٨ — ط . دار المأمون — ترجمة الحسن بن عبد الله المرزباني أبي سعيد السيرافي) .

٦ — قال أبو حيان ، قال لي البديهي : مدحت وشمكير بمدائح فاحت رياها شرقاً وغرباً ، بُعْداً وقرباً ، فما أثابني عليها إلا بشيْ يسير ، وقصده بعض الأغتام من الجبال فمدحه بقصيدة ركيكة غير موزونة تعلقها بالهجاء أكثر من تعلقها بالمديح ، فأعطاه ما أغناه وأعقابه بعده ، فشكوتُ إلى ابن ساسان ذلك فقال لي : إفراطُ العلم مضرٌّ بالجَدّ ، والجَدُّ والعلم قلّما يجتمعان ، والكدّ للعلم والجَدُّ للجهل ، وأنشأ يقول :

إنّ المقاديرَ إذا ساعدتْ   ألحقتِ العاجزَ بالحازمِ

(معجم الأدباء ١٦ : ٢٣٠ — ٢٣١ — ط . دار المأمون — ترجمة قابوس بن وشمكير) .

٧ – وقال أبو حيان التوحيدي : وما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم وخاصة ما يتعلّقُ بالتُّحف والطُّرف والنُّتف من مجلس ابن كيسان ، فإنه كان يبدأ بأخذ القرآن والقراءات ، ثم بأحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فإذا قُرِئ خبر غريب أو لفظة شاذّة أبان عنها وتكلّم عليها وسأل أصحابه عن معناها . وكان يُقرأ عليه « مجالسات ثعلب » في طرفَي النهار ، وقد اجتمع على باب مسجده نحو مائة رأس من الدّواب للرؤساء والكُتّاب والأشراف والأعيان الذين قَصَدوه ، وكان مع ذلك إقبالُهُ على صاحب المَرَقَّعَة الممزَّقة والعباء الخَلَق والطِّمر البالي كإقباله على صاحب القصب والوشي والديباج والدابّة والمركب

والحاشية والغاشية . ويوماً من الأيام جرى في مجلسه ما امتعض منه وأنكره وقضى منه عجباً ، وأنشد في تلك الحالة من غُرر الشعر والمقطّعات الحسنة وغيرها ما ملأ السمع وحيَّرَ الألباب ، حتى قال الصابئ : هذا الرجل من الجنّ إلا أنه في شكل إنسان ؛ ومن جملة ما انشد في تلك الحال :

مالي أرى الدهرَ لا تَفْنَى عجائبُهُ	أبقى لنا ذَنَباً واستؤصِلَ الراسُ
إنّ الجديدين في طول اختلافهما	لا ينقصان ولكن ينقصُ الناسُ
أبقى لنا كلَّ محمولٍ وفَجَّعَنا	بالحاملينَ فهم أثواءُ أرماسِ
يرونَ أنّ كرامَ الناس إن بَذَلُوا	حَمْقَى وأنّ لئامَ الناسِ أكياسُ

وتَمَثَّلَ أيضاً ببيتي أبي تمّام :

قومٌ إذا خافوا عداوةَ حاسدٍ	سفكوا الدِّما بأسِنَّةِ الأقلامِ
ولضربةٌ من كاتبٍ بمدادِهِ	أمضَى وأَنْفَذُ من رقيقِ حسامِ

(معجم الأدباء ١٧ : ١٣٩ — ١٤١ — ط . دار المأمون — ترجمة محمد بن أحمد بن كيسان) .

٨ — وبه قال عن حبان (كذا) التوحيدي : الملوك عيال [على] عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا ساسوا ، والفقهاء عيال [على] الإمام إذا قاسوا ، والمحدّثون كلٌّ على ابن حنبل إذا أسندوا ، والسلف على أبي عثمان إذا أطنبوا ؛ أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا : هو في فقهه ، والخليل في أدبه ، والجاحظ في تصنيفه ، وأبو تمام في شعره .